

المملكة العربية السعودية

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الدراسة العليا

شعبة الدعوة

الخامسة الاكاديمية بالدراسة المنورة
عادة شؤون الكتب - قسم المخطوطات
رقم التسجيل العام
الخاص
التاريخ / / ١٤

مَعَالِمُ الدَّعْوَةِ

فِي الدَّوَلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

إِلَى عَهْدِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

رسالة قدمت لنيل

شهادة العالمية

«الماجستير»

إعداد: الطالب عبدحميد مظاهري ندوي

إشراف: فضيلة الدكتور عبدمنعم حسنين

عام ١٤٠٣ هـ
١٩٨٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَبِذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ
الَّتِي كُنتُمْ تَعْتَمِدُونَ

المُقدِّمة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين
يوم لا خوف الا على الظالمين ، والمعاقبة للمتقين ، وصلاة الله
وسلامه على نبيينا محمد سيد المرسلين ، وخاتم النبيين
وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه الطيبين ، ومن تبعهم باحسان
الى يوم الدين .

اما بعد ، فهذه الرسالة عمل متواضع في مجال الدعوة الاسلامية
ومطولة للاجابة عن سؤال مهم يشغل - منذ امد بعيد - بالجيل
المسلم الواعي ، وخطر كل من اعطاه الله قلبا ناضحا حساسا ، وفهما دينيا
سليما ، وخصوصا في حاضرتنا الذي نعيش فيه ، ونستطيع أن نلخص ذلك
السؤال كما يلي :

" ان المسلمين في حاضرتنا غير قليل عددا وعدة ، لهم
دول مستقلة ، وقد أصبحت تلك الدول تلك قوة الأصوات
- وأكبر في هيئة الأمم المتحدة ، كما أن بعضها تعتبر
من الدول الأغنياء ، ونحن أمة تحمل الرسالة السماوية
الخالدة من نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ختم الأنبياء
والمرسلين ، فلانبي بعده ، ودينه هو الدين الالهي الذي
لا يقبل غيره ، ورسالته ، هي الرسالة السماوية الأخيرة ،

فلا رسالة بعدها ٠٠٠٠ وهذا يقتضى - تلقائيا - أن تكون
هذه الأمة هي القائدة الرائدة لأُم العالم جمعاء ، ولكنها
- مع الأسف - أصبحت لا قيمة لها ، ولا مكانة
على منصة العالم ، فقد ذهبت ريحها ، واتفق أعداؤها -
مع اختلافهم الشديد فيما بينهم نظريا ومبدئيا - على إبادتها
وأضعاف قوتها ، وتحطيم معنوياتها بكل طريق ممكن ، كما
أنهم لا يضيعون أدنى فرصة تتاح لهم لتحقيق رغبتهم
الوحيدة ، ونجحوا في مهمتهم نجاحا كبيرا ، ومن علامات
نجاحهم : قضية فلسطين ، قضية كشمير وانفصال الجناح
الشرقى لباكستان عن جناحها الغربى ، وتدخلى قوات الشيوعية
في أفغانستان ، وما الى ذلك ٠٠٠٠ ومن جهة أخرى :
يحلم كثير من القادة المسلمين المستخلصين بالتضامن الاسلامى
الذى تستطيع به الأمة أن تسترد كرامتها ومجدها ولكن ٠٠٠
لا يبالون غايتهم المرجوة ، وهدفهم المنشود ٠٠٠ فما هو
السبب - ؟ وما هى السبيل التى تسترد بها الأمة مجدها
وكرامتها ؟

ان السؤال مهم جدا ، ويحتاج الى جواب صحيح مقنع ، والجواب
موجود ، وقد تهيأ الجو لاثبات صحة الجواب ، إذ أنه
بدا لبعض من المسلمين - فى صدورهم - بحث الاجابة عن هذا السؤال أن اختيار
مبدأ " العلمانية " هو الضمان الأكيد - فى حد زعمهم - لاسترداد

مجد الأمة وكرامتها فاخاروها ، ولم يجردوا بنيتهم ، وهم هائمون حول تلك النقطة التي كانت بداية سفرهم العلماني من عندها ، فلم يستطيعوا استرداد مجد الأمة وكرامتها ، بل ضيعوا كثيرا مما كانوا يملكونه من بقاياها
ورأى بعضهم : أن " الجواب " يخفى تحت ظل " الاشتراكية " فهرعوا اليها ، والنتيجة ظاهرة ، وقموا في وحلها الآسن ، وفقدوا وعيهم الايماني . . .
ورأى بعضهم : أن الفلاح يكمن في مطاوعة الغرب مطاوعة كاملة ، وتقليدهم تقليدا أعمى ، وتأموا بما بدلهم ، فلم يتقدموا مقدار خذلة من مكانهم الذي كانوا عليه ، بل تهبوا ديننا ، وحضارة وثقافة وهم لا يشعرون .

فهذه التجارب الفاشلة قد هيأت لنا جوا مناسبا لفهم المعاني الصحيحة لجواب السؤال المطروح ، ومن خلال هذه التجارب الخطيئة برزت سمة طيبة نستطيع أن نمبر عنها : " بالصحة الاسلامية " التي تهتدى بصور شتى في آفاق حياتنا وهذه الصحة تحتاج - فيما تحتاج - الى مثل تقتدى به ، وتتفجع بهديه ، وتفيد من تجاربه وممارسته .

والجواب الصحيح - فيما أعتقد - لهذا السؤال المطروح : أن الأمة الاسلامية - في حقيقتها - أمة داعية ، ووظيفتها الجوهرية في الحياة ، انضاهى : حمل . لواء هذه الدعوة قال الله تعالى :

((قل هذه سبيلي ، أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن

(١) اتبعنى ، وسبطن الله وما أنا من المشركين .))

- وقال جل شأنه :

((كتم خیرامة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون

عن المنکر وتؤمنون بالله .))^(١)

وان التزامها حقيقتها هذه ، ليهو الأسمين لتحقيقها ذاتها ، وتحقيقها

وجودها في حلبة الحياة ، وان تجاوب الأسم مع مبادئها التي هي قوامها

- هو - مأمنة لها من الضعف والتفسخ والضياع

وان قدوة هذه الأمة - بشكلها الأمثل والأكمل - تتركز في العهدين

الامامين ، النبوي والراشدي ، اللذين هما - في الحقيقة - المهدان

الدعويان بأوسع معاني هذه الكلمة وأتمها . . . وبالدرجة الثانية

عهد معاوية رضي الله عنه . . . وان السلم الداعية الذي عرفناه في هذه

العهد ، يصول في الأفاق ، ينشر نفط الدعوة الاسلامية المطرة ، قد

حقق ذاته ووجوده ، بل حقق ذات الانسانية ووجودها على نحو لا نظير له ،

وترك لنا من الدروس والصبر ما هو ضروري لحياتنا ، وما ان تقسموناه

فلن نضل أبدا

والدعوة - في حقيقتها - قول وعمل ، فمن التزامها علاوسمها ، ومن

أعرض عنها اجتالته الأهواء وصداهبها ، والتاريخ نعم الشاهد على هذه

الحقيقة

(١) سورة آل عمران : الآية : ١١٠

ان امتنا المسلمة قد تبوأ مكان الذروة في المهددين الامامين
النهوى والراشدى ، وفي عهد معاوية رضى الله عنه ، نتيجة التزامها وظيفتها
الجوهريه التي أسلفنا ذكرها ٠٠٠٠ ثم بمد ذلك جعل يدب الانحراف
ودبيب النملة الى كيانها المثالي ، حتى بدأت خصيتها الدعوية الاصلية
تتقلص من جوانب حياتها .

أجل ٠٠٠ لقد كان هذا الانحراف قليلا ونسبيا في مستهله ، ولكنه
استمر واستمر ، حتى كاد كيان الأمة في مجتمعا ودولتها يتمادى نسي
المد عن خصيتها الدعوية ٠٠٠٠٠

على أنها كانت تعود الى تمثل هذه الخصية بين فترة وأخرى من فترات
التاريخ الاسلامى ، وقد كان من آخر عوداتها ما انعم الله عليها في القرن
الثانى عشر ، وفي عهد الامامين : محمد بن سمود ومحمد بن عبد الوهاب
رحمهما الله تعالى .

هذا هو السر في انحطاط المسلمين عبر القرون ٠٠٠ وهناك حقيقة
يجب أن ندرسها دراسة واقعية ، وهى : أن نظام هذا الكون ،
قد خلقه الله تبارك وتعالى بتقدير وحسان ، قال تعالى : ((انا كل
شىء خلقناه بقدر))^(١) ، وقال : ((الذى له ملك السماوات والارض ولم
يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ، وخلق كل شىء فقدره تقديرا))^(٢)

(١) سورة القمر : الآية : ٤٩

(٢) سورة الفرقان : الآية : ٢

وقال تعالى : ((ذلك تقدير العزيز العليم))^(١) فعملية الجوع
 - كما يقال - لا تنتج الا جمعا ، وعيلة الطرح لا تنتج الا طرحا ،
 وهلمجرا . ويُحصد في هذا الكون ما يُزرع ، فاذا زرعت القمح لا تحصد الا
 القمح ، والذي يزرع الشعير ، ويأمل أنه يحصد القمح ، هو جدير أن ينظر
 اليه الماقل بذرة الرثاء وكذلك الدعوة الاسلامية لا تؤتى اكلها
 - على نحو ما كان الأمر في عهد سلفنا الصالح - الا اذا كانت
 هي مسئولية على حياة الأمة جمعا ، تصورا وقولا وعملا ، ودولة ومجتمعما
 وأفرادا

ويدور حول هذه الحقيقة موضوع رسالتي ، وهو : " معالم الدعوة
 في الدولة الاسلامية حتى عهد معاوية " ، وسبب تخصيص الدولة بالذكر
 ان الدولة هي القوة النافذة أو امر الله ، وهي المسئولة الأولى عما يحدث
 من الانحراف في الأفراد والمجتمع ، فطولت أن ابرز خصائص الدولة النبوية
 والراشدية ، وحكم معاوية رضي الله عنه ، كمقاييس عديدة توزن عليها كل
 دولة اسلامية في ماضينا وحاضرنا أما الماضي ، فتلك أمة قد خطت
 لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . وأما الحاضر فله مجال واسع للنظر
 والمقارنة ، فمن وفقه الله تعالى ، فليحد به ، ومن لم يُوفَّق - لا قدر الله -
 فلا يلومن الا نفسه وأرجو أن تفيد صحتنا المعاصرة من قبل هذه المعرفة
 بتاريخنا ، فتخطو خطواتها في الطريق الصحيح ان شاء الله .

(١) سورة الأنعام : الآية : ٩٦

سورة يس : الآية : ٣٨

سورة فصلت : الآية : ١٢

لماذا اخترت هذا الموضوع ؟

اخترت هذا الموضوع لعدة أسباب :

أولا : لأن تفكيرى فى الدعوة هو ما ذكرت آنفا ، وهو - فيما أعتقد -

تفكير سديد ان شاء الله

ثانيا : لم أزل - منذ أن جانى الله سبحانه وتعالى طرفا من الوعى

والفهم المجديين - متألما من تلك الانحرافات الدعوية التى أشعر

بوجودها فى مسار حياة الأمة منذ عهد بعيد ، وأنا فرد من أفرادها

وما أبرئ نفسى ، كما لا أخفى نفسى بهذا التآلم ، بل يشاركنى امساة

كل مخلص واع من أبناء هذه الأمة .

ثالثا : ان هذه الانحرافات التى نقلت الأمة من دور القيادة الى دور

" التهمية " - على الرغم مما آتاها الله تعالى من الهادى العظيمة

الضلالة ، التى أحلتها يوم تمسكت بها محل القيادة - لم تحدث

فجأة ولا دفعة واحدة ، بل تسللت الى كيان الأمة تدريجيا ،

حتى أردتها وأنزلتها من مكانها الذى خلقت لتكون فيه ، ألا وهو

مكان " القيادة الهادية " وما أردت فى بحى هذا أن ألفت نظركم

الأمة الى أن تقدر خسارتها ، وتمد نفسها لتداركها تداركا جادا

ستمرا .

رابعا : أردت أن ألفت نظركم الدول الاسلامية المعاصرة الى أن أدنى

انحراف دعوى فى الدولة ، يأتى بنتائج سلبية رهيبة على المجتمع

الاسلامى ، والى أن أقل حركة للدولة لا تلائم مبادئ الدعوة
تلوح على شاشة المستقبل بصورة انفجار مخرب شديد ، فكيف بهذا ،
الدول الاسلامية التى لا تطبق الشريعة الاسلامية السمحة ، فضلا
عن أدائها وظيفتها الدعوية - ؟ فعليها أن تحول كيائها دعويها
خالصا . . . فهل من مستمع - ؟ وان ما أقوله ليطبق تقريبا على جميع
الدول الاسلامية المعاصرة باستثناء المملكة العربية السعودية ، التى
تطبق الشريعة ، وتتفرد ببذل جهود جبارة فى سبيل الدعوة الاسلامية
فجزاها الله تعالى خيرا جزاء ، وكثر أمثالها للامة الاسلامية
وما ذلك على الله بعزيز .

منهجى فى البحث :

~~~~~

التزمت فى كتابة البحث بمنهج خلاصته ما يلى :

اولا : نهجت منهج جمع المعلومات والاستنتاج بالدليل ، وطولت أن  
أتناول - فى هذا الصدد - الجوانب المهمة من العهد النبوى ،  
وتوسعت فيها بصفة خاصة ، إذ أن ذلك العهد هو المقياس الأسمى  
للدولة الاسلامية الدعوية .

ثانيا : عندما استشهدت بالآيات القرآنية ، كنت أذكر تارة الطرف المستشهد  
به فقط وتارة كنت أذكر الآية أو الآيات كاملة ، حسب ما تقتضيه الحال .

ثالثا : حاولت أن أستشهد بأحاديث الصحيحين أولا ، ثم بأحاديث السنن

وما إليها .

رابعاً : حاولت أن أرجع في ذكر الأحداث والوقائع الى المصادر الأصيلية  
أولاً ، ثم الى سواها عند الحاجة ، واكتفيت بالإشارة الى مصدر  
واحد فقط ، الا اذا اقتضت حاجة التأكيد غير ذلك ، فكنت أذكر  
مصدرين أو أكثر ، واذ جمعت معلومات متنوعة فكنت أذكر تلك المصادر  
في مكان واحد .

خامساً : لم ألتزم ترجمة كل علم جاء ذكره في الرسالة ، الا أنني  
ترجمت الأعلام التي رأيت الحاجة تدعو الى ترجمتها ، وأحسب أن خطتي  
هذه خطة وسط بين أعمال تراجم الأعلام وبين الاكثار فيها بلا ضرورة .

خاتمة البحث :

\*\*\*\*\*

أدرت هذا البحث على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة :

الباب الاول : يحوى على فصلين

وخصصت هذا الباب لاستعراض وظيفة الدولة الاسلامية الجوهرية  
وتعرضت في الفصل الأول : للدولة وعناصرها ووظيفتها ، ثم  
استعرضت في البحث الاول من الفصل الثاني : تعريف الدعوة  
لفئة واصطلاحها ، ومكانتها في حياة الانسان ، ثم ذكرت في البحث  
الثاني : أن الدعوة الى الله ، هي الوظيفة الجوهرية للدولة الاسلامية .

## الباب الثانى :

حاولت أن أبرز فى هذا الباب معالم الدعوة التى وضعتها الدولة النبوية فى طريق الأمة الاسلامية ، فالباب يحوى على فصلين :

حاولت أن أنتظر - فى الفصل الأول - الى المقومات الدعوية من خلال الواقع السيرى .

فبحثت فى البحث الأول من الفصل عن جهود سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم فى بناء العقائد ، كما استعرضت فى البحث استعراضا اجماليا ، الشخصيات العقدية التى رباها الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ثم دخلت فى البحث الثالث واستعرضت دعائم المجتمع الاسلامى الدعوى الذى كونه رسول الله صلى الله عليه وسلم كمجتمع نموذجى للعالم الانسانى ، وذكرت عشرة دعائم مهمة ، بحيث ضياع واحدة منها خسارة فادحة للأمة الاسلامية ، ولو جمعت الأمة هذه الخصال العشرة فى مجتمعها لنجحت فى مهمتها الدعوية نجاحا عظيما .

وخصصت الفصل الثانى للكلام عن الدولة الدعوية التى اسسها الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ، وذكرت وتبينتها والمهمة : وهى : المحافظة التامة الحذرة على قيم المجتمع الاسلامى الدعوى ، داخليا وخارجيا ، وذلك فى البحث الأول من الفصل . ثم ذكرت وظيفة الدولة الثانية

والمهمة وهى : حمل رسالة المجتمع الدعوى الى العالم الانسانى

أجمع ، وذلك فى المبحث الثانى من الفصل •

### الباب الثالث :

استعرضت فى هذا الباب معالم الدعوة التى وضعا الراشدون و معاوية

بن أبى سفيان - رضى الله تعالى عنهم - فى طريق الأمة الاسلامية •

وهذا الباب يحتوى على أربعة فصول :

استعرضت اجماليا - فى الفصل الأول - أن الراشدين رضى الله

تعالى عنهم ، حافظوا محافظة كاملة على أصالة الدعوة الاسلامية

فى حكمهم •

وفى الفصل الثانى : ذكرت أن الراشدين رضى الله عنهم كانوا حذرين

جدا فى الحفاظ على مقومات المجتمع الانسانى الدعوى •

واستعرضت خدماتهم الدعوية فى ضوء علاقاتهم الظرجية ، فى الفصل

الثالث •

وخصصت الفصل الرابع للبحث عن حكم معاوية رضى الله عنه •

فبما أن شخصية معاوية رضى الله عنه كانت فى طرف فى الفتنة التى ابتدئ

بها الصحابة رضى الله عنهم ، لمست ضرورة ايضاح الأمر بأن هذا لاينفسى

الدعوية عن شخصياتهم ، إذ أن كل فئة من الصطبة كانت مجتهدة

فمن وافق اجتهادها الصواب لها أجوان ، ومن لم يوافق اجتهادها الصواب

فلها أجر واحد ، فبحث عن هذه الحقيقة فى المبحث الاول من الفصل •

ثم استعرضت حكم معاوية رضى الله تعالى عنه في المبحث الثاني ،  
وذكرت أن حكمه هو الحد الأقصى للحكم الاسلامى الدعوى الأصيل .  
واستعرضت في الخاتمة محتويات الرسالة ، وساطع مسن

من النتائج عن هذا البحث

وقمت باعداد الرسالة بعد ما أخلصت النية ابتغاء لوجه  
الله ، فما وفقت فيه ، فمن الله سبحانه وتعالى ، وما أخطأت فيه  
فهو من تقصيرى ، وأرجو من الله جل شأنه العفو والمغفرة ، وأسأله  
تعالى أن يتقبل منى هذا الجهد المتواضع فى سبيل الدعوة  
الاسلامية ، وجعله وسيلة لنجاحى فى العاجلة والآجلة ، وهوولى  
التوفيق ، وبه تتم الصالحات . . . . .

شكر ودعاء .

\*\*\*\*\*

أحمد الله تعالى أولا وأشكره ، إذ أعاننى على كتابة هذه الرسالة  
ويسرها لى ، على الرغم من العقبات التى اعترضت سبيلى ، ثم انى انطلقا  
من قوله صلى الله عليه وسلم :

” لا يشكر الله من لا يشكر الناس ” (١)

أتقدم بوافرشكرى ودعائى للجامعة الاسلامية العزيزة التى قضيت فى  
حضانها مرحلة دراستى الجامعية ، ثم انى أتقدم بشكرى أيضا الى  
المسؤولين فى الجامعة وقسم الدراسات العليا كافة وفى مقدمتهم نائب  
رئيس الجامعة ورئيس الدراسات العليا ، وأخص بشكرى أيضا فضيلة  
الدكتور أكرم ضياء العمرى ، وأستاذى الدكتور عبد المنعم حنين  
الذى تكرم بالاشراف على رسالتى وأفادنى افادة لا يستهان بقيمتها  
فجزاهم الله تعالى فى الدارين خيرا . وأشكر أيضا كل من أحسن  
الى فى اثناء كتابة هذه الرسالة ولو بكلمة عند الحاجة ، فتقبل الله  
حسن نياتهم وجزاهم خيرا فى العاجلة والآجلة .

والحمد لله أولا وآخرا

المبدالمعاجز : عبد الحميد ملاحرى



# الباب الأول

## الدَّيْنَةُ

وظيفة الدولة الإسلامية الجهورية

الفصل الأول:

### الدَّوْلَةُ

عناصرها، ووظيفتها

الفصل الثاني:

وظيفة الدولة الإسلامية

(( الباب الأول ))

=====

الدعوة

وظيفة الدولة الإسلامية الجوهرية

=====

وفيه فصلان :

\_\_\_\_\_

الفصل الأول :

\_\_\_\_\_ الدولة : عناصرها ووظيفتها

=====

ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان وأودع في طبيعته ألا يمشي

وحيدا ومنمزلا عن البيئة وما يحدث في الكون ، فهو يميل فطريا الى أن يحيا

حياة اجتماعية ، ولعلنا لانخطئ لو قلنا : ان الانسان حيوان اجتماعي

ويشير الى ذلك ابن خلدون في مقدمته <sup>(١)</sup> فيقول :

" ان الاجتماع الانساني ضروري ، ويعبر الحكماء عن

هذا بقولهم : ان الانسان مدني الطبع ، اي لابد له

من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم ، وهو معنى

العمران ..... "

والمجتمع الانساني عبارة عن :

• - جمع متفاعل من الناس •

(١) أنظر : المقدمة : ٤١ •

- يعيشون في بقعة واحدة •
  - لهم ولايات ومخاوف ومعتقدات وورغبات •
  - وصول ومشكلات مشتركة •
  - يشعرون أنهم جزء من بعضهم البعض<sup>(١)</sup> •
- والدولة لاتنزل من السماء ولا تتبع من الأرض ، بل تنشق من  
هذا المجتمع الانساني فاذ أنها من أهم مقتضيات المجتمع ، يقول ابن خلدون<sup>(٢)</sup>  
اشارة الى هذه الحقيقة :

” ثم ان الاجتماع اذا حصل للبشر كما قررناه ، وتم عمران العالم  
بهم ، فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم  
الحيوانية من العدوان والظلم ، وليست السلاح التي جعلت  
دافعة لعدوان الحيوانات المجرم عنهم كافية في دفع العدوان  
عنهم ، لأنها موجودة لجميعهم ، فلا بد من شيء آخر يدفع  
عدوان بعضهم عن بعض ، ولا يكون من غيرهم لقصور جميع  
الحيوانات عن مداركهم والهامة تهم ، فيكون ذلك الوازع واحد  
منهم ، يكون له عليهم الفلبة والسلطان واليد القاهرة ،  
حتى لا يصل أحد الى غيره بعدوان ، وهذا هو معنى الملك... ”  
وثبت بذلك أن الدولة تنشق من كيان المجتمع ، والمجتمع يتكون من الأفراد ،

(١) أنظر : د / عبد النعم شوقي : تنمية المجتمع وتنظيمه : ١٤ ، ١٥ •

(٢) أنظر : المقدمة : ص : ٤٣ •

فالأفراد والمجتمع عنصران متداخلان ، أصبحتا عنصرا مهما للدولة وهو :  
العنصر المادى ، وهناك عنصر روحى للدولة وهو : القيم والمبادئ  
التي يقوم عليها ذلك المجتمع الانسانى . . . . .

والخلاصة : أن الدولة تتكون من عنصرين مهمين ، المادى ،  
والروحى ، فعنصرها المادى الأفراد والمجتمع ، وعنصرها الروحى : المبادئ  
والقيم لذلك المجتمع .

وهيكل الدولة يتكون كالتالى :

أ - صاحب السلطة العليا : وهو إما ملك ، أو رئيس الدولة ، أو رئيس

الوزراء على حسب اختلاف التعبير واختلاف نظم الحكومة .

ب - المستشارون : وهم الوزراء وأعضاء مجلس الشورى .

ج - القضاة

د - المسئولون الكبار ، وهم : ضباط الجيش والشرطة ، والمسئولون

فى دواوين الحكومة ، وعمال الولايات ، أو أمراء المناطق .

ولا بأس لو استأنسنا فى هذا الصدد من قول الخليفة العباسى

أبى جعفر المنصور ، الذى يدل على حزمه وتيقظه ، ومد نظره ودقته

فهيمه سياسة البلاد ، فقال :

" ما أحوجنى الى أن يكون على بابى أربعة نفر ، لا يكون على

بابى أعف عنهم ، قيل له : يا أمير المؤمنين ؟ من هم ؟

قال : هم أركان الملك . ولا يصلح إلا بهم ، كما أن السرير

لا يصلح الا بأوسع قوائم ، وان نقصت واحدة ، وهى ، أما  
أحدهم : ففاض لا تاخذه فى الله لومة لائم ، والآخرون :  
صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى ، والثالث : صاحب  
خراج يستعصى ولا يتالم الرعية ، فانى من ظلمها غنى  
والرابع : ثم عرض على أصبعه السبابة ثلاث مرات ، يقول  
فى كل مرة : اه ، اه ، اه ، اه - قيل : ومن هو يا أمير  
المؤمنين - ؟ قال : صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء  
على الصحة . . . .<sup>(١)</sup>

وقد مضى ما ذكره ابن خلدون بأن الدولة تنبثق من المجتمع لضرورة دفع  
عدوان بعض أفرادها على بعض ، بهذا أشار ابن خلدون الى وظيفة الدولة ، بأنها :  
محافظة الدولة على مصالح أفراد المجتمع عامة ، واستعمال قوتها وسلطتها  
لمنع الأيدي الظالمة عن الظلم ، ولا سترداد حقوق المظلومين ، وهى تضع  
لذلك قوانين وتمهيرات وما الى ذلك ، ومن هنا نعلم أن وظيفة الدولة  
الجوسفية - هى - :

الحفاظ على قيم ذلك المجتمع وبنائه ، وحضارته وثقافته ، وخصائصه  
ومميزاتة ، محافظة ذات حذر ويقظة ، إذ أن القيم هى روح المجتمع ومصدر  
الدولة الروحية - كما أسلفنا - وما دامت الروح قوية محكمة ، بقيت الدولة  
قوية غالبة ، واستمر مجتمعها على دربه مسكاً وخصائصه ، وإذا قصرت

(١) أنظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٦٧/٨ .

الدولة - لا قدر الله - في أداء وظيفتها الجوهرية ، ضعفت الروح فسى  
 كيان الدولة وفي كيان المجتمع ، .

ومما لا ريب فيه أن الدولة لا تستطيع أن تؤدى وظيفتها الجوهرية  
 الا اذا كان العنصران المهمان لها صحيحين ، قويين ، مستقيمين ، لم يلمسها  
 أى نوع من الانحراف ، وطادة يدخل الانحراف أولا من الجهة الممنونة - وهى  
 الناحية الروحية - ان أن ادراك وجود الانحراف فى تلك الجهة دقيق ،  
 لا يتضح الا بعد فحص دقيق ، واذا تعطلت عملية الفحص - لسبب ما - استمر  
 الانحراف وتسرب تلقائيا الى العنصر المادى للدولة وهو : الأفراد والمجتمع  
 والنتيجة ظاهرة ، كيف يتوقع من الدولة التى أصبح عنصراها مضمحلين ضعيفين  
 أن تؤدى وظيفتها الجوهرية جيدا ومحكما ونشاط موفور - )

نعم ، توجد فى بعض الأحيان دولة ذات أبهة وسيطرة ، سطوة  
 وكبرياء مع ضعف عنصرها الروحى لسبب ما ، ولكن تقتصر تلك الأبهة  
 والنفخه ، على الظاهرة فقط ، وداخلها يصبح مجرولا شيئا فشيئا ،  
 وربما يقضى ضعف الروح على تلك الأبهة الظاهرة ، ويحصل هذا عندما يحدث  
 - حسب اقتضاء العوامل العمرانية - احتكاك بين الحضارتين والثقافتين  
 وبين المبادئ والقيم ، فلا تستطيع الدولة التى ضعيفة الروح قوية الأبهة أن  
 تؤدى وظيفتها الجوهرية ، بأن تقف فى وجه المبادئ المزعومة والحضارة الفازية ،  
 . . . . . بل يبدأ مجتمعا يستسلم أمام الحضارة الفازية ، ويقبل مبادئها  
 وقيمتها - ولو كانت باطلة - وهذه حقيقة قد أثبتتها العوامل التاريخية . . .  
 ولا بأس لو ضربنا ههنا مثلا واقميا حدث فى حاضرنا ، فلنعتبر . . . . .

كلنا يعرف أن الشيوعية نظرية باطلة ، وقد ثبت بطلانها بمرور الأيام والليالي ، وتبين للمعقلاء أن ما ادعاه الشيوعيون من مساواة وعدل في نظامهم ، وتوفير الرفاهية في مجتمعهم ، قد أبطله جميعا سلوكهم في مستعمراتهم ، والفردوس المفقود الذي يحلمون به لم يتحقق بعد على وجه الأرض ، وكيف لا ( ان الباطل كان زهوقا ، ولكن ... مع ذلك بدأت هذه النظرية الباطلة تتسرح في العالم ، وتأخذ مكانة لا بأس بها في المجتمع الانساني ، وذلك بفضل ايمان حامليها بها ايمانا قويا ومحكما ، وجدهم بالدعوة اليها من ناحية ، ويفضل قيام دولتها برواجها وعضها عليها بالتواجد من ناحية أخرى .

لقد قامت الدولة الشيوعية في بلاد روسيا في عام ١٩١٧م ، ومنذ ذلك الحين حتى الآن ، نطق كلمة ضد الشيوعية في البلاد جريمة تكراه تبسّر اعدام ناطقها ، وكل ما يختاره المسئولون في الدولة من سياسة عنف وجبر وشدة ، ليس وراءه الا هدف واحد ، وهو : الحفاظ على نظريتهم الباطلة وترويجها ، ومن أجل ذلك أصبح عديد من دول العالم تنظر الى هذه النظرية نظرة الجشع والطمع ، وقد اعتنقها البعض من الدول التي أصبحت روحها ضميقة جوفاء .

ومن ثم نستطيع أن نقول : ان وظيفة الدولة الجوهريّة ، هي الحفاظ على مبادئها وقيمتها ، وحضارتها وثقافتها ، وخصائصها ومميزاتها محافظّة تامّة حذرة ، ثم ابلاغها الى الناس ودعوتهم اليها . فاذا استطاعت دولة أن تنجز مهمتها انجازا لا يستهان بقيمته ، بفضل ادائها وظيفتها الجوهريّة بغاية الدقة والأمانة ، فكيف لا تستطيع الدولة الحقّة أن تتكلم بالنجاح

والفلاح اذا أدت وظيفتها الجوهرية بدقة وأمانة - ؟ ..... لا شك أن  
هذا الكون قد جمعه الله تبارك وتعالى دار الأسباب ، فمن اختار السبب  
نعال السبب ، من جند وجد .

وبناء على تلك النتيجة التي وصلنا اليها في بحثنا في هذا  
الفصل ، يحسن بنا أن نبحث عن وظيفة الدولة الاسلامية الجوهرية  
وهذا ما سوف نراه في الفصل التالي :



## الفصل الثانى :

### وتليفة الدولة الاسلامية

ان الاسلام دين حق اختاره الله سبحانه وتعالى للناس كافة ، قال تعالى مخاطبا رسوله محمد بن عبد الله المصطفى صلى الله عليه وسلم :

(( وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا <sup>(١)</sup> )) ، والاسلام هو الدين الذى أكمله الله سبحانه وتعالى وشهد بكماله ، فقال تعالى : (( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً <sup>(٢)</sup> )) فما أكمله الله تعالى هو الكامل ، وما بقى المجال لأحد أن ينقص منه شيئا أو يزيد فيه ، والاسلام هو الدين الكامل الذى يستطيع انقاذ البشرية جمعا من مهالوى المهالك فى الدنيا والآخرة ، ومن أجل ذلك أعلن الله سبحانه وتعالى بنهاية الوضوح والصراحة بأنه لن يرضى سبحانه وتعالى لعباده ديناً غير الاسلام فقال تعالى : (( ومن يتنخ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين <sup>(٣)</sup> )) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" والذى نفس محمد بيده ، لا يسمع بى أحد من هذه الامة

يهودى ولا نصرانى ، ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان

من أصحاب النار <sup>(٤)</sup> "

- 
- (١) سورة سبأ : الآية : ٢٨ .  
 (٢) سورة المائدة : الآية : ٣ .  
 (٣) سورة آل عمران : الآية : ٨٥ .  
 (٤) رواه مسلم : ٢ / ١٨٦ .

وقال صلى الله عليه وسلم :

" والذي نفس محمد بيده ، لو بدأ لكم موسى ، فاتبعتموه

وتركتموني ، لضللتهم عن سواء السبيل ، ولو كان حيمًا

وأدرك نبوتى لا تبعنى <sup>(١)</sup> "

وبهذا تبيين وظيفة الدولة الاسلامية ، بأنها : الحفاظ على

مبادئ الاسلام وقيمه ، وحضارته وثقافته ، وخصائصه ومميزاته ، محافظة ذات

حذر ويقظة ، والقيام بدعوة الناس جميعا الى الاسلام .

وكيما نتوسع قليلا في هذا المعنى نود أن نستعرض معنى الدعوة

ومكانتها في حياة الانسان ، وسوف نرى ذلك في المبحث الآتسى :

---

(١) رواه الدارصمى : ١ / ١١٦ .

## المبحث الأول :

الدعوة ، ومكانتها في حياة الانسان

### ما الدعوة - ؟

اجابة عن هذا السؤال ، يحسن بنا أن ننظر في معنى الكلمة لغة واصطلاح ، علما أن هناك صلة وثيقة بين المعانى اللغوية والاصطلاحية .

أولا : الدعوة لغة :

كلمة الدعوة اسما كان أو مصدرا - على اختلاف اللغويين - لها معان عدة ، منها : النداء<sup>(١)</sup> ، والطلب<sup>(٢)</sup> ، والاستدعاء<sup>(٣)</sup> ، يقال : دعوا

- 
- (١) أنظر : الأزهرى : تهذيب اللغة : ٣ / ١٢٠ ( مادة : دعا )  
و : ابن فارس : معجم مقاييس اللغة : ٢ : ٢٧٩ ( مادة : دعو )  
و : الجوهري : الصحاح : ٦ / ٢٣٣٦ ( مادة : دعا )  
و : ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم : ٢ / ٢٣٤ - ٢٣٥  
( مادة : د - ع - و )  
و : ابن منظور : لسان العرب : ١٤ / ٢٥٨ و ٢٦٠ ( مادة : دعا )  
و : الزبيدي : تاج العروس : ١٠ / ١٢٧ ( مادة : دعا )
- (٢) أنظر : ابن سيده : م - ن  
" : ابن منظور : م - ن  
(٣) أنظر : الأزهرى : م - ن  
" : الزبيدي : م - ن  
(٤) أنظر : ابن فارس : م - ن  
" : ابن منظور : م - ن

الرجل دعوا ودعاء : نداء<sup>(١)</sup> وصاح<sup>(٢)</sup> به .

وقد وردت هذه الكلمة بصيغ مختلفة لعمان عديدة<sup>(٣)</sup> في كتاب

الله عز وجل منها ما يلي :

١ - النداء والطلب :

- قال تعالى :

(( ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا انتم تخرجون ))<sup>(٤)</sup>

اي بأن قال : " يا أهل القبور قوموا<sup>(٥)</sup> " أو " أيها الموتى  
اخرجوا<sup>(٦)</sup> .

- وقال :

(( فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ))<sup>(٧)</sup>

---

(١) أنظر : ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم : ٢٣٤/٢ - ٢٣٥

( مادة : د - ع - و )

(٢) أنظر : ابن منظور : لسان العرب : ٢٥٨/١٤ و ٢٦٠

( مادة : دعا )

(٣) أنظر : معجم الفاظ القرآن الكريم ( وضع لجنة منبثقة عن مجمع اللغة

العربية بمصر ) .

(٤) سورة السورم : الآية : ٢٥ .

(٥) أنظر : القرطبي : الجامع رُحَام القرآن : ١٤ / ٩ .

(٦) أنظر : أبو السمود : ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم :

٤ / ٣٦٠ .

(٧) سورة الكهف : الآية : ٥٢ .

أى : نادوهم للاغاثة فلم يفثوهم<sup>(١)</sup> .

- وقال :

(( فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين<sup>(٢)</sup> ))

أى : فاطلبوا منهم النفع والضرر<sup>(٣)</sup> .

٢ - سؤال كشف ضراً أو سوق نفع :

- قال الله تعالى :

(( واذا من الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً<sup>(٤)</sup> ))

أى : دعانا لكشف الضر الذى نزل به ، وازالته<sup>(٥)</sup> .

٣ - الاستمانة والاستغاثة :

- قال تعالى :

(( وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين<sup>(٦)</sup> ))

يعنى : استنصروا ، واستمعينوا ، كما قال الشاعر :

فلما التقت فرساننا ورجالهم . . . دعوا يالكعب واعتزنا لعامر<sup>(٧)</sup>

---

(١) أنظر : ابوالسمود : ٣ / ٥٣١ .

(٢) سورة الأعراف : الآية : ١٩٤ .

(٣) أنظر : القرطبي : ٧ / ٣٤٢ .

“ : ابوالسمود : ٢ / ٤٥٤

(٤) سورة يونس : الآية : ١٢

(٥) أنظر : ابوالسمود : ٢ / ٦٣٧

(٦) سورة البقرة : الآية : ٢٣ .

(٧) أنظر : الطبري : جامع البيان فى تفسير القرآن : ١ / ١٣٠ .

- وقال تعالى :

(( قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ))<sup>(١)</sup>

أى : ادعوا شركاءكم واستمعنوا بهم على<sup>(٢)</sup> .

٤ - المهابة :

- قال الله تعالى :

(( ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك ))<sup>(٣)</sup>

أى : لاتعبد من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك<sup>(٤)</sup> .

- وقال تعالى :

(( ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ))<sup>(٥)</sup>

تدعون : أى تمهدون<sup>(٦)</sup> .

٥ - الحجض على الشئ :

- قال الله تعالى :

(( ولتكمن منكم أمة يدعون الى الخير ))<sup>(٧)</sup>

---

(١) سورة الأعراف : الآية : ١٦٥ .

(٢) أنظر : ابوالسعود : ٤٥٥ / ٢ .

(٣) سورة يونس : الآية : ١٠٦ .

(٤) أنظر : القرطبي : ٣٨٨ / ٨ .

(٥) سورة الأعراف : الآية : ١٦٤ .

(٦) أنظر : القرطبي : ٣٤٢ / ٧ .

(٧) سورة آل عمران : الآية : ١٠٤ .

يدعون : اى يخشون على الخير<sup>(١)</sup> .

- وقال تعالى :

(( ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل عملا صالحا وقال اننى  
من المسلمين<sup>(٢)</sup> ))

دعا : اى حث على عبادة الله<sup>(٣)</sup> .

- وقال تعالى :

(( يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما  
يحییکم<sup>(٤)</sup> ))

دعاكم : اى حثكم على ما يحييكم<sup>(٥)</sup> .

- وقال :

(( قل هذه سبيلی ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى<sup>(٦)</sup> ))

ادعوه : اى احث على عبادة الله تعالى<sup>(٧)</sup> .

والمعنى اللغوى الأخير ، اى الحث على الشئ ، أو الحث

على عبادة الله له صلة وشيخة بمعنى الدعوة الاصطلاحى .

---

(١) أنظر : معجم الفاظ القرآن : ١ / ٤١٢ .

(٢) سورة فصلت : الآية : ٣٣ .

(٣) أنظر : معجم الفاظ القرآن الكريم : ١ / ٤٠٨ .

(٤) سورة الأنفال : الآية : ٢٤ .

(٥) أنظر : المصدر السابق : م - ن .

(٦) سورة يوسف : الآية : ١٠٨ .

(٧) أنظر : المصدر السابق : ١ / ٤٠٩ .

ثانها : الدعوة اصطلاحاً :

وهي قيام المسلمين - دولة<sup>(١)</sup> وأمة<sup>(٢)</sup> وأفراداً<sup>(٣)</sup> - بتبليغ الناس كافة ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والحق ، اخراجاً لهم من الضياع الطائر الى الرشاد الهيمن ، ومن ظلمة الباطل الى نور الحقيقة

- (١) بناءً على قوله تعالى : (( الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور )) (سورة الحج : ٤١) قال الشوكانى : - (( الذين ان مكناهم فى الأرض )) قيل : ولاية المدل وقيل غير ذلك وفيه ايجاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على من مكناه الله فى الأرض ، وأقدره على القيام بذلك )) (أنظر : فتح القدير : ٤٥٧/٣)
- (٢) بناءً على قوله تعالى : (( كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله )) الآية (سورة آل عمران : الآية : ١١٠) قال الشوكانى : (( قال مجاهد انهم خير أمة على الشرائط المذكورة فى الآية ..... وأخرج ابن جرير عن قتادة : أن عشرين الخطاب قرأ هذه الآية ثم قال : أيها الناس ، من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله منها - )) (فتح القدير : ١/٣٧١-٣٧٢)
- (٣) بناءً على قوله تعالى : (( قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبختنى الله وما أنا من المشركين )) (سورة يوسف : الآية : ١٠٨) وبناءً على قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم " ألا ، فليبلغ الشاهد الغائب " (رواه البخارى : ١ / ١٩٩ ) .



ومن الميسل الجائرة الى الصراط المستقيم في أمور دينهم ودنياهم .<sup>(١)</sup>  
 وهذا التبليغ واجب على الدولة والأمة والأفراد ، على قدر الطاقة  
 ومن خلال الاختصاص ، هكذا كانت الطل في العهد النبوي والعهد الراشدي  
 والمهدود التي نحت منحاهما ، لقد كان الكيان الاسلامي في هذه المهدود  
 كيانا دعويا خلاصا دون تحريف أو تأويل أو تملص .

وهذا التعريف — فيما يبدو — يضح الدعوة في مكانها الفطري من  
 حياة الانسان ، ألم تره أن الدعوة فوات صلة عميقة بنفسيته وفطرته ، وأنه  
 مفطور على الدعوة الى ما يعتقد ، ، إذ في ذلك نوع من التحقيق لوجوده ،  
 ولسون من حمايته ، وقد خلق على فطرة سليمة لا هوج فيها ولا تعقيد ،  
 انما هي الموامل الخارجية التي تعده عن جادة فطرته السليمة ، والدليل  
 على هذا ما رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 أنه قال :

” ما من مولود الا يولد على الفطرة ، فابواه يهودانه

ونصرانه ومجسانه ، كما تنزع البهيمة بهيمة جماء

هل تحسون فيها من جدطاء ”

---

(١) مأخوذ من قول الصطبي رضى بسن عامر رضى الله عنه أمام رستم  
 قائد جيش الفرس : ” الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة  
 المعبود الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سمتها ومن جور  
 الأديان الى عدل الاسلام ”

( انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ٣٩/٧ )

ويقول أبو هريرة : اقرؤا ان شئتم : (( فطرت الله التي فطر  
الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم )) (١)  
ومن خصائص تلك الفطرة السليمة للانسان ، أنه اذا وجد  
ما يراه خيرا دعا أبناء جنسه اليه ما لم تغلب عليه الأثانية ، او النغمية  
أو ما يشا بهما ، ويستتبط هذا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
حيث قال :

" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " (٢)

فصرح صلى الله عليه وسلم أن ايمان المسلم لا يعتبر كاملا الا اذا أحب  
لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ، لأن دين الفطرة يقتضيه - ألا ، وهو الاسلام -  
وثبت بهذا أن الدعوة الى ما يراه الانسان خيرا هي من مقتضيات الفطرة الانسانية  
ويزداد هذا الاقتضاء الفطري روعة وجمالا اذا كانت القلوب مشرقة بنور الايمان  
ومشرحة بحلاوته ..... ها ، هو وفد عبد القيس ، يفد على رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : " يا رسول الله ! انا هذا الحي من ربيعة  
وقد حلت بيننا وبينك كفار مضر ، فلا نخلفك الا في شهر الحرام ،  
فمرنا بأمر نعمل به وندعوا اليه من وراءنا " قال : آمركم بأربع وأنهاكم عن  
أربع " (الحديث) (٣)

- 
- (١) سورة الروم : الآية : ٣٠  
(٢) متفق عليه ، واللفظ للبخارى : ٢١٨ / ٣ و ٢٤٥  
(٣) متفق عليه ، واللفظ للبخارى : ٥٦ / ١ و ٥٧  
(٤) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٨١ / ١ - ١٨٣

القوم ، فيهم الخير كل الخير ، يسألون رسول الله  
وسلم عن الخير ، وبناءً على فطرتهم الصالحة يملنون أمام رسول الله صلى  
الله عليه وسلم من غير أمر أو تحريض ، أنهم يريدون أن ييلفوا هذا الخير  
الى من ورائهم من أبناء جنسهم .....

" فسرنا بأمر نعمل به ، ونسعد عواليه من وراءنا "

فثبت ، أن الانسان مولع بالدعوة نفسها وفطريا ، وأنها تقع من  
فطرته ونفسيته موقعا عميقا .....

هذا ما يتبين لنا اذا ما استعرضنا مكانة الدعوة - داخلها -  
في حياة الانسان ، ولذا ما استعرضنا مكانة الدعوة في حياة الانسان ، فسي  
مظاهرها الخرجية ، ألفينا هناك دعوتين متنافستين من الأزل :

الأولى : الدعوة الى الخير .

الثانية : الدعوة الى الشر .

فالدعوة الى الخير : هي الدعوة الى الله ، والحقى على عبادته  
وحده .....

وحده لا شريك له ، فقال الله سبحانه وتعالى :

(( وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون <sup>(١)</sup> ))

كما كلفه الله عز وجل أن يعبد ربه في جميع شئون حياته خنيفا غير مشرك

به ، ويدعو أبناء جنسه الى هذه العبادة تلبية لما تقتضيه فطرته السليمة .....

---

(١) سورة الذاريات : الآية : ٥٦ .

قال الله سبحانه وتعالى :

(( يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ))<sup>(١)</sup>

وقال تعالى :

(( واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ))<sup>(٢)</sup>

وقال تعالى :

(( قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ، إليه أدعـــو  
واليه صآب ))<sup>(٣)</sup>

فحمل الانسان راية هذه الدعوة الكريمة ، كما ذكره الله تعالى

في كتابه العظيم :

(( اننا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فأبين

أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ، انه كان ظلوماً جهولاً ))<sup>(٤)</sup>

والمراد " بالأمانة " : التكليف الشرعية ، والطاعة والفرائض<sup>(٥)</sup>

على قول جمهور المفسرين ، وقال القرطبي<sup>(٦)</sup> : " الأمانة تعم جميع واثق الدين

على الصحيح من الأقوال ، وهو قول الجمهور " .

---

(١) سورة البقرة : الآية : ٢١ .

(٢) سورة النساء : الآية : ٣٦ .

(٣) سورة الرعد : الآية : ٣٦ .

(٤) سورة الأحزاب : الآية : ٧٢ .

(٥) أنظر : ابوالسمود : ٤ / ٤٣٧ .

(٦) أنظر : الشوكاني : فتح القدير : ٤ / ٣٠٨ .

(٧) أنظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٤ / ٢٥٣ .

والدعوة الى الله ، هي أفضل وظيفة للإنسان الذي يعيش على هذا

الكوكب الأرضي ، كما قال الله سبحانه وتعالى :

(( ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ))<sup>(١)</sup>

واختار الله تبارك وتعالى لهذه المهمة الجليلة أحب خلقه اليه وأفضلهم

على الاطلاق ، وأمره - صلى الله عليه وسلم أن يعلن مهمته الجليلة - وهي

الدعوة الى الله - بكل صراحة ووضوح ، فقال :

(( قل هذه سبيلى ، أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى

وسبحان الله وما أنا من المشركين ))<sup>(٢)</sup> ثم جعلها

وظيفة أساسية لأمة حبيبه صلى الله عليه وسلم فقال :

(( كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون

عن المنكر وتؤمنون بالله ))<sup>(٣)</sup>

وأما الدعوة الى الشر ، فتعنى الدعوة الى غير الله ،

والخى على عصبان الله وعبادة غيره ، والى الاستكبار فى الأرض والاصرار

على أعمال الشر والفساد و الطغيان ، وقد حصل هذه الدعوة

الخبثية ابليس وجنوده ، حقا على آدم وذريته ، حقا منهم وبغضا

لهم فقال :

---

(١) سورة فصلت : الآية : ٣٣ .

(٢) سورة يوسف : الآية : ١٠٨ .

(٣) سورة آل عمران : الآية : ١١٠ .

" لا تأخذن من عبادك نصيبا مفروضا • ولا أضلنهم •  
 ولا منينهم ولا تمرنهم • فليبتكن <sup>(١)</sup> آذان الأتعام ولا تمرنهم  
 فليغيرن خلق الله <sup>(٢)</sup> •"

— وقال :

" فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم • ثم  
 لا تينهم من يمن أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن  
 شما ثلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين <sup>(٣)</sup> •"

— وقال :

(( أرايتك هذا الذي كرمت على • لئن أخرتن السي  
 يوم القيامة لأحتكن <sup>(٤)</sup> ذريته الا قليلا <sup>(٥)</sup> ))

فاستمر الصراع العنيف بين هاتين الدعوتين • دعوة كلف بها

الانسان • ودعوة طرقتها وقت في وجهها بخبثها وضلالها • واغرائها ودهائها  
 يحملها الشيطان الفسوى • والمدرا الأزل للانسان • والتاريخ الانساني  
 في معظمه — عبارة عن هذا الصراع العنيف المستمر في صور شتى •

(١) البتك : القطع • • ومنه : " سيف باتك " • وقد فعل الكفار ذلك  
 امثالاً لأمر الشيطان واتباعاً لرسمه • فشقوا آذان البهائم والسواحب •

(الشوكاني : فتح القدير : ٥١٢/١)

(٢) سورة النساء : الآيتين : ١١٨ • ١١٩ •

(٣) سورة الأعراف : الآيتين : ١٦ • ١٧ •

(٤) أي : لأستولين عليهم بالاغواء والاضلال • قال الواحدى : أصله من

﴿ حتناك الجراد الزرع ﴾ وهو أن تستأصله بأخناكها وتفسده • هذا هو

الأصل سعى الاستيلاء على الشيء وأخذه كله : احتناك •

(أنظر : الشوكاني : فتح القدير : ٢٤١/٣)

(٥) سورة الاسراء : الآية : ٦٢ •

يقول سيد قطب الشهيد - رحمه الله - في ظلال القرآن<sup>(١)</sup> : " إن أمام الإنسان طريقين اثنين لا ثالث لهما : طريق الله ، وطريق الشيطان ، إن يستمع إلى وعد الله ، أو أن يستمع إلى وعد الشيطان ، ومن لا يسير في طريق الله ويستمع وعده ، فهو هائر في طريق الشيطان ويتبع وعده . . . . وليس هناك إلا منهج واحد ، هو الحق . . . . المنهج الذي شرعه الله ، وما عداه فهو للشيطان ومن الشيطان "

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله تعالى عنه - قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبا ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خطب خطوبا عن يمينه وعن شماله ، وقال : هذه سبيل ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه . وقرأ : (( وإن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه )) الآية<sup>(٢)</sup>

(١) أنظر : ١ / ٣١٣ .

(٢) رواه الدارمي : ١ / ٦٧ .

فما هو واجب الانسان اذن - ؟

فواجب الانسان اذن : أن يخلص دينه لله ، وأن يتبنى الدعوة الى دين الله هذه ، هي الدعوة ، التي تكفل للانسان خيره الشامل الكامل فسي العاجلة والآجلة ، ، ، ، ولست أريد بذلك أنه يجب على جميع المسلمين أن يكونوا " دعاة متفرغين " ، بل الذي أريد هو : أن يكون جميع المسلمين " دعاة ملتزمين " ، بحيث يمارس كل منهم الدعوة الى الحق على قدر طاقته ، ومن خلال اختصاصه - كما أسلفنا - طالما كان أو تاجرا ، طبييا كان أو مهندسا ، فلا ط كان أو عاملا ، غنيا كان أو فقيرا ، حاكما كان أو محكوما ، وما الى ذلك ، ، ، ، وبذلك يتحقق ما أراد الله سبحانه وتعالى من عبده ، وهو : أن يعبده ويذكره في كل حال من أحواله ، فقال تعالى :

(( ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار

آيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا

وعلى جنوبهم . ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ، ربنا

ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار . ))<sup>(١)</sup>

واذا نسي الانسان واجبه ، وتخطى عن وظيفته الجوهرية - وهي :

الدعوة الى الله - فيها أنه مفسور على الدعوة - كما أسلفنا - حل دعوة

عدوه المبين - وهو الشيطان الفرور النسوي - الذي يرصده في كل

لحظة وأن ، ويخرجه بكل ما يملكه من المكر والدهاء ، والخدعة والاغترار ،

(١) سورة آل عمران : الآيتين : ١٩٠ - ١٩١ .



وقد حدثت هذه المأساة فعلا ، فان الشقاء والدمار اللذين لم يزل يصادفهما الانسان في تاريخ الطويل - والتاريخ يعيد نفسه على نحوها - ليس لهما من سبب الا ميل الانسان عن دعوته الحقيقية الى دعوة عدوه الباطلة المنافسة . وليذهب بعض علماء علم الاجتماع والتاريخ وغيرهم ما شاءوا من المذاهب في تأويل شقاء الانسان ودماره عبر التاريخ ، فان ذلك لا يغير من الحقيقة الواقعة شيئا . . . ولقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذه السبب الرئيسي لشقاء الانسان ودماره عبر القرون ، في كتابة العزيز ، ونود أن نذكر نبذة من اشارته ههنا :

فهؤلاء : بنو اسرائيل ، الذين اختارهم الله تعالى - في عصرهم - لحمل لواء الدعوة الى الله ، اشتغلوا بالسحر بعد ما حدث فيهم ما حدث من الضعف والوهن في أداء وظيفتهم الجوهرية ، فدخلوا عن دعوتهم الاصيلة ولبسوا دعوة عدوهم المبين - الشيطان - فانتهوا الى الخسران والهبوط . . . قال الله تعالى اشارة الى ذلك :

(( واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين بباهل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنه فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرأ وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ، ولبس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون . ))<sup>(١)</sup>

ومن أجل ذلك منعت هذه الأمة الاسلامية التي اختارها الله تعالى  
 كما تظلمع بأعباء قيادة الانسانية الطائرة الى يوم القيامة ، سيما باننا من أن  
 تقترب من أى مهوى من مهاوى الانحراف التي يدعو اليها الشيطان ويحتال بها  
 المؤمنين ، ومن ذلك الأعمال السحرية الشيطانية التي ذهبت بعقلية تلك الأمة  
 الفائعة - بنى اسرائيل - وألقستها في حضيض الدل والهون .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" اجتنبوا الموهقات : الشرك بالله والسحر"<sup>(١)</sup>

- وقال :

" حد الساحر ضربة بالسيف"<sup>(٢)</sup>

- وقال :

" من عقد عقدة فيها رقية فقد سحر ، ومن سحر فقد

كفر ، ومن علق علقه وكل اليها"<sup>(٣)</sup>

وأشار الله سبحانه وتعالى الى أن النكبة الاقتصادية التي لم يزل  
 يواجهها الانسان في تاريخه الطويل - هي - نتيجة انخداع بالخدعة  
 الشيطانية ، حيث يخوف الشيطان الانسان بالفقر الموهوم ، ويمنعه من الانفاق على  
 الفقراء والمساكين وعلى الذين لا يسألون الناس الطفا من التعفف . . . . . فيحدث

(١) رواه البخارى : ١٠ / ٢٣٢ .

(٢) رواه الطاكم في المستدرک : ٤ / ٣٦٠ .

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف : ١١ / ١٧ .

في نهاية المطاف لون من الصراع الطبقي بين الناس ، بحيث تستمر طبقة الأغنياء  
والأثرياء في الرفاهية التامة والازدياد في الثروة ، فيتسرب فيهم الترف والبذخ ،  
ويغريهم الشيطان بالشهوات والملذات ، فيميلون الى الفحشاء والمنكر . . . . وفي  
آخر تستمر طبقة الفقراء والمساكين في كدهم وتمبهم ، ويؤسهم وشقائهم ،  
فيقوم تلميذ من تلامذة الشيطان - في حين من الدهر - يستغل الفرصة ،  
ويشير الفقراء ضد الأغنياء ، ويحرض المحمدين على معارضة الأثرياء ، فتملاً  
الدنيا بصراخ وويلات ، . . . . ولم يزل يشمر بمرارة هذا الصراع العنيف في  
تاريخه الطويل . . . . قال الله تبارك وتعالى :

(( الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم

مغفرة منه وفضلاً ، والله واسع عليم ))<sup>(١)</sup>

ولقد شاهد التاريخ الانساني نضالا مستمرا بين أولياء الرحمن وأولياء

الشيطان ، ففضال أولياء الرحمن لم يزل - ولن يزال - من أجل مصلحة الدعوة  
التي تكفل نجاة الانسانية من قبضة أتباع الطواغيت ، كما تكفل لها السمادة  
الأبدية والفلاح الحقيقي . . . . بينما لم يأت - ولن يأتي - نضال أولياء  
الشيطان الا بالخراب والدمار ، والبؤس والشقاء للعالم الانساني . . . . والتاريخ  
هو نعم الشاهد على هذه الحقيقة الناصمة ، وما أمر الحروب المالمية ببعيد . . .  
وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذه الحقيقة التاريخية معلنا أنه لا بد من  
قتال أولياء الشيطان من أجل انقاذ البشرية من الهلاك والدمار ، وأن كيد  
أولياء الشيطان - مهما عزوا - ضعيف . . . . قال تعالى :

(١) سورة البقرة : الآية : ٢٦٨ .

(( الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون  
 في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ، ان كيد الشيطان  
 كان ضعيفا . ))<sup>(١)</sup>

وكذلك نهى الله سبحانه وتعالى ذرية آدم الى ان يكونوا دائما في  
 حذر من مكيدة الشيطان وشركه ، والى ان يجعلوا ماجرى على ابويهم  
 - آدم وحواء - من هذا العدو الحاقد ، نصب أعينهم ، ليتمكنوا - بذلك -  
 من الاحتراز من مآسى الخراب والتدهور الخلقى ، التى يريد الشيطان ان يلقيهم  
 فيها ..... و - مع الأسف الشديد - وقعت ذرية آدم فريسة لهذا الصيد  
 الشيطاني .... قال تعالى :

(( يا بنى آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم  
 من الجنة ينزع عنهما لباسهما <sup>ليريهما</sup> ، انه يراكم هو  
 وقبيلته من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء  
 للذين لا يؤمنون . ))<sup>(٢)</sup>

ويقول الله سبحانه وتعالى : وهو يصور بعضا من مشاهد يوم القيامة  
 ويشير بذلك الى مصير من نسوا في حياتهم واجههم الحقيقى ، واتبعوا شهوات  
 أنفسهم تلبية للدعوة الشيطانية ، ومن ناحية أخرى ، ويذكر الله سبحانه وتعالى  
 بذلك كل انسان في الكون ان ينقذ نفسه - قبل فوات الأوان - من هادفة

(١) سورة النساء : الآية : ٧٦ .

(٢) سورة الأعراف : الآية : ٢٧ .

ذلك المصير المؤلم ، الذى ليس بعده الا الحسرة والندامة ، والصراخ  
والتأوه ، فليس هنالك بيع ولا صفقة ولا خلة ولا شفاعة . . . .

(( يوم تقلب وجوههم فى النار ، يقولون يا ليتنا أطعنا الله  
وأطعنا الرسولا . وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبرائنا  
فأضلونا السبيلا . ربنا آتتهم ضعفين من العذاب  
والعنهم لعنا كبيرا . ))<sup>(١)</sup>

- وقال تعالى :

(( وقال الذين كفروا ربنا ارننا للذين أضلنا من الجن  
والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين . ))<sup>(٢)</sup>

- وقال تعالى :

(( قال ادخلوا فى أم قد خلت من قبلكم من الجن والانس  
فى النار ، كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا ادركوا  
فيها جميعا قالت أخواتهم لأولاهم ، ربنا هؤلاء أضلونا فآتتهم  
عذابا ضعفا من النار ، قال لكل ضعف ولكن  
لا تعلمون . ))<sup>(٣)</sup>

وقال تعالى : اشارة الى المد والذى لا يزال يصيد ذرية آدم ويهدمهم

عن الجادة ، كيف يتبرأ منهم فى نهاية المطاف ، فليعتبر الانسان ، كما أن الآية  
الكريمة تضمن الاشارة الى النشاط الشيطاني لتضليل أبناء آدم :

---

(١) سورة الأحزاب : الآيات : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨

(٢) سورة فصلت : الآية : ٢٩

(٣) سورة الأعراف : الآية : ٣٨

(( وقال الشيطان لما قضي الأمر : ان الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لي عليكم من سلطان الا دعوتكم فاستجبتم لي ، فلا تلمونني ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى ، انى كفرت بما أشركتمون من قبل ، ان الظالمين لهم عذاب أليم<sup>(١)</sup> ))

فهذه الآيات الكريمة - وأخواتها أيضا - تدل على أن الانسان لم يزل يصاره الشيطان فى تاريخه الطويل ، فيميل الى الفساد فى الأرض منخدعا بخدعة الشيطان وكبده ، وسحور وسحرة وفتنه - الاعداد الله المخلصين - وقد نجح الشيطان فى مهمته نجاحا كبيرا ، بينما لم تنزل رحمة الله سبحانه وتعالى تأخذ بيد الانسان ، برسالة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، وأخيرا باخراج أمة داعية الى الله ، وهى : أمة محمد صلى الله عليه وسلم . فلم يزل هذا الصراع مستمرا - ولن يزال مستمرا الى يوم القيامة - فالنجاح لمن استمسك بالمرءة الوثقى ، لا انفصام لها ، ألا ، وهى : الاسلام وحده والدعوة اليه ، وثقى حذرا ومتيقظا من شر الشيطان وشركه . والويل والخسران لمن انخدع بمكيدة الشيطان وخدعته ، ثم دعا بدعوته وملأ الدنيا شرا وفسادا ، ها ، ها ، هو القرآن الكريم يشير الى هذه الحقيقة الثابتة - بتفصيلها وتاريخها - فى الكون بنخاية ايجازه واعجازه :

(١) سورة ابراهيم : الآية : ٢٢ .

(( والمصر ان الانسان لفي خسر ، الا الذين آمنوا

وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ))

وخلاصة ما ذكرنا في هذا المبحث : أن المراد بالدعوة الاسلامية :

قيام المسلمين - دولة وأمة وأفرادا - بتبليغ كافة ما جاء به النبي صلى الله

عليه وسلم من الهدى ودين الحق على قدر الطاقة ومن خلال الاختصاص .

وأن الدعوة لها مكانة خاصة في حياة الانسان ، وصلة عميقة بها ،

فهو مفضو على الدعوة الى ما يعتقد ، ، ، ، ، وهناك دعوتان متنافستان على

وجه هذا الكوكب الأرضي منذ أن خلق الله الانسان ، دعوة الى الخير ، وهي :

الدعوة الى الله ودعوة الى الشر ، وهي : الدعوة الى غير الله .

وقد حمل الانسان راية الدعوة الى الخير ، بينما حمل عدوه المبين

- الشيطان - راية الدعوة الى الشر ، والصراع بينهما ما يزال مستمرا ، فمن الواجب

الانسان أن لا ينسى واجبه الحقيقي - وهو الدعوة الى الله - أبدا .

وإذا نسى واجبه ، فيما أنه مفضو على الدعوة ، مال الى دعوة عدوه

الشيطان ، والدعوة الشيطانية لاتأتى الا بالشر والفساد في الأرض ، والخراب

والدمار في العمران ، والتاريخ الانساني شاهد على ذلك .

ومن خلال هذه الحقائق نرنبو الى الدولة الاسلامية التي تتكون من أفراد

الأمة الاسلامية ، ، ، ، ، فيتبين لنا أن وظيفة الدولة الاسلامية الجوهرية :

الحفاظ على خصيتها الأولى ، ألا ، وهي : الدعوة الى الله ، ونبحث عن

ذلك في المبحث التالي :

## المبحث الثانى

### وظيفة الدولة الاسلامية

قد عرفنا - فيما سبق - أن الدولة تتكون من الأفراد ، فالدولة الاسلامية تتكون من أفراد الأمة الاسلامية ، وهناك واجب للأفراد ، وواجب للدولة ، وقد تكلمنا - فى المبحث السابق - عن واجب الانسان ، وهو : الدعوة الى الله متفرغاً او ملتزماً - ويتبين لنا من ذلك : أن وظيفة الدولة الاسلامية تقوم على الهدفين الأساسيين :

أولا : المحافظة على خصيصة الانسان المؤمن هذه ، وما يحمله مجتمعه من القيم العالية والمبادئ السامية بفضل هذه الخصيصة ، من تسرب الضعف ومن الضياع ، محافظة حذرة ذات وعى ويقظة ، إذ أن عدو الانسان - وهو الشيطان - دائما بالمرصاد ، يستغل كل فرصة تتاح له .

ثانيا : حمل رسالة هذا المجتمع الانسانى - الذى هو خير مجتمع عند ظلق البشرية وبارئها - الى جميع المجتمعات الانسانية فى العالم .

وتعبير آخر : ان وظيفة الدولة الاسلامية ، هى : المحافظة على قيم المجتمع الاسلامى المأهولة ومبادئه السامية محافظة تامة ، بحيث لا يقدر أى نسوج من الضعف والوهسن أن يتسرب فيه . وتختار الدولة من أجل ذلك جميع الوسائل التى أباحها لها الشريعة الاسلامية السمحة ، لاقامة الدين ، ولاقامة الصلاة ، وللأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولاقامة العدل والانصاف ، ولحث روح التربية الاخلاقية والروحانية فى أفراد المجتمع ، ولاقامة الحدود والتميزات على من تعدى



حدود الله ومحارمه ، وما عدا ذلك مما يحتاج اليه الشعب الاسلامى فى سبيل الرقى والازدهار على المستوى المحلى والعالمى . هذا ماتجزه الدولة الاسلامية من مهمتها على صعيدها الداخلى .

وعلى صعيدها الخارجى : تقدم الدولة الاسلامية مجتمعا الاسلامى الأصيل الى شعوب العالم كمجتمع مثالى ( نموذجى ) تدعوهم الى أن يتبعوا هذا المجتمع اتباعا كاملا ، قدما بقدم ، وكفنا بكف ، ان أرادوا الفلاح والنجاح فى الكونين ، وتعلن آمالهم بكل صراحة ، بأن السلام الحقيقى الذى تعوزه أمم العالم ، لا يحصل الا باتباع هذه المبادئ الأصيلة السامية التى يحملها هذا المجتمع المثالى . وتحداهم قائلا : ها ، نحن قد حققناه فى مجتمعنا وفى بلادنا ، وتدعوكم الى أن اتستموا بالرفاهية والسعادة التى تتمتع بها بفضل تلك المبادئ السامية والقيم العالية فى العاجلة والأجلة ، وان كنتم فى ريب مما نقوله ونعمل به ، فأتوا بمجتمع نموذجى يتفوق مجتمعنا ، وقها فاضلة تتفوق قيمنا ، ومبادئ سامية تتفوق مبادئنا . . . . . هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . . . . .

فمن اقتنع بذلك واعتق الاسلام ، رحبت به الدولة الاسلامية ، ومن لم يقتنع ولم يمارضها خلت سبيله ، ومن وقف فى وجهها تعرضت له الدولة الاسلامية بالسيف . . . . .

وليست هذه الوظيفة الجوهرية للدولة الاسلامية ، وظيفه خيالية ، بل هى حقيقة ثابتة ، ولقد كلف القرآن الكريم الدولة الاسلامية للقيام بأداء الشطر

الأول من وظيفتها - وهو : المحافظة على قيم المجتمع الاسلامى ومبادئه محافظة تامة حذرة - أن لاتزال متمسكة بشحكهم شريعة الله تعالى ، ولا تلتفت أى التفات - لا عن حاجة ولا بدون حاجة - الى القوانين التى يضعها الناس ، وشتان ما بين ما أنزله رب الناس ومظالمهم - وهو يحيط بمصالحهم ومضارهم - وبين ما تضعه عقول الناس . القاصرة عن ادراك كثير مما حدث وما يحدث فى هذا الكون - فتحكم شريعة الله هو الضمان الاكيد للمحافظة على القيم النافعة للبشرية ، والتى يتشرف بوجودها المجتمع الاسلامى . . . . .

فقال الله تعالى مخاطباً رسوله محمداً المصطفى صلى الله عليه وسلم :

(( وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيناً عليه ، فأحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجمعكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات ، الى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون . وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذروهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ، فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وان كثيراً من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون . ))<sup>(١)</sup>

(١) سورة المائدة : الآية : ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ .

يقول العلامة المودوى - رحمه الله - في تفسير كلمة "الجاهلية"

التي وردت في الآية الكريمة :

" كلمة " الجاهلية " تطلق مقابل كلمة " الاسلام " والاسلام

- في الحقيقة - علم بأسره ، اذ أن الذي هدى الانسانية

الى الاسلام هو الله سبحانه وتعالى ، وهو الذي يعلم الحقائق

بأسرها ، اذن ، كل نظام يخالف نظام الاسلام ، يطلق

عليه كلمة " الجاهلية " ولقد سمي العهد الذي كان قبل

الاسلام " بالجاهلية " بهذا المعنى ، لأن الانسان في ذلك

العهد كان اختار لنفسه مناهج الحياة على أساس الظن

والوهم ، والقياس والهوى ، لاعلى أساس العلم والايمان ، فكما

اختار الانسان نفس هذا الاسلوب والمنهج ، في أى وقت

من الأوقات ، وفي أى عصر من العصور ، سمي مسلكه هذا

" بالجاهلية " ، وما يدرس في المدارس والجامعات من العلوم<sup>(١)</sup>

المصرية ، ليس علما كاملا ، انما هو جزء حقيق من العلم ولا يقف

- بأى معنى من المعانى - لهداية الانسان في رحلة حياته

الطويلة ، فكل نظام الحياة ، الذى يبنى على أساس تلك

العلوم التي هي جزء صغير من العلم (الحقيقى) بصرف

النظر عما أعطاه الله الانسان من العلم ونظام الحياة

(١)

يقصد به الاستاذ مدارس شبه قارة " باك هند " وجامعاتها ، اذ أن المناهج

التعليمية الراجعة فيها ، أعدّها الاستعمار الانجليزى ، ومع الاسف الشديد -

رغم كونهم قد تحرروا من قبضة الاستعمار منذ زمان - أن يتخلصوا من

تلك المناهج التعليمية تخلصا نهائيا .

— ألا ، وهو الاسلام — ثم يمزج بذلك النظام الظنون ،  
والأوهام والهوى . . . . . يدخل كل ، من تلك الأنظمة تحت  
تعريف " الجاهلية " كما يدخل في تعريفها جميع المناهج  
التي كانت رائجة في الأزمنة القديمة قبل الاسلام<sup>(١)</sup>  
— قال تعالى :

(( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ))<sup>(٢)</sup>  
(( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك الظالمون ))<sup>(٣)</sup>  
(( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ))<sup>(٤)</sup>

قال الامام الشوكاني رحمه الله : — قوله : (( ومن لم يحكم بما أنزل  
الله فأولئك هم الكافرون )) لفظ " من " من صيغ العموم فيفيد أن هذا  
غير مختص بطائفة معينة بل بكل من ولي الحكم . . . . . وقيل : وهو محمول على  
أن الحكم بغير ما أنزل الله وقع استخفافاً أو استحلالاتاً أو مجداً . . . . .  
وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم والطبري ، وصححه ، من  
حذيفة ، أن هذه الآيات ذكرت عنده ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم  
الكافرون — والظالمون — والفاسقون ) فقال رجل : ان هذا في بني اسرائيل

(١) أنظر : تفهيم القرآن : ٤٧٩/١ — ٤٨٠ ( باللغة الاوردية ، الترجمة

العربية لى ) .

(٢) سورة المائدة : الآية : ٤٤

(٣) سورة المائدة : الآية : ٤٥

(٤) سورة المائدة : الآية : ٤٧

فقال حذيفة : نعم الاخوة لكم بنو اسرائيل ، ان كان لكم كل حلوة ولهم كل موة ،  
 كلا ! والله لتسلكن طريقهم قدر الشراك ... (١)  
 وقال الأستاذ المسودودي رحمه الله :

• ان الله سبحانه وتعالى أصدر ههنا ثلاث قرارات للذين  
 لا يحكمون بما أنزل الله ،

أولا : انهم كافرون ، ثانيا : انهم ظالمون ، ثالثا : منهم  
 فاسقون . ويدل ذلك صراحة على أنه من أعرض عن الحكم  
 بما أنزل الله ، وحكم بالقانون الذى وضعه هو بنفسه أو وضعه  
 غيره من الناس ، فقد ارتكب ثلاثة من الجريمة النكراء ، أولا :  
 فعله هذا يضاهاى رفض الحكم بما أنزل الله وهو كفر ، ثانيا :  
 فعله هذا يخالف العدل والانصاف ، اذ أن ما يوافق العدل  
 موافقة تامة هو الحكم بما أنزل الله ، فعندما أعرض عنه ، فما  
 بعد العدل الا الظلم ، فأصبح ظلما ، ثالثا : ليس  
 الانسان الا عبدا لله سبحانه وتعالى ، ومن واجب المبد أن  
 ينفذ أوامر سيده بدون نقص وزيادة ، فعندما انحرف المبد  
 عن تنفيذ أوامر سيده ، وامثل أوامر غيره ، أو نفذ أوامر نفسه  
 فقد خرج عن اطار الطاعة والميود يتوهذا الخروج هو الفسق .

(١) أنظر : فتح القدير : ٤٢/٢ ، ٤٥ .

ومما لا ريب فيه ان الكفر والظلم والفسق صفات تتفق — مع  
اعتبار الفرق فيما بينها — على نقطة واحدة وهى : الانحراف  
عن أوامر الله ، فاذا وجد الانحراف ، وجد هنالك اما كفر  
او ظلم او فسق ، فالذى يحكم بخير ما أنزل الله ، وهو  
يعتقد أن أوامر الله تعالى وشريعته مبنية على الخطأ —  
والقانون الذى وضعه هو نفسه أو غيره من الناس ، فهو مبنى  
على الصواب ، فقد كفر كقرا بسواها ، فهو كافر وظالم وفسق  
والذى يحكم بخير ما أنزل الله مع اعتقاده الجازم على أن  
حكم الله هو الصواب ، فهو لا يخرج عن اطار الاسلام ولكنه  
يخلط ايمانه مع الكفر والظلم والفسق ، وهذا الاختلاط قد  
يزيد وينقص " (١)

ومن هنا نستطيع أن نقول : انه لا مجال للدولة الاسلامية أن تصرف  
نظرها عن الحكم بما أنزل الله ، فتحكيم الشريعة الاسلامية هو الضمان الوحيد  
لبقاء الدولة على أساسها الاسلامى الدعوى ، اذ أن الدولة تنبثق من كيان المجتمع ،  
والمجتمع لا يتكون الا من الأفراد ، فصالح الدولة يقتصر على صلاح المجتمع ، وصلاح  
المجتمع يقتصر على صلاح أغلبية أفراده ، وأفراد المجتمع هى النقطة المهمة التى  
يركز عليها عدو الانسان — الشيطان — جميع جهوده الاغرائية وجميع مكائده  
للتضليل ، ومن هذه النقطة يدخل الفساد والخراب فى المجتمع ، فيتسرب تلقائيا  
الى الدولة ، حتى يستأصلها من أساسه . . . . وتحكيم شريعة الله هو

(١) أنظر : تفهيم القرآن : ١ / ٤٧٥ — ٤٧٦ .

العلاج الوحيد - لاغير - الذى يعطى الدولة الاسلامية حيوية ونشاطا تستطيع  
 بهما أن تتغلب على الجهد المتواصل الذى يبذله عدو الانسان ليضله عن سواء  
 السبيل ، ولا يتهاون فى ذلك ولو لثانية ، فعلى الدولة الاسلامية أن تكون دائما  
 حذرة ويقظة فى هذا الباب ، ولا تتصور - ولو للحظة - لتحكيم غير شريعة الله  
 وعليها أن تنفذ أوامر الله ونواحيه بكل جد وقوة ، بكل ثقة وجدارة ، وهكذا  
 نستطيع أن نحافظ على تلك القيم الدالية للمجتمع الاسلامى التى نستطيع أن نتفقد  
 البشرية من الانتظار فى كل عصر ومصر .

وإذا أدت الدولة الاسلامية الشطر الأول من وظيفتها الجوهرية - كما  
 أسلفنا - كلفها القرآن الكريم أن تقوم بأداء الشطر الثانى من تلك الوظيفة  
 وهو : أن تقدم هذا المجتمع الاسلامى مع قيمة المثالية ومبادئه السامية الى النوع  
 البشرى ، وتتحدى الانسانية بصوت جهورى هادئ : " تعالوا : ان الحياة  
 المليئة بالهدوء والطمأنينة ، والسعادة والرفاهية ، التى أنتم حيارى فى طلبها  
 والبحث عنها ، ها ، هى ههنا ، فى المجتمع الاسلامى القويم ، ولا يستطيع -  
 ولن يستطيع - أى نظام بشرى وأية نظرية واقعية فائضاً نتمشى للبشرية تلك السعادة  
 والرفاهية التى يتمتع بها هذا المجتمع الاسلامى المثالى فى واقعه ووجوده ، ...  
 وان تتولوا ، فدلونا مجتمعاً يتفوق فى خصائصه ومميزاته ، ؟؟؟؟ " وهكذا  
 لاتزال تضرب الحجج القاطمة والبراهين الساطمة على جميع الأنظمة البشرية  
 المزعومة ، بحيث لاتبقى لها أمام سيل الدعوة الاسلامية المشهوددة الملموسة  
 حيلة الا القبول والاعتناق ، أو السكوت والخرس ، أو الممارسة والفساد ...

قال تعالى اشارة الى هذه الغلبة المطلوبة للدين الالهى الخفيف

امام جميع الديانات والانظمة البشرية :

(( هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على

الدين كله ولو كره المشركون ))<sup>(١)</sup>

— وقال تعالى :

(( هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره

على الدين كله وكفى بالله شهيدا ))<sup>(٢)</sup>

قال الامام الشوكانى رحمه الله :

" ومعنى دين الحق / الملة الحقّة ، وهى : الاسلام

ومعنى " ليظهره " : ليجمعه ظاهرا على جميع الأديان

ظاهرا عليها ، غالبا لها ، ولو كره المشركون ذلك ، فانه

كائن لامحالة "

لقد صرح الله سبحانه وتعالى فى آياته البينات أن الفاية بنهوه محصد

المصطفى صلى الله عليه وسلم ليست تبليغ الدين الى الناس فحسب ، أو بيان

خصائص الاسلام وذكر محاسنه فى الحفلات والمناسبات فقط ، بل ما يريد الله

سبحانه وتعالى هو : أن يتغلب هذا الدين — الذى اختاره الله تعالى للناس

كافة ورضى به لهم ديناً — بجميع خصائصه ومميزاته على الأديان الموجودة فى

العالم تغلبا متفوقا ، إذ أن الأديان كلها — حتى الأديان السماوية التى منيت

(١) سورة التوبة : الآية : ٣٣

سورة الصف : الآية : ٩

(٢) سورة الفتح : الآية : ٢٨

(٣) انظر : فتح القدير : ٥ / ٢٢١



بالتحريف والتشوية - منسوخة - والدين الذي يستطيع أن يرشد الانسانية الى الهداية والسعادة الأبدية يتبين - ويستطيع أن يقودها في جميع شئون حياتها قيادة بارعة وفائقة الى يوم القيامة - هو الاسلام لاغير - فليتنجب الاسلام .....  
ومن المعلوم أن هذا التنجب لا يحصل بمجرد الادعاء قولاً بل يحصل اذا ثبت تفوقه في جميع حقول الحياة عملاً ووجوداً ، اذ أن الادعاء بالقول فحسب أمر يستطيع أن يحجده كل من له طلاقة اللسان لحججه الباطلة (١) كما هو أمر

(١) أريد أن أذكر بهذه المناسبة ما حدث فعلاً في بداية القرن الحالى الميلادى : لقد عاش في شبه قارة " باك هند " عالم متحس من العلماء الذين ينتمون الى المصهد العلمى الكبير المعروف في الهند وهو " دار العلوم " ب ديوبند ، ويقال له : " أزهر الهند " فهو الشيخ عميد الله السندى رحمه الله ، كان عالماً بارعاً ، عاش طول حياته يتمنى غلبة الاسلام في الهند ، وهو من تلامذة شيخ الهند محمود الحسن رحمه الله ومن العلماء الذين رفعوا راية الجهاد ضد الانجليز ومن أجل ذلك طردته الحكومة الاستعمارية من الهند ، فكان يتجول في البلاد العربية وبلاد أوروبا ، ولما قامت الثورة الشيوعية في عام ١٩١٢م كان الشيخ في بلاد روسيا ، فالتقى بـ " لينين " قائد الثورة الفكرى ، وناقشه نقاشاً طاراً بالدلائل والبراهين ، وطول أن يقنمه بأن السعادة التى يحلمونها في ظل الشيوعية ، لا تحصل الا في ظل الاسلام ، وبين أمامه بالتفصيل مميزات المجتمع الاسلامى وخصائصه ، فقال لينين للشيخ في نهاية نقاشه : " ان المجتمع الذى تحكى عن خصائصه الفائقة ومميزاته المدهشة ، هل يوجد فعلاً على وجه الأرض ، كما تزوره عن كتب - ؟ " وتلك الايام كانت عصية للمسلمين ، لم تقم الدولة السمودية آنذاك ، ولم يكن للمسلمين مجتمع يشار اليه بالبنان ، فلم يستطع الشيخ أن يدعم نقاشه بتقديم مثال واقعى ، وقال له لينين : " نعم يا شيخ ! اذا وجدت ذلك المجتمع المثالى على وجه الأرض فأخبرنى كما أتيمك " .  
ومن سوء الصدفة لم أشر على مصدر كتابى لهذا الخبر ، فهناك كتب باللغة الأوردية كتبت على حياة الشيخ في الهند وباكستان ، لم أستطع استيرادها ، ولكن الخبر صحيح سمعته من عدة أساتذتى ، وهم من خريجى دارالعلوم ديوبند ، فكانوا يقولون : ان الخبر صحيح يحكيه علماء ديوبند في مناسبات مختلفة .

يستطيع أن يقوم به كل من له طلاقة في اللسان ، وبراعة في ادلاء البيان ،  
ولباقة في الانشاء ، والتحرير ، فيستطيع أن يصنف مجلدات ضخمة يفلسف فيها  
ويبين ما يهين ، للانسانية الفلاح ، والسمادة ، والطما نينة والراحة ، ويمسد  
عنها الهوس والشقاء ، والهلاك والدمار ، واذاقيل له : أين فردوسك الخيالي ؟  
هل له وجود في عالم المحسوسات - ؟ نزل من طائفة تصوراته الى عالم  
الحقيقة ، وفق مبهوتا أخوس وأبكم ، ، ، ، ، ومن أجل ذلك لم يستحس - من  
الاسلام القول بلا عمل ، ، ، ، ، قال الله تعالى :

(( يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا

عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ))<sup>(١)</sup>

فميزة المسلم الصادق : القول والعمل : إذ أن القول فقط ولو  
كان مدعيا بالبراهين الساطمة والحجج القاطمة ، لا يستقر الا لدقائق وشوان  
فقط ، واذا وافق القول الممل ، استقر في القلوب والأذهان ، وقامت الحجة  
والتفوق .

ويعتبر آخر نستطيع أن نضرب مثلا لما قلناه سابقا ، كما يتصور  
بصورة واضحة في الأذهان ، فنقول : ان مثال المجتمع الاسلامي الذي يقوم  
على جميع مميزات الفائقة وخصيصاتها المالية ، مثال منارة مضيئة الجوانب  
قائمة في وسط المحيط ، وفي الظلام الحالك ، وتصدمها أمواج طاغية متواصلة ،  
وتهب من حولها عواصف عذيفة ، ومثال الدولة الاسلامية مثال المحافظ لتلك  
المنارة المضيئة . . . . .

فمن واجب المحافظ أن يظل متيقظا بوجوه الكامل ومؤهلاته المتوعسة نظرا الى دقة موقع المنارة وخطورته ٥٥٥٥ فكلما حدث خراب - سواء في داخلها أو خارجها أو أساسها - من أجل تلك الصدمات المتوالية ٥ أو المواصف العاتية ٥ وجب على المحافظ اصلاح ذلك الخراب على الفور ٥ بدون أى كسل أو تهاون ٥ فان زالت لبنة ٥ وضع فوراً مكانها لبنة أخرى ٥ وان حدثت تلمة رسمها فوراً بمهارته الفنية ٥٥٥٥

وانذا ترك الخراب بدون اصلاح ٥ والثلمة بدون ترميم ٥ فهل يتصور العقل السليم أن الخراب لا يتعدى ٥ وأن الثلمة لا تتوسع ٥ ٥٥٥٥ بينما لم تتوقف صدمات الأمواج ٥ ولم تهدأ هزات المواصف ٥٥٥٥ وهل تبقى المنارة قائمة على قواعدها - في مثل هذه الحالة - الى مسدة طويلة ٥٥٥٥ ؟

اذن ٥ يجب على الدولة الاسلامية أن تكون حذرة غاية الحذر في أداء وظيفتها الجوهرية ٥٥٥٥ وبذلك تستطيع الأمة الاسلامية أن تؤدي حق منصبها العالى على وجه الكمال ٥ وذلك المنصب كونها أمة وسطا تشهد على الأمم الماضية وعلى أمم العالم المعاصرة ٥ بأنها قد أدت واجبها نحوهم بكل دقة وأمانة ٥ وأشهر الى ذلك المنصب فى الآية الكريمة التالية :

(( وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس

(١)  
ويكون الرسول عليكم شهيدا ))

قال العلامة المودودي - رحمه الله - فى تفسير الآية الكريمة :

" ان هذه الامة اعلان هام عن امامة امة محمد صلى الله عليه وسلم

وان كلمة " كذلك " تشير الى المعنيين المهمين ه هما :

أولا : انها اشارة الى التوجيه الالهى الذى وصل به أتباع محمد صلى

الله عليه وسلم الى الصراط المستقيم ، كما وصلوا الى منصب " الأمة

الوسط " بعد ما اجتازوا مراحل المجاهدة للتزكية والترقى الذاتيين .

ثانيا : انها اشارة الى تحويل القبلة ، وهذا التحويل - الذى يعتبره

غيرالراسخين ~~من~~ تحويل من جهة الى جهة أخرى - وفق الحقيقة

انه يعنى فيما يعنى عزل بنى اسرائيل من منصب الامامة . . . . . واقامة

أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا المنصب الجليل . . . . .

وقوله تعالى : (( أمة وسطا )) يحمل فى ثناياه معانى عميقة لا يمكن

أن نمبرعها بأى لفظة أخرى ، ومن معانيها : أنها جماعة ذات علو وشرف ،

قائمة على العدل والاعتدال ، ولها الصدارة بين الأمم الأخرى ، وعلاقتها بالأمم

علاقة صدق وأمانة ، لاعلاقة كذب وخيانة . . . . .

ومعنى الشهادة : أنه اذا حسب الله تبارك وتعالى الناس يوم الآخرة

شهد الرسول العظيم - صلى الله عليه وسلم - وهو المبعوث من عند الله ،

والسئول أمامه ، بأن ما أعطاه الله تعالى من نظام العدل والعمل الصالح

والفكر السليم ، قد أبلغه اليكم بأسره ، وطبقة تماما بعمله ثم يأتى دوركم بعد ذلك

فتشهدون على الناس كافة مؤتسين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأنكم

لم تدخروا جهدا فى ابلاغ الناس كافة ما بلفكم اياه رسول الله صلى الله

عليه وسلم .

وإذا منح الله تعالى فردا أو أمة ، منصب الشهادة هذه ، دل ذلك على أنه أحلها منصب الامامة والسيادة ، وفي ذلك تكريم لها وتقدير من جهة وتكليف بأعباء ومسئوليات ضخمة من جهة أخرى ، وكان معنى ذلك : أنه كما كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم رمزا وشهادة حية للصدق والأمانة ، والحق والعدالة ، وجب على أمته أيضا أن تكون صورة حية لهذه الشهادة الكريمة ، بحيث ترى فيها أم العالم الاستقامة قولاً وعملاً ، ومنهجاً وسلوكاً ، وتستضيئى بها قائلة : ليس هناك أى تقوى إلا ما تحمله هذه الأمة ، ولا صدق إلا ما تقوله هذه الأمة ، ولا عدالة إلا ما تسلكه هذه الأمة ، ولا أمانة إلا ما تقدمه هذه الأمة . . . . .

وهناك معنى آخر : وهو : أن مسئولية الرسول - صلى الله عليه وسلم - كانت عظيمة ودقيقة جداً فى ابلاغ رسالة الله الينا ، فلو قصر فى ذلك - وما كان له أن يقصر - مقدار خردلة ، لأخذ الله تعالى أخذ عزيز مقتدر ، وكذلك مسئوليتنا - نحن الأمة الوسط - أيضا أصبحت عظيمة ودقيقة جداً ، فى ابلاغ ما أبلغه الرسول صلى الله عليه وسلم الينا ، الذى الناس كافة ، بحيث لو لم نستطع أن نشهد أمام رب العالمين ، بأننا لم ندخر جهداً فى ابلاغ الهداية الربانية الى الناس جميعاً ، لأخذنا الله تعالى ، أخذاً شديداً ، . . . . . ولا ضحت هذه الامامة ، التى نفتخر بها فى هذه الدنيا ، سوا عذاب علينا فى الآخرة .

وكل ما حدث فى عهد امامتنا من الضلال العملى والفكرى ، بسبب تقصيرنا فى أداء واجبنا . . . . . وكل ما حدث من الفساد والفتن فى ههنا

المسلم ، ، ، ، ، سوف يؤخذ الله به أئمة الشره وشياطين الانس  
والجن ، ولكن ، ، ، ، ، لن نفلت - نحن - من المواخذه أبدا ، ، سوف  
يسألنا الله تعالى عما قمنا بواجبنا ، ، عندما كانت تهب في الدنيا  
عواصف العصيان والظلم والفساد - ؟ فهل أديننا ما علينا من واجب  
الامامة - ؟ أم كنا في عداد الأموات غافلين عن ذلك ، ، ، ،<sup>(١)</sup>

---

(١) أنظر: تفهيم القرآن : ١ / ١١٩ - ١٢٠ .

وخلاصة ما ذكرنا في هذا الباب : أن الانسان عادة يعيش حياة اجتماعية ، ويحتاج الى دولة تحميه وتحافظ عليه ، فالدولة تنبثق من ذلك المجتمع ولها عنصران مهمان : عنصر مادي ، وهو : الأفراد ، وعنصر روحي : وهو : القيم والمبادئ التي تقوم عليها الدولة ، ووظيفة الدولة : المحافظة على تلك القيم والمبادئ ، وكذلك الدولة الاسلامية ".....

عنصرها المادي : أفراد الأمة الاسلامية ، وعنصرها الروحي : القيم المالية للمجتمع الاسلامي ومبادئه السامية ، والحضارة التي تتفجر بناييمها من صميم تلك القيم والمبادئ ، ووظيفة الدولة الاسلامية : المحافظة على تلك القيم والمبادئ ، والحضارة ، والدعوة اليها ، والدعوة لها مكانة خاصة في حياة الانسان فهو مفتطور على الدعوة الى ما يراه خيرا ، وهناك دعوتان متنافستان ، دعوة الى الخير ، وهي الدعوة الى الله ، ودعوة الى الشر ، وهي الدعوة الى غير الله الأولى حملها الانسان ، والثانية حملها الشيطان ، عدو الانسان ، فاذا نسى الانسان واجبه ، فهما أنه مفتطور على الدعوة ، لا بد أن يميل الى دعوة عدوه الشيطان .....

والدولة الاسلامية تحمي ذلك الانسان من الوقوع في مكيدة الشيطان وشركه ، فتحافظ على قيم مجتمعه وحضارته ، وتقدم رسالة المجتمع الى الناس كافة ، ولا بد لها أن تظل تؤدي وظيفتها بنهاية الحذر واليقظة ، والا ..... غفلتها لثانية تبمدها على مسافة قرن من أهدافها السامية .....

وما هي القيم المالية التي يجب على الدولة الاسلامية أن تحافظ عليها ؟ وما هي قيمتها - ؟ وماذا تخسر الانسانية اذا فقدتها - ؟ للجواب عن

التساؤلات ه لابلد لنا أن نقرر - ولو بايجاز - في المجتمع  
الاسلامى ( الذى لانخطىء لو عمرناه بالفردوس الأرضى ) الذى أجده  
الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم في عهده ه كما تبين لنا قيمة تلك  
القيم العالية وخطورة المحافظة عليها ه . . . . . وهذا ما سوف نراه  
فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى .



الباب الثاني:

# مَعَالِمُ الدَّعْوَةِ

في الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ

الفصل الأول:

مقومات الدعوة من خلال الواقع لسبهي

الفصل الثاني:

الدولة الإسلامية النبوية

(( الباب الثاني ))

\*\*\*\*\*

\* معالم الدعوة في الدولة الاسلامية النبوية \*

\*\*\*\*\*

وفيه أيضا فصلان :

\*\*\*\*\*

الفصل الأول :

\_\_\_\_\_

مقومات الدعوة من خلال الواقع السيري

\*\*\*\*\*

لقد بحث الله سبحانه وتعالى رسوله العظيم محمد بن عبد الله المصطفى

صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، قال تعالى :

(( وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ))<sup>(١)</sup>

فحياته الطيبة جملة وتفصيلا رحمة للنوع البشري ، وهي : الصباح

النير الذي يستطيع أن يستضيئ به كل من أراد أن يتمتع برحمة من الله

سبحانه وتعالى ، ولقد تجسدت الدعوة في حياته المباركة صلى الله عليه وسلم ،

قال الله تعالى اشارة الى هذه الحقيقة :

(( قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن

اتبعتني وسبحان الله وما أنا من المشركين ))<sup>(٢)</sup>

(١) سورة الأنبياء : الآية : ١٠٧ .

(٢) سورة يوسف : الآية : ١٠٨ .

— وقال تعالى :

(( يا أيها النبي انما أرسلناك شاهدا ومبشرا

ونذيرا • وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا • ))<sup>(١)</sup>

ومقومات هذه الدعوة الكريمة • هي القيم الرفيعة التي لو أضعناها

— لا قدر الله — أضعنا كل شيء • وأضعنا رحمة الله سبحانه وتعالى

فيها ••••• وقد قلنا — فيما سبق — ان الدعوة الى الله سبحانه وتعالى

هي الوظيفة الأصيلة للانسان •<sup>(٢)</sup> والآن نستعرض مقومات هذه الدعوة

التي تشمل عليا في سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان سيرته

صلى الله عليه وسلم هي المثل الأعلى للدعوة الى الله • وذلك لسببين :

(١) سورة الأحزاب : الآيتين : ٤٥ — ٤٦ •

(٢) وما لا يخفى على الانسان العاقل أن الدعوة تخاطب نفس شخصية الداعية

أولا ومباشرة ••• ومن الخطأ أن يدعو الانسان الى ما لا يعتقد ولا يعمل

به • ولقد كره الله سبحانه هذه الفعلة وكرهها الى المؤمنين • فقال :

(( يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون • كبر مقتا عند الله أن تقولوا

ما لا تفعلون )) (سورة الصف : الآيتين : ٢ • ٣) ••• والدعوة هي التي

تعرض الانسان على أن يظل متمسكا بها بنفسه مادام يدعو غيره اليها

••• وكلما قصر الانسان في الدعوة — بقدر وسعه ومن خلال اختصاصه —

انصمت شخصيته بقدر تقصيره عن العمل بما يدعون الناس اليه •••••

هذا هو الداء الحقيقي في حياتنا في هذه الأيام • اذ نرى كثيرا منّا

يدعون الى تعاليم لا يعلمون بها • فهل يدل هذا — ياترى — على أنهم

يؤمنون حقا بما يقولون ••••• ؟

أولا : ان الانبياء - عليهم الصلاة والسلام - كانوا يدعون الناس الى (١)  
 الله سبحانه وتعالى ، بيد أن تفاصيل دعوتهم لم تحفظها لنا الوثائق  
 التاريخية ، أما الكتب السماوية - وأشهرها التوراة والانجيل - فقد  
 منيت بالتحريف كما هو معلوم ، فلم يضمن لنا أن نعتد على مروياتها  
 الا بقدر محدود ، وما ذكره القرآن الكريم عن دعوات الأنبياء والرسول  
 - عليهم الصلاة والسلام - فهو موجز لا يفصل ما اختاره في سبيل هذه  
 الدعوات من الوسائل والطرق والأساليب ، لينالوا بها هدفهم المنشود  
 وذاقتهم المرجوة ، فهناك ذكر مجمل لما عناه الانبياء والرسول  
 - عليهم الصلاة والسلام - في سبيل الدعوة الى الله ، فلانستطيع أن

(١) قال الله تعالى : (( انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح  
 والنبيين من بعد ، وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب  
 والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داود زورا ،  
 ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم  
 موسى تكليما ، ورسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله  
 حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزا حكيما ))

(سورة النساء : الآيات : ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥)

(٢) ان هذا الاجمال ما اقتضته البلاغة القرآنية ، فقد أشار القرآن  
 الكريم بهذا الاجمال الى أن الدعوة المحمدية - على صاحبها الصلاة  
 والسلام - هي خلاصة دعوات الأنبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام ،  
 ومقومات هذه الدعوة هي القيم العالية التي يجب أن يحافظ عليها ، فهذا  
 الايجاز في الحقيقة تفصيل معنوي طويل يدركه من أعطاه الله فهما  
 سليما ، ولا شك في أن هذا من المحاسن البلاغية . . . . .

نحدد المقومات الجوهرية للدعوة الاسلامية تفصيلا في ضوء ما وصل  
الينا من سيرهم .

ثانيا : أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ، وشريعته  
مكلمة كل شريعة الهية ، ودينه متمم كل دين سماوي ومهيمن عليه ، وناسخ<sup>(١)</sup>  
لجميع الأديان الموجودة على وجه الأرض ، وسيرته محفوظة بقضها وقضيضها<sup>(٢)</sup>  
ومهيمنة على سير الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - من قبله ، وموضحة  
لجميع التفاصيل المطلوبة في هذا الموضوع .

فتكون سيرته الطيبة ميزانا مستقيما لتقويم المجهودات الخالصة في سبيل  
الدعوة الى الله ، فما وافقها فهو السعى المشكور والمجهود المبارك ، وما خالفها  
يؤاخذ عليه بقدر خلاقه ، وذلك لما قال الله تبارك وتعالى :

(( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم  
لا يجدوا في أنفسهم مما قضيت ويسلموا تسليما ))<sup>(٣)</sup>

- 
- (١) قال الله تعالى : (( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم  
الاسلام ديناً )) (سورة المائدة : الآية : ٣ )
- (٢) قال الله تعالى : (( وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من  
الكتاب ومهيمننا عليه )) (سورة المائدة : الآية : ٤٨ )
- (٣) ذلك لقوله تعالى : (( ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو فسى  
الآخرة من الخاسرين )) (سورة آل عمران : الآية : ٨٥ )
- ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي  
أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به  
الا كان من أصحاب النار " (رواه مسلم : ٢ / ١٨٦ )
- (٤) سورة النساء : الآية : ٦٥ .

— وقال تعالى :

(( قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحييكم الله ويمفر  
لكم ذنوبكم والله غفور رحيم . قل اطيعوا الله والرسول فان  
تولوا فان الله لا يحب الكافرين ))<sup>(١)</sup>

— وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده  
والناس أجمعين " <sup>(٢)</sup>

— وقال عليه الصلاة والسلام :

" لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به " <sup>(٣)</sup>

ولسنا — في هذا البحث العلمي — بصدد استعراض السيرة الطيبة

بجميع نواحيها ، ولكن نمر بها مرورا جادا ، تركز الفكرة على النقاط المهمة

التي تبرز لنا المقومات الأصيلة للدعوة الاسلامية . . . . .

كانت حياة الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم — من حين بعثه — حافلة

لجميع أنواع الجهاد في سبيل الله ، وهي : ثلاثة وعشرون عاما ، ثلاث عشرة

سنة في مكة وعشر سنين بالمدينة المنورة ، وكانت حياته المكية والمدنية مركزة

لتحقيق أهداف دعوة سامية ، نطول أن نذكر ملخصا منها في المباحث الثلاثة

التالية وفي الفصل التالي ، وفي الحقيقة هذه المباحث وذلك الفصل وبهضاه كحلقات

سلسلة ذهبية تتناسكة لا ينفك بعضها عن بعض . . . . .

---

(١) سورة آل عمران : الآيتين : ٣١ و ٣٢

(٢) رواه الشيخان واللفظ لسلم : ١٥/٢

(٣) البغوى : شرح السنة : ٢١٣/١ ( باب رد البدع والاهواء )

## البحث الأول :

### بناء العقائد على التوحيد الخالص

أول ما بدأ به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هو : اصلاح العقائد وتكوينها ، اذ أن العقيدة تستقر في القلب الانساني وهو رئيس الأعضاء والجوارح ، كما أشار الى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : " ألا ، وان في الجسد مضمضة ، اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسدت الجسد كله ألا وهي القلب" (١)

ومما لا ريب فيه أن العقيدة لها مكانة حاسمة في تطوير حياة الأمم وبناء صرح مجدها ، والاحتفاظ بكرامتها ، حتى أن العقيدة الفاسدة أيضا تأتي - في بعض الأحيان - بآثار مدهشة عندما ترتسخ وتتصلب في قلوب حاملها ، كما يشهد به التاريخ الانساني فكيف لا تأتي العقيدة السليمة بمجزات تبهير الأبصار وتدهش العقول ٠٠٠٠٠ ومن أجل ذلك كان من الضروري جدا أن تكون عقائد الأمة الوسط التي أخرجت للناس تحوى على أمرين :

(١) رواه الشيخان : أنظر : مسلم : ٢٨ / ١١

(٢) نريد أن نشير - بهذه المناسبة - الى ما وقع قريبا من أحوال الجيش الياباني أثناء الحرب العالمية الثانية ، خصوصا في سبيل الدفاع عن مدينة " أوكي ناوا " إذ كانوا يلقون بأنفسهم الى الهلاك وينتحرون ، على عقيدتهم الباطلة بأن أرواح آبائهم في مكانة عالية تنتظرهم لترحب بهم ، فجاه عملهم هذا يحصل كبير من الحطى الخسائر الجسيمة بجيوش الحلفاء

( أنظر : رمضان لاوند : الحرب العالمية الثانية : ٥٧٠ - ٥٧٣ )

الأول : أن تكون سالحة صحيحة ، لاعوج فيها ولا شائبة ، ولا يحصل هذا إلا إذا كانت العقائد موحى بها من عند الله ، فلامجال فيها لزيادة أو نقص ، فهي تضمن فلاح حاملها في الدنيا والآخرة ، إذ أن العقائد الفاسدة - مهما صلت الأمة في التمسك بها ، وأفادت منها أحيانا - لاتصلح في نهاية المطاف لأن تتجاوب ومقتضيات الحياة وتطوراتها وكثيرا ما تجر الخراب والدمار على الجيل الانساني<sup>(١)</sup> . . . .

الثاني : أن تكون الأمة متصلة في التمسك بها ، إذ أن الضعف أو التضعف في الاستمسك بالعقائد يجعل الأمة مزعزعة الكيان ، ضعيفة الايمان ، كما ييمت أمراضا معنوية متنوعة . . . .

- 
- (١) فلننظر - بهذه المناسبة - الى نتائج عقيدة اليهود الباطلة :-  
 " أنهم شمب الله المختار " وما جرت هذه العقيدة الخبيثة على العالم الانساني من الكوارث ، والماسى ، وما يتوقع أن تجره في المستقبل على أهلها وغيرهم . . .
- (٢) ان الأمة الاسلامية - الأمة الوسط - مادامت متصلة في التمسك بعقائدها السماوية بدون تأويل او تشبيه ، جاءت بمعجزات فسي تاريخها الزاهر ، ولما بعدت - مع الأسف الشديد - عن التمسك بأهداب العقيدة الراسخة - وذلك بصورة نشأة المذاهب الكلامية والباطنية - شاهدت ما شاهدت من المآسى المؤلمة والكوارث المفضوحة في تاريخها الماضى والحاضر ، ولا يخفى ذلك على العميون الساهرة في رباط الاسلام .



فبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مهمته الجليلة بدعوة أمته السلي  
 أصول الدين ٠٠٠ وهى : الايمان بالله ، وتوحيده فى الاكوهية والربوبية ، وفى  
 أسمائه وصفاته ، والايمان بملائكته وكتبه ورسله ، والايمان باليوم الآخر ، والبعث  
 والجزاء ، والدعوة الى مكارم الأُخلاق .

كانت حياة الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم فى مكة عبارة عن الجهد  
 المتواصل لا يضح الرؤية العقائدية على أساس التوحيد الخالص ، فى جو مكفهر  
 يهيمن عليه الشرك والوثنية ، لأن التوحيد رأس العقيدة وأول دعوة الرسل<sup>(١)</sup>  
 — عليهم الصلاة والسلام — فكان يذم الأصنام<sup>(٢)</sup> ، ويقم على كفار مكة حججا  
 قاطعة ، وبراهين دامغة ، كما يشير اليه قوله تعالى :

(( ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو

اجتمعوا له ، وان يسألهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه

ضمف الطالب والمطلوب ، ماقدروا الله حق قدره ، ان

الله قوى عزيز . ))<sup>(٣)</sup>

ولم تجد عقلية المشركين الواهنة مساندا لتد على هذه البيئات الواضحة ،

القوية المتدفقة ، غير أن تظل صامته مبهوته ، أو أن تقوم — وقد جن جنونها —

(١) أنظر : ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحوية : ٧٤

(٢) أنظر : ابن هشام : سيرة النبى : ١ / ٢٦٢ .

(٣) سورة الحج : الآيتين : ٧٣ — ٧٤ .

(٤) أنظر : ابن هشام : المصدر السابق : ١ / ٣٧٤ .

فتحاول أن تطفى نور الله الساطع بأفواهها ، والله متم نوره ولو كره الكافرون  
 وقام المشركون - وقد ثارت حميتهم الجاهلية - فأذوا رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم وأصحابه ايذاءً شديداً (١) ، فتحمله هو وأصحابه بنهاية الصبر  
 والصمود ، إذ أن مصلحة هذه المرحلة من الدعوة كانت تقتضى مواجهة الظروف  
 بأساليب سليمة ، لأن الأمل فى قبول الناس الدعوة لم ينقطع ، والجوال تلك لم  
 ينجل ، ولم تجد الدعوة من الشخصيات المقيدة عدداً تتمكن به من إيجاد مجتمع  
 عقدي دعوى (٢) ، وكيفلا يجد أعداء الدعوة فرصة ليتهموها بالمنف والشدة ، والقساوة  
 والفظاظة .

ولعلنا نستجلى خلاصة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيان  
 جعفر بن أبي طالب - رضى الله تعالى عنه - أمام النجاشي ، ملك الحبشة ، إذ قال (٣) :

" أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ونأكل  
 الميتة ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسى الجوار  
 يأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله

- 
- (١) أنظر : ابن هشام : سيرة النبي : ٣٢٤/١ - ٣٢٩
- (٢) ونستطيع أن نستأنس لذلك بقول عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه -  
 وقد قاتل قريشا وقتلوه بعد أن أسلم وقاموا على رأسه وهو يقول : " وافعلوا  
 ما بدا لكم ، فأحلف بالله ، أن لو كنا ثلاث مائة رجل : لقد تركناها لكم وتركتموها  
 لنا " ( انظر : ابن هشام : المصدر نفسه : ٣٧٤ / ١ )
- (٣) ان هذه الرواية ذات قيمة كبيرة بصددها ما نحن فيه من بيان خصائص الدعوة ،  
 ولا سيما فى بدايتها ، وهنالك آيات وأحاديث تجولنا هذه الخصائص ،  
 وسندكرها فى محالها ان شاء الله .

الينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعظافه ، فدعانا  
الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وأبائنا  
من دونه من الحجارة والأوثان <sup>(١)</sup> وأمرنا بصدق الحديث <sup>(٢)</sup>

(١) السور المكية مليئة بهذه المعاني ، منها : قوله تعالى : (( واذ قيل

لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو  
كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ، ومن يسلم وجهه الى الله وهو  
محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ، والى الله عاقبة الأمور ))  
( سورة لقمان : الآيتين : ٣١ ، ٣٢ )

— وقوله تعالى : (( وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات  
بنهر علم ، سبطنه وتعالى عما يصفون ، يديح السماوات والأرض ، أنى يكون  
له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء ، وهو بكل شىء عليم ، ذكركم الله  
ربكم لا اله الا هو ، خلق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل ، لا تدركه  
الأبصار ، وهو اللطيف الخبير )) ( سورة الانعام : الآيات ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ )  
— وقوله تعالى : (( انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين

الا ، لله الدين الظلصه والذين اتخذوا من دونه أولياء ، ما نعبدهم الا  
ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون ، ان الله  
لا يهدى من هو كاذب كفار )) ( سورة الزمر : الآيتين : ٢ — ٣ )  
(٢) الصدق من أسس شعارات المسلم ، ولقد اهتم بتعليمه الاسلام فى كسل

مرحلة من مراحل دعوته ، قال تعالى : (( والذي جاء بالصدق وصدق به  
أولئك هم المتقون )) ( سورة الزمر : الآية : ٣٣ ) والآمكية ، قال قتادة وغيره  
الذى جاء بالصدق : النبى صلى الله عليه وسلم ، والذي صدق به : المؤمنون  
( أنظر : الشوكانى : فتح القدير : ٤ / ٤٦٣ ) ونص القرآن الكريم  
على التزام المسلم بالصدق بقوله تعالى : (( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله  
وقولوا قولا سديدا )) ( سورة الأحزاب : الآية : ٧٠ ) والآية مدنية .

وأداء الأمانة وصلة الرحم <sup>(١)</sup> ، وحسن الجوار <sup>(٢)</sup> ، والكف  
عن المحارم والدماء <sup>(٤)</sup> ، ونهانا عن الفواحش <sup>(٥)</sup>

- (١) تؤيد الآية المكية هذا المعنى ، قال تعالى : (( والذين هم لأماناتهم  
وعهدهم راعون )) (سورة المؤمنون : الآية : ٨ )
- (٢) ويؤيده قوله تعالى : (( ان الله يأمر بالمدل والاحسان وايتاء ذى القربى ))  
(سورة النحل : الآية : ٩٠ ) كما يؤيده عمل رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، الذى أبرزته زوجه خديجة الكبرى - رضى الله عنها - بقولها :  
" كلا ، والله ما يخزيك الله ابدا ، انك لتصل الرحم " ( الحديث )  
( انظر : البخارى : الجامع الصحيح : ٢٢/١ ) وذلك تسلية لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم عند شموه بشدة بداية الوحي .
- (٣) حسن الجوار ، من أهم تعليمات الاسلام ، ومميزات المجتمع الاسلامى ،  
وردت فيه أحاديث كثيرة ، وكان معمولا به فى كل مرحلة من مراحل الدعوة  
المكية والمدنية ، ونص عليه القرآن الكريم فى الآية التى نزلت بعد الهجرة فقال  
تعالى : (( واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى  
القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب ))  
( الآية ) ( سورة النساء : الآية : ٣٦ ) .
- (٤) وتؤيد الآية المكية هذا المعنى ، قال تعالى : (( ولا تقتلوا النفس التى  
حرم الله الا بالحق )) ( سورة الاسراء : الآية : ٣٣ ) .
- (٥) الفواحش : جمع الفاحشة ، وقد أريد بها فى الاسلام : كبار الذنوب ، وكل  
ما لا يلائم القيم الانسانية المالية ، ومكارم الأخلاق من قول أو فعل ( أنظر :  
الشوكانى : فتح القدير : ١٨٨/٣ ) ومن أكبر مظاهرها : الزنا ، وسد  
الاسلام بالنهى عن الفواحش باب كل رذيلة - صغيرة كانت أو كبيرة - تدخل  
فى نفس الانسان ، وتفسد عليه أخلاقه وقيم مجتمعه ، فتجر عليه كثيرا من  
المآسى التى لا يدرك آثارها فى بداية الأمر . فالفاحشة كانت منهية عنها  
فى كل مرحلة من مراحل الدعوة ، واليهكم بمضى الآيات المكية التى تؤيد هذا  
المعنى : قال تعالى : (( قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ،  
والاثم والبنى بنفى الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا  
على الله ما لا تعلمون )) ( سورة الأعراف : الآية : ٣٣ ) - وقال تعالى : (( ان  
الله يأمركم بالمدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر  
والبنى يعظكم لعلكم تذكرون )) ( سورة النحل : الآية : ٩٠ ) .

وقبول الزور<sup>(١)</sup> ، وأكل مال اليتيم<sup>(٢)</sup> ، وقذف المحصنات<sup>(٣)</sup>  
وأمرنا أن نعبد الله وحده ، ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة<sup>(٤)</sup>

- (١) قال الله تعالى في صفات عباد الرحمن : (( والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما )) (سورة الفرقان : الآية : ٧٢ )
- (٢) قال الله تعالى : (( ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده )) (سورة الاسراء : الآية : ٣٤ )
- (٣) قذف المحصنات أيضا فاحشة من الفواحش التي تأتي على المجتمع الاسلامي بأنواع من الفساد والمآسى ، ومن أجل ذلك حرم الاسلام قذف المحصنات في كل مرحلة من مراحل دعوته ، حتى نص القرآن الكريم على اقامة الحد على من يقذف المحصنات ، وذلك بعدما رسخت دعائم المجتمع الاسلامي بالمدينة المنورة فنزلت الآية الكريمة : (( والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسقون . الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم )) (سورة النور : الآيتين : ٤ - ٥ ) ولفظ المحصنات يشمل النماء والرجال تغليبا (انظر: الشوكاني : فتح القدير : ٤ / ٧ )
- (٤) افتترضت الصلاة في بداية الدعوة كما تشير اليه الآيات القرآنية التي نزلت بمكة ، منها قوله تعالى : (( قل ان هدى الله هو الهدى ، وأمرنا لنسلم لرب العالمين ، وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون . )) (سورة الأنعام : الآيتين : ٧١ - ٧٢ )
- وقوله تعالى : (( انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة )) (سورة فاطر : الآية : ١٨ )
- وقوله تعالى : (( قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون . )) (سورة المؤمنون : الآية : ١ - ٢ )
- وروى ابن اسحاق عن صالح بن كيسان ، عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: افتترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افتترضت عليه ركعتين ركعتين كل صلاة ، ثم ان الله تعالى أتمها فسي الحضرا ربما وأقرها في السفر على فرضها الأول ركعتين .
- ( ابن هشام : سيرة النبي : ١ / ٢٤٨ )

والزكاة<sup>(١)</sup> ، والصيام<sup>(٢)</sup> ، - ظلت أم سلمة : فمدد عليه أمور  
الاسلام - فصدقناه وآمننا به ، واتبعناه على ما جاء به من  
الله ، فمبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحبونا ما حرم  
علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فمدا علينا قلوبنا<sup>(٣)</sup>

(١) نرجح القول بأن الزكاة كانت واجبة في مكة ، الا انها كانت زكاة مطلقة  
من القيود والحدود ، وكانت موكولة الى احساس الأفراد وشمورهم  
وواجبهم الاخوية نحو اخوانهم المؤمنين الضمفاء ( انظر هذا البحث في  
تفسير ابن كثير : ٢٣٨/٣ ، ٢٣٩ ، عند تفسير قوله تعالى : (( والذين  
هم للزكاة فاعلون )) وانظر : فقه الزكاة : ٥٨/١ - ٦٢ للدكتور يوسف القرضاوى )  
ويدل على ذلك قوله تعالى : (( ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة  
وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ، ليوفيهم أجورهم  
ويسزيد من فضلة انه عفور شكور )) ( سورة فاطر : الآيتين : ٢٩-٣٠ )  
- وقوله تعالى : (( والذين في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم )  
( سورة المعارج : الآيتين : ٢٤ ، ٢٥ )

(٢) فرض صيام رمضان في السنة الثانية من الهجرة ( انظر : ابن كثير : البداية  
والنهاية : ٢٥٤ / ٣ ) أما الصيام في مكة ، فعروى عن عائشة رضى  
الله تعالى عنها ، أنها قالت : كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية  
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه ، فلما هاجر الى المدينة صامه  
وأمر بصيامه ، فلما فرض شهر رمضان قال : من شاء صامه ومن شاء تركه  
( رواه مسلم : ٨ / ٤ و ٥ )

ربما أراد جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه بالصيام ، صيام عاشوراء ، والله  
أعلم بالصواب .

(٣) انظر : ابن هشام : سيرة النبي : ١ / ٣٤٨ .

## البحث الثاني :

### تكوين شخصيات عقديّة

إذا كان الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم يبذل جهوده البهائية المتواصلة في إيضاح عقيدة التوحيد الخالص أمام مشركي مكة ، فقد كان يهتم اهتماماً كبيراً في تربية نفوس طاهرة ، وبناء شخصيات دعوية فعالة ، تحمل لواء الدعوة وتشيد الحياة الإسلامية المنتظرة ، لتخرج الناس من ظلمة الوثنية إلى نور التوحيد ، ومن بهيئة يملو فيها - بين آونة وأخرى - صليل السيوف ، إلى بيئة يسودها الهدوء والسالمة ، ومن قساوة نزعات النهب والفاقة إلى طمأنينة التجاوب ، والتعاون ، ومن دمار نظام الثأر والانتقام إلى حياة نظام القصاص ، ومن فوضى الحياة القبلية إلى تنظيم الحياة الاجتماعية ، ومن شرور نظام الطبقات إلى روائع نظام المساواة .

وكانت شعاب مكة مجالاً قسيط لهذه النشاطات المباركة<sup>(١)</sup> ، كما كانت دار الأرقم<sup>(٢)</sup> ابن أبي الأرقم بناء مقبولاً اجتماع هؤلاء المقبلين على دعوة محمد صلى الله عليه وسلم .

- (١) أنظر : ابن هشام : سيرة النبي : ١ / ٢٥١ ، ٢٦١ .
- (٢) هو الأرقم بن أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، كان من السابقين الأوّلين إلى الإسلام . . . . . كان ثاني عشر من أسلم ، وكان من المهاجرين الأولين ، شهد بدرًا واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقات ، توفي سنة ثلاثه أو خمس وخمسين ، ودفن بالبقيع .
- ( أنظر : ابن الأثير : أسد الغابة : ١ / ٢٤ - ٢٥ )
- (٣) أنظر : ابن سعد : الطبقات : ٣ / ٢٤٢٢
- أنظر : ابن الجوزي : صفة الصفوة : ١ / ٤٤٢ .

خرجت هذه المدرسة المحمدية رجالات عاقره تجسدت الدعوة الاسلامية

فى شخصياتهم الفذة ، وعقليتهم النيرة ، فأسهموا فى تغيير مجرى التاريخ

— فى مدة يسيرة —

ومسار الحياة الانسانية ، وملؤوا ربوع المعمورة عدلاً وسالماً ، ورفاهية وسعادة

وأخرجوا عبادة الله من عبادة المعباد الى عبادة الله وحده ، ومن جور الأديان

الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها<sup>(١)</sup> ، وفتحوا أمامهم آفاق العلم

والحضارة ، كما كانوا فى أنفسهم رمزاً للتفانى فى سبيل اعلاء كلمة الله ، والتضحية

فى سبيل الكفاح ، والحيوية والنشاط فى خدمة الدين الخفيف .

اذا رأينا أبا بكر الصديق — رضى الله تعالى عنه — يقدم نفسه تضحية

فى سبيل اعلاء كلمة الله ، ويتحمل شديد الأذى فى رحاب المسجد الحرام

(٢)

وهو يدافع عن النبى صلى الله عليه وسلم ويقول : " أتقتلون رجلاً يقول : رضى الله

بى ؟ " ، وجدنا هناك بلالاً — رضى الله تعالى عنه — نموذجاً مدهشاً

فى تحمل الأذى والاضطهاد ، والصلابة فى عقيدة التوحيد ، ولم يزل

صوته السمرى " أحد ١٠٠٠ أحد " <sup>(٣)</sup> يدوى حتى الآن فى شهاب مكة .

وهذا عمار بن ياسر وتضحيات أسرته الكريمة فى سبيل الاسلام ، وذاك

خباب ابن الأرت ، وهناك عمر بن الخطاب : الذى خرج من بيته يريد قتل

(١) تمبير صطبي جليل رضى بن عامر رضى الله تعالى عنه أمام قائد جيوشى

الفرس رستم ( انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ٣٩ / ٧ ) .

(٢) أنظر : ابن الجوزى : صفة الصفوة : ١ / ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٣) أنظر : ابن هشام : سيرة النبى : ٣٢٤ / ١ ، ٣٢٥ .



محمد صلى الله عليه وسلم فاذا هو قد انقضى على بيئته صلى الله عليه وسلم على  
أن يقدم جميع ما يملكه من نفسه وماله في سبيل الدعوة الاسلامية ، ثم يسدوى  
ريح الكون بعد له وانصافه ، وزهده وتقواه ...

وفي الحقيقة ربي الرسول العظيم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم  
كتلة انسانية ما طلعت الشمس على أرفع منها درجة بعد الأنبياء - عليهم  
الصلاة والسلام - وأجمل منها روعة وسهاء ، وأفضل منها رزانة ومثانة ،  
وأكمل منها شجاعة وسالة ، وأنقى منها صفاء ، وجلاء ، وأسمى منها خلقا  
وسلوكا ، وأحلى منها لهجة وتكلما ، وأعلى منها ذكاء ، ونظانة ، وأشرف منها  
مجدا وسرورة وكرامة ... فأصبحوا مثلا أعلى للقيم الخلقية والانسانية  
وحازوا مراتب سامية من القيم الروحية ، وصاروا شمساً طلعت في سما  
الانسانية مرة ، ولا تطمح الانسانية بأن يطالع في سائها شمس -  
طرازهم مرة أخرى ... كما أصبحوا مصدرا موقفا للدين الخفيف ،  
وقدوة صالحة للمسلمين ... ونص على طهارتهم وعدالتهم الكتاب الحكيم  
والمنة المطهرة .

فمما نص على عدالتهم وعلى مكانتهم الرفيعة القرآن الكريم : قوله تعالى :

(( كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن

المنكر وتؤمنون بالله ))<sup>(١)</sup>

(١) سورة آل عمران : الآية : ١١٠ .

- وقوله تعالى :

(( وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على

الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ))<sup>(١)</sup>

فالمصداق الأول والأنسب لمنصب " خير الأمة " و " الشهداء على

الناس " و " الأمة الوسط " مباشرة هم أصطب رسول صلى الله عليه

وسلم بدون خلاف ...

- وقوله تعالى :

(( والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين

اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات

تجري من تحها الأنهار ظللدين فيها أبدا ، ذلك الفوز

المعظم ))<sup>(٢)</sup>

وقوله تعالى :

(( محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء

بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم

فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى

الانجيل ، كزرع أخرج شطاء فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه

يعجب الزراع ليفيط بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا

الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ))<sup>(٣)</sup>

---

(١) سورة البقرة : الآية : ١٤٣ .

(٢) سورة التوبة : الآية : ١٠٠ .

(٣) سورة الفصح : الآية : ٢٩ .

— وقوله تعالى :

(( لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة  
فعلم ما فى قلوبهم ، فانزل السكينة عليهم واثابهم فقط قريبا ))<sup>(١)</sup>

— وقوله تعالى :

(( ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم  
فى سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعضهم ))<sup>(٢)</sup>

— وقال تعالى :

(( لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل  
اولئك اعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا  
وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير ))<sup>(٣)</sup>

— وقال تعالى :

لا للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم  
واموالهم يبحثون فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله  
ورسوله اولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار  
والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى  
صدورهم حجة مما اتوا ، ويؤثرون على انفسهم

---

(١) سورة الفتح : الآية : ١٨ .

(٢) سورة الانفال : الآية : ٧٢ .

(٣) سورة الحديد : الآية : ١٠ .

ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم  
 المفلحون . والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا أغفر  
 لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فسى  
 قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم<sup>(١)</sup>

— وقال تعالى :

(( ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن  
 لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون بهذا  
 عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بمعهده  
 من الله فاستبشروا بهيئكم الذى بايعتم به ، وذلك  
 هو الفوز العظيم . التائبون المابدون الطميدون السائحون  
 الواكفون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن  
 المنكر والطفظون لحدود الله ، وبشر المؤمنين<sup>(٢)</sup> ))  
 ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وأطنب تعظيمهم وأحسن  
 الثناء عليهم ، فمن تلك الأخبار ما رواه عمران بن حصين رضى الله  
 تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" ان خيركم قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ،  
 ثم الذين يلونهم — قال عمران : فلا أدرى ، أقال رسول الله

(١) سورة الحشر : الآيات : ٨ ، ٩ ، ١٠

(٢) سورة التوبة : الآيتين : ١١١ — ١١٢

صلى الله عليه وسلم بعد قرنه مرتين أو ثلاثة - ثم يكون  
بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤمنون  
وينذرون ولا يوفون ، ويظلمون فيهم الممن <sup>(١)</sup> .

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" النجوم أمانة للسماء ، فاذا ذهب النجوم أتى  
السماء ما تعد ، وأنا أمانة لأصحابي ، فاذا ذهب  
أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمانة لأمتي فاذا  
ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون <sup>(٢)</sup> .

- وقال عليه الصلاة والسلام :

" لاتسبوا أصحابي ، لاتسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي  
بيده ، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك  
مد أحدهم ولا نصيفه <sup>(٣)</sup> .

وتدل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على صفات سامية كان  
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تخلقوا بها بفضل تربيته صلى  
الله عليه وسلم إياهم تربية دقيقة كاملة ، ونستطيع أن نلخص تلك  
الصفات كالتالي :

(١) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٦ / ٨٧ - ٨٨

(٢) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٦ / ٨٣ .

(٣) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٦ / ٩٢ .

- انهم يؤمنون بالله ايماناً كاملاً وراسخاً •
- انهم خیرأمة أخرجت للناس كمثل واقعی مطلوب عند الآله  
سبحانه وتعالى •
- شدتهم وغنهم للكافرين والمعاندين ، ورفقهم ولينهم للمؤمنين  
والمسلمين •
- وتعبير آخر : تجدونهم في تمسكهم بالعقائد وفي مواقفهم في  
وجه الكفر والشرك - في معركة الحق والباطل - متصلبين  
تصلب الحديد والفولاذ ، كأنهم لا يعرفون ما هو الرفق وما هو اللين ،  
كما تجدونهم في معاملتهم فيما بين المسلمين ، وسلوكهم ، وفي  
اخذتهم من الوسائل الباحة التي تعين المصلحة الاسلامية  
الدعوية ، ليثمن ، ناعمين نعومة الحرير والديباج كأنهم  
لا يعرفون الخشونة •
- انهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
- يبدو من وجوههم المشرقة أنهم يبيتون لرهبهم راکمين وساجدين
- اذا تطلبت المصلحة الدعوية منهم مهاجرة بلادهم هجروها بدون  
تردد •
- واذا تطلبت منهم الجهاد سابقوا اليه بأموالهم وأنفسهم •
- من صفاتهم العالية ايواء المهاجرين ومناصرتهم •
- من صفاتهم السامية : الايثار ، والتضحية والمحبة •
- انهم يعيشون كالاخوة ، يحب بعضهم بعضاً لا باللسان فقط  
بل من صميم القواہ ، بحيث يذكر بعضهم بعضاً عند مناجاتهم ورسهم في  
خلواتهم •

- يعبدون ربهم ويحمدونه ويشكرونه على كل حال ، واذا صدرت منهم

زلة أو خطيئة - من أجل البشرية - يتسهون الى الله .

- من صفاتهم الرفيعة أنهم يحفظون على حدود الله ولا يتعدونها

هذه نهدة من تلك الصفات العالية التي يجب أن يتوزن بها

أفراد كل مجتمع اسلامي - كلهم أو أغلبيتهم على الأقل - والمثال الحي لذلك

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين رساهم الرسول العظيم

صلى الله عليه وسلم ، فأصبحوا بفضل تربيته عقيدة عظيمة ونماذج انسانية

فذة ، قد أشربوا روح الدعوة صافية سائفة . . . . .

فمن أراد أن يرضى ربه عليه أن يستن بسنة رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مثال في هذا

المجال ، ولا يمكن تشكيل مجتمع اسلامي دعوى على وجه الأرض الا باتباع

أغلبية أفراد المجتمع - على الأقل - أصحاب محمد العربي القرشي

صلى الله عليه وسلم ، وهما ، هو ذا ، قد أشار الى ذلك الصطبي الجليل

عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه ، حيث قال :

" من كان منكم مستتاً ، فليستن بمن قدمات ، فان الحي

لاستؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه

وسلم ، كانوا أفضل هذه الأمة ، أبرها قلوباً ، وأعمقها

علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وأمانة

دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، وتمسكوا

بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم ، فانهم كانوا على الهدى المستقيم<sup>(١)</sup>"

(١) أنلسر : ابن أبي العز : شرح العقيدة الطحاوية : ٤٣٢ .

— وقال أيضا :

" ان الله نظرفى قلوب العباد ، فوجد قلب محمد  
 ( صلى الله عليه وسلم ) خير قلوب العباد فاصطفاه  
 لنفسه ، وابتعثه برسالته ، ثم نظرفى قلوب العباد  
 بمحمد قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، فوجد قلوب  
 أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه ، يقاتلون  
 على دينه ، فصاروا المسلمون حسنا ، فهو عند الله  
 حسن ، وما رآه شيئا فهو عند الله سيئا<sup>(١)</sup> "

---

(١) أنظر: ابن أبي العز: شرح المفيدة الطوية : ٥٣١ .



## المبحث الثالث :

تكوين مجتمع عقدي

.....

كان الهدف الأكبر من أهداف رسول الله صلى الله عليه وسلم : ايجاد مجتمع عقدي يكون مثالا رائعا ونموذجا حيا لتطبيق التعاليم الاسلامية على وجه الأرض ، اذ أن الاجتماع من المقضيات البشرية - كما أسلفت - لأن الانسان مدنى بالطبع ، ولا يمكنه أن يعيش منمزلا عن البيئة وحيدا ومنفردا فى هذا الكون ، والا لم يكمل وجوده ، وما أراد الله تبارك وتعالى من اعمار العالم به واستخلافه اياه .

وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجتمع جاهلى لا يعرف القيم العالية التى ينهنى على أساسها أى مجتمع انسانى فاضل ، فجهز شخصيات عقديّة ليصيروا دعائم لذلك المجتمع ، الا أن الظروف القاسية فى مكة ، ما كانت تواتى هذه المطاردة ولا تستجيب لها . . . بل كان المجتمع الجاهلى يتقدم بكل ما يملكه من الامكانات لاجداث العقبات والمشكلات فى طريق ايجاد هذا المجتمع الدعوى الثالثى . فهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يثرب ، التى عرفت بعد ذلك " بمدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأوجد هناك المجتمع المطلوب ، عقب جهاد جاهد نغلب فيه على العقبات التى واجهته بعد الهجرة . . .

كان هذا المجتمع المقدي ( المثالي ) يقوم على دعائم لم يألفها  
قط أي مجتمع انساني - غير مجتمعات الأنبياء السابقين عليهم الصلاة  
والسلام - قام على وجه الأرض ، ومن أهمها ما يلي :-

- ١ - وحدة العقيدة .
- ٢ - الأخوة .
- ٣ - الحررية .
- ٤ - العدالة والمساواة .
- ٥ - التكافل .
- ٦ - نظام الأسرة .
- ٧ - التنظيم الاقتصادي .
- ٨ - العلم والتعليم .
- ٩ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- ١٠ - الحياة البالغة في العلاقات .

ان شرح هذه النواحي المهمة واعطاؤها حقها من البحث يقتضى  
كتابة رسالة ضخمة ، فنكتفى بإشارات الى معانيها ومدلولاتها حسب  
ما يقتضيه المقام ، اذ أن مميزات هذا المجتمع المقدي ( المثالي )  
من أهم ثمرات الدعوة ولوازمها في المهدين الامامين النبويين  
والراشديين .

## ١ - وحدة العقيدة :

إذا قام مجتمع على أساس الجنس ، أو اللون ، أو النسب - على نحو ما تقوم عليه المجتمعات الجاهلية <sup>(١)</sup> - اندثرت آثاره بسرور الأيما والليالي ، لأن الأجناس قد تتنافر ، والألوان قد تتباين ، والأنساب قد تختلط . . . . . ومن أجل ذلك قام المجتمع الاسلامى على أساس وحدة العقيدة <sup>(٢)</sup> ، فالعقيدة الربانية الجامعة لا تضعف مهما صدمتها صخور الانحرافات ، ولا تتمايل مهما هبت عواصف الوهم والشرافات ، ولا تقلع مهما اشتدت تيارات السيل الجارف . . . . .

فقد أرسى رسول الله صلى الله عليه وسلم حجر الأساس للمجتمع الاسلامى على توحيد العقيدة ، ونذكر ههنا بعض آيات من القرآن الكريم وبعض أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، تشير الى الوحدة العقديسة

(١) أريد " بالجاهلية " : المجتمعات التى تنافى الاسلام فى أصولها

وسلوكلها وأهدافها ، سواء تقدم بها الزمان أو تأخر .

(٢) تقوم العقيدة الاسلامية على أساس الايمان بتوحيد الله سبحانه وتعالى

فى ألوهيته وربوبيته ، وفى أسمائه وصفاته ، والايمان بملائكته

وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، والبعث بعد الموت ، والقدر خيرره

وشره من الله تعالى . . . . . وعلى أساس اقرار فرضية الصلاة والزكاة ،

والصيام والحج . وكل ذلك فى ضوء ما ثبت من كتاب الله وسنة

رسوله صلى الله عليه وسلم بدون تأويل أو تحريف .

( راجع التفصيل فى كتاب : شرح العقيدة الطحوية )

التي تربط بين المؤمنين ، وتفرق بينهم وبين الكفار ، منها  
قوله تعالى :

(( ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم  
في سبيل الله ، والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم  
أولياء بعض ، والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم  
من شيء حتى يهاجروا ، وان استنصروكم في الدين  
فمليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ، والله بما  
تعملون بصير . والذين كفروا بعضهم أولياء بعض  
الا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير . والذين  
آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ، والذين آووا ونصروا  
أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم مغفرة ورزق كريم . والذين  
آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم ، فأولئك منكم ، وأولو  
الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ، ان الله بكل  
شيء عليم . ))<sup>(١)</sup>

— وقال تعالى :

(( والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض )) الآية<sup>(٢)</sup>

— وقال تعالى :

(( لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ،

(١) سورة الأنفال : الآيات : ٧٢ — ٧٣ — ٧٤ — ٧٥ .

(٢) سورة التوبة : الآية : ٧١ .

ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم  
تقاه ، ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير .<sup>(١)</sup>

— وقال تعالى :

(( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم  
أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان<sup>(٢)</sup> ، ومن يتولهم  
منكم فأولئك هم الظالمون<sup>(٣)</sup> ))

— وقال تعالى :

(( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء  
بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله  
لا يهدي القوم الظالمين<sup>(٤)</sup> ))

(١) سورة آل عمران : الآية : ٢٨ .

(٢) إنما هي وحدة العقيدة التي حضت الأبناء المؤمنين على أن يقتصوا  
في وجوه الآباء الذين استحبوا الكفر على الإيمان . . . . هذا أبو حذيفة  
— رضی اللہ تعالیٰ عنہ — يشهد معركة بدر ، وينادي آباء عتبة بمن  
ربيعة — سيد قريش — أن يبارزه في ساحة القتال ، ويجرب ضربة سيف  
ابنه على عنقه في معركة الحق والباطل ، فلم يخرج إليه . . . . ولم يكن  
الكفر يدرك كنه هذه الوحدة العقديّة وجاذبيتها فاندفعت أخت أبي حذيفة  
هند تقول :

الأحول الأشمل المشوم طائره . . . أبو حذيفة شر الناس في الدين  
أما شكرت أبا رباك من صفر . . . حتى شببت شبابا غير محجون  
( أنظر : ابن سعد : الطبقات : ٣ / ٨٥ )

(٣) سورة التوبة : الآية : ٢٣

(٤) سورة المائدة : الآية : ٥١

— وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(( من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ،  
فذلك المسلم الذي له ذممة الله وذممة رسوله ، فلا  
تخفروا الله في ذمته ))<sup>(١)</sup>

— وقال عليه الصلاة والسلام :

(( أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله  
وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا  
فعلوا ذلك عصموا عنى ، وما هم إلا بحق الإسلام وحسابهم على  
الله ))<sup>(٢)</sup>

— وعن عمرو بن العاص — رضى الله عنه — قال :

\* سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جها را غير سر  
يقول : ألا ، ان آل أبى — يعنى فلانا — ليسوا لى  
بأولياء ، لنا ولى الله وحال المؤمنين ))<sup>(٣)</sup>

فهذه الوحدة العقديّة التي أشير إليها فيما ذكرنا من الآيات والأحاديث  
ظلت تربط المسلمين في مجتمعهم وتقودهم طوال العهدين الاماميين ،  
النهوى والراشدى ، والمعهود التي نحت منحاهما .

---

(١) رواه البخارى : ٤٩٦ / ١

(٢) متفق عليه : واللفظ للبخارى : ٧٥ / ١

(٣) رواه مسلم : ٨٧ / ٣

واننى أرى أن الوحدة العقديّة " مهمة جدا لايجاد المجتمع  
الاسلامى الدعوى المطلوب ، ومن أجل ذلك أريد أن أتوسع قليلا فى هذا  
المجال وأشير الى نقطة مهمة غاية الأهمية فأقول : ان عقيدة التوحيد  
الخالص ، هى التى تربط الأمة الاسلاميّة فى اطار الوحدة القويمة ،  
لاغير ، ولا تحدث صبغة الاتحاد والوئام والوحدة فى الأمة الصبغة  
الفالمية التى تضمن فلاح الأمم ونجاحها فى هذا الكون - الا اذا كانت  
الأمة متمسكة بعقيدة التوحيد الخالص وعاضة عليها بالتواجد ، ومنبع  
الاختلاف والنوضى ، والتفرق ، والتشتت هو : الشرك ، والانحراف عن  
التوحيد الخالص لله ، وتبهين لنا هذه الحقيقة اذا أمنا النظر فى  
العقائد الباطلة المنتشرة فى هذا الكون ، ولقد شوهد أن المشركين  
لم يزالوا يخلفون فى عقائدهم ، ولم يتفقوا أبدا على وسيلة واحدة توصلهم  
الى الله - كما يزعمون : " مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى " فيشرك  
البعض بالله العفارت والأجنة ، بأنهم يوصلونهم الى الله ، كما يختلف البعض  
فى عبادة الآلهة ( الخيالية ) ..... فهناك اله الطب ، واله الصحة  
واله القوة ، واله الحب ، وما الى ذلك ..... وكذلك بعضهم يعبدون  
القمر ، كما يسجد بعضهم للشمس والكواكب الأخرى ، فلم يتفقوا -  
ولن يتفقوا - على وسيلة واحدة - فى حد زعمهم - تربط بعضهم  
ببعض فى الوصول الى الفاية ..... فما بعد التوحيد الا الضلال والخلاف  
وأشار الى ذلك الاختلاف القرآن الكريم فى آيات كثيرة ، نذكر منها ما يلى :

— قال الله سبحانه وتعالى :

(( قل أغير الله أبني رسا وهو رب كل شيء ، ولا تكسب كل نفس الا عليها ، ولا تنزروا زرة وزرا أخرى ، ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ))<sup>(١)</sup>

— وقال تعالى :

(( وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون ))<sup>(٢)</sup>

— وقال تعالى :

(( ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه ، اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون . وان الله رس وريك فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم ، فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ))<sup>(٣)</sup>

— وقال تعالى :

(( ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما تعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار ))<sup>(٤)</sup>

---

(١) سورة الأنعام : الآية : ١٦٤

(٢) سورة يونس : الآية : ١٩

(٣) سورة مريم : الآيات : ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ .

(٤) سورة الزمر : الآية : ٣



فلا ريب . . . انه ليس بعد التوحيد الا الخلاف والاختلاف . . .  
ويؤكد هذا المعنى ما واجهته هذه الأمة الاسلامية من مآسى الاختلاف  
والتشتت والتفرق . . . . . حينما انقسمت الى الفرق ، فبرزت من بينها  
فرق باسم السبئية<sup>(١)</sup> ، والشيعنة<sup>(٢)</sup> ، والخوارج<sup>(٣)</sup>

- (١) السبئية : فرقة تؤمن بالوهمية على بن ابي طالب رضى الله عنه ، وبدأ  
بهذا القول عبد الله بن سبا اليهودى وأتباعه ، فأحرق على رضى الله  
عنه قوما منهم ونفى ابن سبا الى سابط المدائن .  
( أنظر : الاسفرائينى : الفرق بين الفرق : ٢١١ و ٢٣٣ - ٢٣٦ )
- (٢) الشيعة : الذين شايخوا عليا رضى الله عنه على الخصوص ، وقالوا بامامة  
وخلافته نورا ووصية ، اما جليا واما خفيا ، واعتقدوا أن الامامة لا تخرج من  
أولاده ، وان خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بثقية من عنده ، وقالوا  
ليست الامامة قضية مصلحة ، بل هى قضية أصولية ، وهى ركن الدين  
ولا يجوز للرسول عليهم السلام اغتاله واهماله ، ولا تفويضه الى العامة وأرساله  
. . . . . وللشيعة فرق عديدة ، والمعائد التى تجمع فرق الشيعة  
هى : القول بوجوب التحمين والتنصيب ، وثبوت عصمة الأنبياء  
والأئمة وجوبا عن الصفات والكبائر ، والقول بالتولى والتبصرى  
قولا وفعلًا ، وعقدا الا فى حلال التقية ، ويظلفهم بعض الزيدية فقط .  
( أنظر : الشهرستانى : الملل والنحل : ١ / ١٣١ وما بعدها )
- (٣) الخوارج : كل من خرج على الامام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه ، يسمى  
خارجيا ، سواء كان الخروج فى أيام الصلابة على الأئمة الراشدين ، أو كان  
بعدهم هلئ التابعين باحسان ، والأئمة كل زمان .  
وللخوارج فرق عديدة ، والمعائد التى تجمعها : هى : التبصرى من عثمان وعلى  
يقدمون ذلك على كل طاعة ، ولا يصححون المناكحات الا على ذلك ، ويكفرون أصحاب  
الكبائر ، ويرون الخروج على الامام اذا خلف السنة حقا واجبا .  
( انظر : الشهرستانى : الملل والنحل : ١ / ١٠٥ وما بعدها )

والمعتزلة<sup>(١)</sup> ، والمرجئة<sup>(٢)</sup> ، والجهمية<sup>(٣)</sup> وغيرها فرق عديدة.....

(١) المعتزلة : القائلون في القدر وفي المنزلة بين المنزلتين ، بدأ بهذا

القول واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ، كانا يجلسان في مجلس الامام الحسن البصرى رحمه الله ، فطردهما الحسن عن مجلسه ، فاعتزلا الى سارية من سواري مسجد البصرة ، فقيل لهما ولا تباعهما : المعتزلة . لاعتزالهم قول الأمة في دعواها أن الفاسق من أمة الاسلام لا مؤمن ولا كافر مسلم وللمعتزلة شتان وعشرون فرقة ، كل فرقة منها تكفر سائرهما .

( أنظر : الاسفرائينى : الفرق بين الفرق : ٢٠ - ٢١ و ٢٤ )

( أنظر : الشهرستاني : الملل والنحل : ٤٩/١ وما بعدها )

(٢) المرجئة : القائلون بتأخير العمل عن النية والعقد ، فهو خورون حكم

صاحب الكبيرة الى يوم القيامة ، فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا ، عن كونه من أهل الجنة أو من أهل النار ، كما يقولون : لا تضر مع الايمان معصية ، ولا تنفع مع الكفر طاعة ، وللمرجئة فرق عديدة .

( أنظر : الشهرستاني : المصدر : ١٢٥/١ وما بعدها )

(٣) الجهمية : أصحاب جهنم بن صفوان ، ظهرت بدعته بترمنه

ينفون الصفات الأزلية لله سبحانه وتعالى ، ويشبثون له علوماً حادثية ، فيقولون : لا يجوز أن يعلم الشيء قبل خلقه لأنه لو علم ثم خلق ، أفهقى علمه على ما كان أم لم ييسق ، فان بقى فهو جهل ، فان العلم بأن سيوجد ، غير العلم بأن قد وجد ، وان لم ييسق فقد تنمير ، والتنمير مخلوق ليس بقديم وماعدا ذلك هفوات فلسفية .

( أنظر : الشهرستاني : المصدر السابق : ٧٩/١ - ٨١ )

ولقد نشأت هذه الفرق في الأمة الاسلامية ، في نتيجة الانحراف  
 عن عقيدة التوحيد ، حيث نشأت فرقة تغلوا في الحب والولاء بأهل  
 بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فصرفت نظرها عن كتاب الله وسنة رسوله  
 صلى الله عليه وسلم ، وانخرعت عقائد باطلة لاصلة لها بالمصدرين الأصليين  
 للدين الخيف ، فضلت وأضلت ٠٠٠٠ ونشأت الأخرى من أجل الغلو  
 والتشديد في الظنون والقياسات ، ونشأت الثالثة بسبب الايغال في  
 صحراء الفلسفة ، فتأولت تأويلات فاسدة في الكتاب والسنة ، وهكذا ٠٠  
 ثم لم تبق هذه الفرق بعد ما انحرفت عن العقيدة الاسلامية السليمة  
 على وجودها الأول ، بل تفرقت بصورة فرق عديدة في داخل فرقة واحدة ،  
 فكل من الشيعة والخوارج والمعتزلة وغيرها ، لها فرق عديدة تكفر كل  
 فرقة سواها .<sup>(١)</sup>

وهذا الاختلاف والانفراق أكبر دليل على أن الوحدة تضمنها عقيدة  
 التوحيد الخالص ، لا غير ، إذ أن العقيدة الاسلامية السليمة مكانتها دقيقة  
 جدا ، فلا مجال فيها للاجتهاد والقياس ، والتأويل والتحريف ، فهي  
 تؤخذ طبق ما جاء في كتاب الله تعالى وأحاديث رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم الصحيحة ، وتبقى في صورتها السليمة التي وصلت اليها عن  
 طريق سلفنا الصالح - وهم الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين

---

(١) راجع التفصيل في : الفرق بين الفرق : للاسفرائيني .

الملل والنحل : للشهرستاني .

رضى الله تعالى عنهم - بدون نقص وزيادة ، هذا هو الطريق السليم الذي  
 يضمن بقاء الوحدة العقديّة ، التي هي دعامة مهمّة - وربما لانحطى ،  
 لو قلنا : انها دعامة أساسية مركزية - من دعائم المجتمع الاساسى ، ولا  
 نجاة من النار الا لطلّ هذه العقيدة السليمة .<sup>(١)</sup>

ولقد أشير الى ذلك في قوله تعالى :

(( ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى  
 شىء ، وانما أمرهم الى الله ، ثم ينبئهم بما كانوا  
 يفعلون . من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء  
 بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون . قل انى  
 هدانى ربى الى صراط مستقيم ، دينا قيسا ملة ابراهيم  
 حنيفا وما كان من المشركين ، قل ان صلاتى ونسكى وبحاى  
 وماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا  
 أول المسلمين ))<sup>(٢)</sup>

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(( من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ))<sup>(٣)</sup>

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ... وان بنى اسرائيل تفرقت

على اثنتى عشرة وسبعين ملة ، وتفتقر أمتى على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم

فى النار الا ملة واحدة ، قال : من هى يا رسول الله ؟

قال : ما أنا عليه وأصحابى . ( رواه الترمذى : ٤٠٠٥٣٩٩/٧ )

(٢) سورة الأنعام : الآيات : ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ .

(٣) متفق عليه ، أنظر مسلم : الصحيح : ١٦ / ١٢ .

— وقال صلى الله عليه وسلم :

” وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده ان احصتكم به :  
 كتاب الله ، وانتم تسألون عنى ، فما أنتم قائلون — ؟  
 قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت .....  
 فقال باصبعه السبابة يرفعها الى السماء ويكفيها الى  
 الناس : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم  
 اشهد ، ثلاث مرات (١)“

هذا هو الجزء الأخير الذى اختتم به الرسول العظيم صلى الله عليه  
 وسلم خطبته يوم عرفة فى حجة الوداع ، وبذلك أشار صلى الله عليه  
 وسلم ، أنه ليس هناك مصدر للمقيدة الاسلامية والتشريع الاسلامى  
 الا كتاب الله تعالى ، وليس له شرح رسمى ومعترف به الا ما شرحه الرسول  
 العظيم صلى الله عليه وسلم بقوله وعمله ، طول مدة التنزيل — وهى ثلاثة  
 وعشرون عاما — فلن يقبل للكتاب شرح غير هذا الشرح الرسمى ، ولن  
 تضل الأمة ما دامت متمسكة بهما وراضة عليهما بالنواجذ ، وأشهد  
 على ذلك الرجل الأول من الأمة الاسلامية الذى كان صفوة الناس وأفضلهم  
 بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

اذن تأكد هذا المعنى بأن المقيدة الاسلامية السليمة هى التى  
 تثبت من الكتاب والسنة ، ولا مجال لأى فكر أو رأى آخر — مهما كان

---

(١) متفق عليه ، واللفظ لسلم : ٨ / ١٨٣ .

صوابا ورفيما وعظيما - أن يتدخل في العقيدة الاسلامية ، ولها أن  
 لاتزال باقية ثابتة كالجهال الراسيات على الأساسين العظيمين - الكتاب  
 والسنة - هذا هو النهج المستقيم الذي يوظف به على العقيدة  
 الاسلامية السليمة ، لاغير ...

ومن هنا تتبين لنا خبايرة مسؤولية الدولة الاسلامية في سبيل  
 الحفاظ على الدعامة المركزية من دعائم المجتمع الاسلامي ، ألا وهي  
 " الوحدة المقدية " ، فعلى الدولة الاسلامية أن تظل واعية متيقظة جدا  
 في هذا المجال ، ولا تسمح لأى مدرسة فكرية منحرفة عن العقيدة الاسلامية  
 السليمة أن تنشط في مجال المجتمع الاسلامي ، بل عليها أن تضع قوانينهم  
 التمييز لأصحاب المدرسة الفكرية الزائفة ، ولقد أشار الى ذلك الامام  
 الشافعي رحمه الله ، فقال :

" حكمت في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد  
 ويحملوا على الابل وطاف بهم في المشائر والقبائل  
 يقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ  
 في علم الكلام " (١)

---

(١) أنار : ابن عبد البر : الانتقاء في فضائل الثلاثة الائمة

وعليها أن تراقب مراقبة حازمة حذرة متصلبة بأن لا تبقى في المجتمع  
هائثة من البدع والخرافات ، تؤدي الأمة الى الانحراف في عقيدة  
التوحيد ، وشائثة من الوثنية من تقديس الضرائح والاستمداد من  
غير الله ، وما الى ذلك <sup>(١)</sup> . . . .

وما نعرف معرفة جيدة : أن عدو الانسان - الشيطان القوى -  
لا يزال يبذل قصارى جهده في أن يدخل الانحراف أولا وقبل كبل  
شيء في مجال العقيدة ، فاذا تسرب الانحراف في هذه الدعامة  
الأساسية - لا قدر الله - تضرمت الدعائم الأخرى للمجتمع تلقائيا ،  
فيبدأ ينحرف المجتمع - شيئا فشيئا - عن مسوره الحقيقي ، فيتسرب

---

(١) وما أنعم الله على هذه الأمة في أيامها العصية الراهنة ، إذ قام الامام  
الراحل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله ، وبنى ثانية  
مجد الدولة السعودية التي ورثت وظيفة الحفاظ على العقيدة الاسلامية  
من الامامون العظميين : الامام محمد بن سعود والامام محمد بن عبد الوهاب  
رحمهما الله ، فلا تزال تحافظ هذه المملكة الاسلامية الفريدة في عصرها  
على العقيدة الاسلامية بنهاية الحذر والتيقظ ، فهناك مراقبة شديدة في  
مجال الاعلام حيث لا يسمح دخول أي كتاب أو مجلة أو شريطة مصورة وغير  
مصورة ، تحمل ما يخالف التعاليم الاسلامية والعقيدة السليمة في المجتمع  
الاسلامي السعودي ، كما هناك مراقبة شديدة في الحرمين الشريفين وفي  
المشاهد التاريخية كيلا تتسرب البدع والخرافات وشائثة الوثنية في الأمة  
عن هذا الطريق ، وتصرف الدولة مبالغ ضخمة في مجال التوعية الاسلامية وبث  
روح العقيدة السليمة في الحجاج في الموسم ، وهذا ما عدا ما تصرفه الدولة  
من مبالغ هائلة في حقول الدعوة الاسلامية الأخرى ، فلتشكر الأمة هذه الدولة  
المزينة وتدع لها لتوفيقها ولدوام بقائها واستقامتها وتسديد خطاها ، والله  
ولسى التوفيق .

الانحراف في أوساط الحكم ، وذلك يكمل الشيطان شوطه في ادا .  
 مهمته الوحيدة ، ألا ، وهي : تضليل اولاد آدم وابعادهم عن  
 منصب الخلافة .....

ومما نرى في العالم الاسلامي في حاضرتنا من انحطاط  
 المسلمين وتفريق كلمتهم وذهاب ريحهم في معركة الحياة ، له  
 سبب واحد ضعفهم في عقيدة التوحيد وامتزاجها بالشوائب  
 ومما رأينا من تقدم أسلافنا وازدهارهم ، واتحاد كلمتهم ، وازدياد  
 قوتهم وشوكتهم في المهدين الامامين النبوي والراشدي - والمهوي  
 التي نحت منحاهما - له أيضا سبب واحد ، وهو تمسكهم بالتوحيد  
 وتصلبهم في هذه العقيدة ، ان أن التصلب في التوحيد يفتني الانسان  
 عن غير الله ، ويزيد اخلاصه لله سبحانه وتعالى ، وهذا الاخلاص  
 يقرب العبد من ربه ، فيوفقه الله تبارك وتعالى الفهم السليم  
 لكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فتزيد قوة عمله وحيويته  
 ونشاطه في العبادات والمعاملات ، كما يزكى الله سبحانه وتعالى  
 قلبه من الرذائل .



— الحسد والبغض ، والأناية وما الى ذلك — فتحدد بذلك كلمة المسلمين <sup>(١)</sup> ، وتحقق أحلام التضامن الاسلامى ، فيتبها السبب الظاهرى للقوة مع السبب الخفى لها وهو التقرب الى الله بالمعنى الصحيح فتحصل لهم الغلبة فى الكون . . . . . اذ أن الغلبة لحزب الله .

قال الله سبحانه وتعالى :

(( انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون )) <sup>(٢)</sup>

(١) ولا بد لذلك أن يكون عدد الموحدين المخلصين فى الأغلبية — ولو بالأغلبية المطلقة بزيادة عدد واحد ، اى واحد وخمسين فى المائة ٥١ % — اذ أن حاضرنا ليس ظلياً — ولم يكن ظلياً فى أى عصر من عصور الانحطاط — من الموحدين المخلصين لله ، ولكنهم أصبحوا أقلية ، ونريد أن نشرح بهذه المناسبة نقطة أخرى ، وهى : أن الاخلاص كما يجتمع فى التوحيد ، قد يجتمع مع المقائد المنحرفة ، فكم من انسان يخلص عمله ابتغاء لوجه الله ، ولكن انحرفه فى العقيدة — بسبب ما — لا يأتى بالنتيجة المطلوبة وهو من الخاسرين ، وكم من انسان يوحد الله فى ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، ولكن يبعده الحسد تارة عن الجادة وتارة الأناية وما الى ذلك ، فلا يأتى بالنتيجة المطلوبة ، اذ أن لابد من اللطم بين التوحيد الظاهر والاخلاص

الكامل وهذا عمل يحتاج الجد والاجتهاد المتواصلين . . . . .

(٢) سورة المائدة : الآيتين : ٥٥ — ٥٦ .

- وقال تعالى :

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۗ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۚ  
لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ  
مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ  
أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۗ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ  
الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحِهِ ۚ مِنْهُ ۚ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي  
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ  
وَرَضُوا عَنْهُ ۗ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۗ أَلَا هُوَ حِزْبُ  
اللَّهِ هُمُ الْفَالِحُونَ ۚ ۞ (١)﴾

- وقال تعالى :

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ (٢)﴾

وباليت المسلمين أدركوا هذه الحقيقة الأبدية .....

---

(١) سورة المجادلة : الآيتين : ٢١ - ٢٢ ۚ

(٢) سورة آل عمران : الآية : ١٣٩

## ٢ - الأخوة :

إذا قام المجتمع على أساس وحدة العقيدة ، فمن الطبيعي جدا أن تنبثق عنه الأخوة رابطة حقيقية تفضل كل رابطة سواه ، كرابطة الجنس ، واللون ، والنسب ، وقد جاء الإسلام بنسج فريد من الأخوة لم يمهده أي مجتمع انساني من قبل - غير مجتمع الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام - فأصبح بلال الحبشي أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمه الشقيق أبي لهب القرشي الهاشمي ، والذي سجل القرآن الكريم ثباته وهلاكه<sup>(١)</sup> ، ولم يجد أي حبش أوروبي أو فارسي حائلا يمنعه من الانتساب إلى هذا المجتمع الفاضل ، بل تصدر فيه ، ولقد أشار القرآن الكريم في آياته إلى هذه الأخوة الأصيلة ونذكر منها ما يلي :

- قال الله سبحانه وتعالى :

(( انصأ المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم )) الآية<sup>(٢)</sup>

(١) اقرأ سورة اللهب - ونود أن نشير - بهذه المناسبة - إلى نقطة هامة ، وهي : أن من سأل القرآن الكريم أنه لا يصرح باسم أحد من قاموا بالعداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وآذوه ، بل أشار - بصفة عامة - إلى أقوالهم وأعمالهم وصفاتهم ، إلا أنه صرح باسم أبي لهب وشره بالهلاك والنجاب ، وفيه إشارة - كما أفادنا العلماء - إلى أن الأنساب والأجناس لا قيمة لها عند الله سبحانه ، والذي يقدر عنده ، هو : الأعمال والنيات .

(٢) سورة الحجرات : الآية : ١٠

- وقال سبحانه وتعالى :

(( واذكروا ان كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم  
بنعمته اخوانا ))<sup>(١)</sup>

- وقال تعالى :

(( ولا يفتب بعضكم بعضا ، ايجب احدكم ان ياكل لحم  
اخيه ميتا فكرهتموه ))<sup>(٢)</sup>

وهناك احاديث كثيرة تقرر مبدأ الأخوة بين المسلمين ، نذكر

بعضها بعضها :

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" المسلم اخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان  
في حاجة اخيه ، كان الله في حاجته ، ومن فرج عن  
مسلم كربة ، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة  
ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة " .<sup>(٣)</sup>

- وقال صلى الله عليه وسلم :

" اياكم والظن ، فان الظن اكذب الحديث ، ولا تحسسوا  
ولا تجسسوا ، ولا تناقصوا ، ولا تطسدوا ، ولا تباغضوا ،  
ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا " .<sup>(٤)</sup>

---

(١) سورة آل عمران : الآية : ١٠٣

(٢) سورة الحجرات : الآية : ١٢

(٣) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٦ / ١٣٥

(٤) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٦ / ١١٨ - ١١٩

— وقال عليه الصلاة والسلام :

" لا تطسدا ، ولا تتاجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدبروا ،  
ولا يبيح بمضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله اخوانا ،  
المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . . . التقوى  
ههنا — ويشير الى صدره ثلاث مرات — بحسب امرئ  
من الشر أن يحقر أخاه ، كل المسلم حرام دمه وماله  
وعرضه <sup>(١)</sup> ."

— وقال عليه الصلاة والسلام :

" لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان  
فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام <sup>(٢)</sup> ."

— وقال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع :

" أيها الناس ! اسمعوا قولي واعتقلوه ، تعلمن أن كل  
مسلم أخ للمسلم ، وأن للمسلمين أخوة ، فلا يحل لامرئ  
من أخيه إلا ما أعطاه من طيب نفسه ، فلا تظلمسن  
أنفسكم ، ألا هل بلغت — ؟ <sup>(٣)</sup> "

---

(١) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٦ / ١٢٠ - ١٢١

(٢) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٦ / ١١٧

(٣) أنظر : ابن هشام : سيرة النبي : ٤ / ٣٥٦

إذا كانت هذه الأحاديث الشريفة وآيات القرآن البهينات تشير الى  
 ميزة الأخوة الاسلامية المتعاضدة ، فهي تشرح في نفس الوقت معاني تلك  
 الأخوة السامية ، بأنه لن تتحقق الأخوة المطلوبة طالما لا يمارس المسلمون  
 ارساخ تلك المعاني الطيبة - المشار اليها - في صميم أفئدتهم ، بحيث  
 تفوح من أعضائهم وجوارحهم مميزة الأخوة المطهرة ، وتنتشر نفطتها  
 الى ما يجاورهم من المجتمعات الانسانية الأخرى ، ولقد حدث هذا فعلا ،  
 إذ أن المجتمع الاسلامي المثالي الذي أوجده الرسول الكريم صلى الله عليه  
 وسلم على وجه الأرض ، لم تكن فيه هذه الأخوة نظرية تدرس في المدارس  
 وتلقى فيها المحاضرات ، بل شاهدت السماوات على وجه الأرض نماذج  
 رائعة وبدهشة لهذه الرابطة القوية الفريدة ، التي جاء بها الاسلام  
 هدية للنوع البشري .....

اقرأ ماجرى بين عبد الرحمن بن عوف المهاجر وبين أخيه  
 الأنصاري سعد بن الربيع - رضي الله تعالى عنهما - اثر ما قامت  
 المواخاة بينهما ، إذ عرض سعد على عبد الرحمن أن يقاسمه ماله  
 وعقاره ، ويتنازل عن إحدى زوجاته ، فيطلقها - كما يتزوجها  
 عبد الرحمن ، فأبى وشكره وقال : دلني على السوق .<sup>(١)</sup>

(١) هو سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير الأنصاري الخزرجي ، كان كاتباً  
 في الجاهلية ، شهد العقبة الأولى والثانية ، كان أحد نقباء الأنصار  
 قتل يوم أحد شهيداً .

( أنظر : ابن سعد : الطبقات : ٣ / ٥٢٢ - ٥٢٤ )

(٢) أنظر : ابن سعد : المصدر نفسه : ٣ / ١٢٥

أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ٣ / ٢٢٨ .

وهناك مصعب بن عمير - رضی اللہ تعالیٰ عنہ - يوم بدر ، يقول  
 لأخيه الأنصاري الذي أمسك شقيقه أبا عزيز بن عمير : " شديديك بسه ،  
 فان أمه ذات مشاع " فيقول أبو عزيز : " يا أخى ، هذه وصاتك بي ٠٠ ؟  
 ويجيبه مصعب بن عمير : " انه أخى ٠٠٠٠٠٠ دونك <sup>(١)</sup> "

ولم تنته هذه الملاقة الأخوية الى حد محدود ، بل استمرت  
 طول الحياة ، ٠٠٠ كان بلال رضی اللہ عنہ قد خرج الى الشام مجاهدا  
 فى سبيل اللہ ، بعد وفاة رسول اللہ صلى اللہ عليه وسلم ، فلما دون أمير  
 المؤمنين عمر بن الخطاب الدواوين بالشام قال لبلال : " الى من تجعل  
 ديوانك يا بلال - ؟ ٠٠٠ قال بلال : " مع رويحة ، لأفارقة أبدا " وذلك  
 من أجل المواخاة التى شدها رسول اللہ صلى اللہ عليه وسلم بينهما أشر  
 مجيئه المدينة <sup>(٢)</sup> .

وقد بلغت هذه الأخوة من القوة مهلغا عظيما ، بحيث كان المتأخون  
 يتوارثون بها دون النسب ، وفقى هذا الحكم معمولا به الى أن أدى مهمته  
 فى صياغة المجتمع الدعوى وتقويته ، وخذها نزل قول اللہ تعالى : (( وأولوا  
 الأرحام بعضهم أولى ببعض )) <sup>(٣)</sup> الآية أما الأخوة فيما عدا هذا الحكم  
 فهى مستمرة أبدا ٠٠٠٠

(١) أنظر : ابن هشام : سيرة النبي : ٣٣٦ / ٢ - ٣٣٧

(٢) هو أبو رويحة عبد اللہ بن عبد الرحمن الخثمي

( أنظر ترجمته فى اسد الغابة : ١١٤ / ٦ )

(٣) أنظر : ابن سعد : الطبقات : ٢٣٤ / ٣

(٤) أنظر : الشوكاني : فتح القدير : ٣٢٩ / ٢ - ٣٣٠ .

وعلى الدولة الاسلامية الحفاظ على هذه الدائمة المهمة من دعائم  
المجتمع الاسلامى ، محافظة تامة خذرة ، اذ ان العدو - الشيطان - بالمرصاد  
لا يدخر جهده فى ان يحول دون استمرار هذه الميزة اللطيفة المطرة  
فى المجتمع الاسلامى ، حتى انه اجتراً على ان يضرب عليها ضريبة  
تاسية ، ويذربنذر المصيبة ، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم  
موجود فيما بين المسلمين<sup>(١)</sup> . . . . . يروى جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه :  
" كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى غزاة ، فكسح رجل<sup>(٢)</sup>  
من المهاجرين رجلاً من الأنصار<sup>(٣)</sup> ، فقال الأنصارى :  
" يا للأنصار " ، وقال المهاجرى : " يا للمهاجرين " ،

(١) يجب ان يلاحظ ، ان الذى يجترى على تضليل المسلمين امام رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ، ووجوده صلى الله عليه وسلم قوة مانعة شديدة  
فى طريق كل انحراف ، فهل من المقول ان يظل صامتا فى غيابسه  
صلى الله عليه وسلم ، أفلا ينتهز الفرصة . . . ؟ أفلا يبذل جهوده أضافاً  
مضاعفة . . . ؟ ومحتاج من القوة الروحية لمعالجة هذا  
المرض الخطير ، ولمقاومة هجمة العدو الخطيرة . . . ؟

(٢) الكسح : أن تضرب بيدك أو برجلك بصدرك قدوسك على دبر انسان أو شئ

( أنظر : ابن منظور : لسان العرب : ٣٠٩ / ٨ )

(٣) هو جهجاه بن مسعود : أجير عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، من بنى

غفار . ( أنظر : ابن هشام : سيرة النبي : ٣٧٠ / ٣ )

(٤) هوسنان بن وسر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج

( أنظر : ابن هشام : م - ن )



فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بال دعوى الجاهلية؟  
قالوا : يا رسول الله ، كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار  
فقال : دعوها ، فأنها منتنة • فسمعها عبد الله بن أبي ،  
فقال : قد فملوها ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن  
الأعز منها الأدل ، قال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق  
فقال : دعه ، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه <sup>(١)</sup>  
وهكذا علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه - وبواسطتهم الأمة  
الاسلامية - بأن هذه العصبية لن يرضى بها الله ورسوله في أى حال  
من الأحوال ، فهي من بقايا الجاهلية ، وهي قبيحة منتنة في مقابل " الأخوة "  
التي مميزة المجتمع الاسلامى العطرة ، ومن أراد أن يفض عينيه عما يرضى  
به الله ورسوله ، ويميل إلى العصبية المنتنة ، فليفعل ما شاء ، ولكنه  
في نهاية المطاف لا يستفيد بذلك من شيء غير الاختلاف والافتراق ، والفوضى  
والحروب الأهلية ، وما إلى ذلك <sup>(٢)</sup> ، ومن أجل ذلك أنذر الرسول الكريم صلى  
الله عليه وسلم من مال من المسلمين إلى هذه العصبية المنتنة انذار  
شديدا فقال :

(( من قتل تحت راية عمية <sup>(٣)</sup> يدعو عصبية أو ينصر عصبية

فقتله جاهلية )) <sup>(٤)</sup>

(١) أنظر : مسلم : الصحيح : ١٦ / ١٣٨

(٢) ولقد تذوق المسلمون مرارة هذه العصبية المنتنة في ماضيهم وحاضرهم فليعتبروا •

(٣) عمية : بكسر الميم المهملة وتشديد الميم والياء ) على وزن فميلة •

من العماء ، الضلالة ، كالقتال في العصبية والأهواء •

( أنظر : ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر : ٣٠٤ / ٣ )

(٤) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٢ / ٢٣٩ •

- وقال صلى الله عليه وسلم :

(( من خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة ، ثم مات ، مات ميتة جاهلية ، ومن قتل تحت راية عمية يغضب للعصبية ويقاتل للعصبية فليس من أمتي ، ومن خرج من أمتي علسي أمتي ، يضرب بسرها وفاجرها ولا يتحاشى<sup>(١)</sup> من مؤمنها ، ولا يفى بسدى عهدها فليس مني<sup>(٢)</sup> ))

فمن واجب الدولة الاسلامية أن تحافظ على بقاء مميزة الأخوة الاسلامية راسخة وقوية وسائدة على المجتمع الاسلامي ، وذلك يستطيع هذا المجتمع أن يرفع رأسه أمام المجتمعات الجاهلية ، التي تسيطر على بعضها القومية القدرة ، وعلى بعضها العنصرية العنفة ، وما الى ذلك ، كما يستطيع أن يبرز أمثلها فضائل الأخوة الفريدة التي تتمتع بها الأمة الاسلامية ويحرض أفراد تلك المجتمعات الفاشلة على أن يتمتعوا بهذه النعمة الكبيرة بعد أن يدخلوا في السلم كافة .

---

(١) لا يتحاشى : معناه : لا يكثر بما يفعله فيها ولا يخاف وباله وعقوبته .

( أنثر : النووي : شرح مسلم : ٢٣٩ / ١٢ - ٢٤٠ )

(٢) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ٢٣٩ / ١٢ .

## ٣ - الحرية :

.....

ليس المراد بالحرية في الاسلام : الحرية المطلقة ، التي لا مجال فيها للقيم الانسانية والاخلاقية ، ولا لأوامر الله ونواهيه ، ولا للحقوق الواجبات المحددة . . . . . اذ أنها ليست حرية ، انما هي الفوضى التي تهز المجتمع البشرى هزاً عنيفاً ، والطبيعة بنفسها تنكرها انكاراً شديداً . . . . . فماء النهر مسادام يجرى مقيدا بين ضفتيه فهو حر تماما ، يجري كيف يشاء ، ويستفيد منه الخلق في طجاتهم المتنوعة ، واذ اراد هذا الماء أن يتحرر من قيد الضفتين اللتين تضبطان مسيرته ، وتعدانه للخير ومنافع الناس ، فاذا اراد التحرر من هذا القيد وأراد أن يجري كيف يشاء ، وأين يشاء . . . . . سى - عندئذ - فيضاناً ، أو سيلا جارفاً ، يكسح العمران ، ويبيد الانسان ، ويهدم البنيان ، ويحدث الخراب والدمار ، ويتموز منه خلق الله ، فلا مساغ في الاسلام - الذى هو دين فطرى - لمثل هذه الحرية المتمردة .

انما المراد بالحرية التي هي دعامه مهمه من دعائم المجتمع الاسلامى

( الدعوى ) : اخراج عباد الله من جميع أنواع الرق والعبودية لغير الله

وتسليمهم الى عبادة الله وحده لا شريك له ، فلا يعبدون الا الله ، ولا

يطيعون أحدا الا اياه ، ولا يوالون غيره ، ولا يخافون أحدا الا الله ،

ولهم توفير الأمن والاستقرار فى الأرض .

فالانسان حر تماما فى المجتمع الاسلامى ، لا يحد من حريته شىء

الته سوى حق الاسلام ، الذى تتمثل فيه مصلحته الحقيقية فى العاجلة والآجلة .

ولقد أشار القرآن الكريم الى هذه الحرية المنظمة الهادفة ففى آيات منها ما يلى :

- قال الله تبارك وتعالى :

(( الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون ))<sup>(١)</sup>

من أجل تحقيق هذا الامن والاستقرار ، أذن الله للمؤمنين أن يهاجروا فى سبيل الله ، كما أذن لهم أن يقاتلوا فى سبيل الله ، الذين يريدون أن يحولوا دون تحقيق هذه الحرية .....

- قال الله سبحانه وتعالى :

(( والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا ، لنبوئتهم فى الدنيا حسنة ، ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعملون ))<sup>(٢)</sup>

- قال تعالى :

(( أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير ))<sup>(٣)</sup>

وكم من أحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تشير الى أن المجتمع الاسلامى يضمن الامن والاستقرار لأفراده ضمانا كاملا ..... منها :

---

(١) سورة الانعام : الآية : ٨٢

(٢) سورة النحل : الآية : ٤١

(٣) سورة الحج : الآية : ٣٩

- قوله صلى الله عليه وسلم :
- " ان القوم اذا أسلموا ، أحرزوا دماءهم وأموالهم <sup>(١)</sup>"
- وقوله عليه الصلاة والسلام :
- " كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه <sup>(٢)</sup>"
- وقوله صلى الله عليه وسلم :
- " من حمل علينا السلاح ، فليس منا <sup>(٣)</sup>"
- وقوله صلى الله عليه وسلم :
- " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده <sup>(٤)</sup>"
- وقوله عليه الصلاة والسلام :
- " سباب المسلم فسق وقتاله كفر <sup>(٥)</sup>"
- وقوله صلى الله عليه وسلم :
- " من اقتطع حق أمري ، مسلم يومئذ أوجب الله له النار ، وحرم عليه الجنة ، فقال له رجل : وان كان شيئا يسيرا يا رسول الله - ؟ قال : وان كان قضيا من أراك <sup>(٦)</sup>"

(١) رواه أبو داود في السنن : ٣ / ٤٤٩

(٢) متفق عليه ، انظر مسلم : ١٦ / ١٢١

(٣) متفق عليه ، انظر مسلم : ٢ / ١٠٢

(٤) متفق عليه ، انظر مسلم : ٢ / ١٢

(٥) متفق عليه ، انظر مسلم : ٢ / ٥٤

(٦) متفق عليه ، انظر مسلم : ٢ / ١٥٧

ان هذه الأحاديث الشريفة تمهين معنى الحرية في المجتمع الاسلامي ،  
 بأن كل فرد من أفراد حرة في تصرفاته التي لا تعارض التعاليم الاسلامية  
 المنهورة فهو حر في ماله ، يصرفه كيف يشاء ، من غير سرف وتبذير ، لا يمسك  
 يده أحد ، لا من العامة ولا من أصحاب السلطة ، ومن ناحية أخرى ضمانا  
 لماله من أي عدوان واعتداء ، فالسلم لا يمد يده الى مال أخيه بنية  
 سوء التصرف ، وكل يد تمتد الى مال مصون بنية السرقة أو النهب  
 تقطع . . . . . قال الله تعالى :

(( السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا

نكالا من الله والله عزيز حكيم . ))<sup>(١)</sup>

وكذلك دم المسلم مصون ، لا يهرق الا بحق الاسلام . . . . . قال

الله تعالى :

(( ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم ظل لها فيها

وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما . ))<sup>(٢)</sup>

في الآية وعيد شديد لمن قتل مؤمنا متعمدا ، فلا يجوز لسلم

عاديا كان أو صاحب سلطة — أن يقتل مسلما لم يرتكب أي جريمة تبرر

قتله في حق الاسلام ، فهل هناك أي حرية أسس وأرفع من هذه . . . . . ؟

وكذلك عرض المسلم محفوظ من أي عدوان في المجتمع الاسلامي ، وعندما

يحافظ الدين الحنيف على عرض عهد مملوك ، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم :

(١) سورة المائدة : الآية : ٣٨

(٢) سورة النساء : الآية : ٩٣

” من قذف مملوكه بالزنا : يظام عليه الحد يوم

القيامة ، الا ان يكون كما قال <sup>(١)</sup> .”

فكيف بأعراض الأحرار ٠٠٠ ومن أجل ذلك أعد الاسلام قذف المحصنات

من الكبائر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

” اجتنبوا السبع المهيقات ، قيل : يا رسول الله وما هن -؟

قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله

الا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم

الزحف ، وقذف المحصنات الفافلات المؤمنات <sup>(٢)</sup> .”

وأنزل الله سبحانه وتعالى عقوبة شديدة لمن تعدى على عرض مسلم

أو مسلمة ٠٠٠٠٠٠ قال تعالى :

(( والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء

فاجلسدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا

أولئك هم الفاسقون )) <sup>(٣)</sup>

وهناك مثال حى ورائع للحرية التي هى من أسس شعارات المجتمع

الاسلامى الدعوى هذا سواد بن غزوة الأنصارى - رضى الله تعالى عنه - <sup>(٤)</sup>

---

(١) رواه مسلم : ١١ / ١٣١

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم : ٢ / ٨٣

(٣) سورة النور : الآية : ٤

(٤) هو سواد بن غزوة بن وهب بن بلى بن عمرو بن الحظاف بن قضاة ، من البدريين

وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان عامل رسول الله

صلى الله عليه وسلم على خير ، لم أعر على سنة وفاته .

( أنظر ترجمته فى ابن سمد : الطبقات : ٣ / ٥١٦ )

ابن الأثير : اسد الغابة : ٢ / ٤٨٤ )

قد برز من الصف يوم بدر والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يعدل صفوف  
أصحابه ، ويديه سهم ، فطمع به في بطن سواد ، وقال : " استويا سواد "  
قال سواد : أوجمتني يا رسول الله ، وقد بعثك الله بالحق والمعدل  
فأقدني ، ويكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ، ويقول له :  
استقد ، فاعتنقه وقبله ، فقال : ما حملك على هذا يا سواد - ؟  
قال : حضرماترى يا رسول الله ، فأحييت أن يكون آخر عهدى بك  
أن يمسن جلدى جلدك (١) . . . . .

ان هذا المشهد الرائع أعطانا مستوى رفيعا للحرية التي تموزها  
الانسانية وتحتاج اليها ، ولقد درسنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمله  
هذا أن السلطة في الدولة الاسلامية ليست لتدعيم الشخصيات ، بل هي  
أمانة الهية يجب أن يستخدمها أصحابها لتنفيذ أوامر الله وتطبيق  
أحكامه فحسب ، وإذا كان المسلم يورثا من الجرائم التي تبررت تنفيذ  
الحدود والتميز عليه ، فلا يخاف في الكون غير الله ، وله حرية تامة  
في المجتمع ، هذه هي الحرية الكاملة التي يضمنها الاسلام لأفراد المجتمع  
الاسلامي ، وعلى الدولة الاسلامية أن تحافظ عليها محافظة دقيقة . . . . .  
واستفاد المسلمون من هذه الحرية في العهدين الا ما بين النهوى والراشدى  
والمهود التي نحت منطهما . . . . .

---

(١) أنظر : ابن هشام : سيرة النبي : ٣١٠ / ٢ - ٣١١ .



٤ - العدالة والمساواة :

العدالة والمساواة ، متداخلتان احدهما في الأخرى من حيث المعنى ،  
ومن أجل ذلك أوردناهما تحت عنوان واحد ، فالعدل من أهم مزايا المجتمع  
الاسلامي الدعوى ، ان لا يتصور هذا المجتمع الا والعدل يظلل جميع  
مجالاته . . .

قال الله سبحانه وتعالى :

(( واذا حكتم بين الناس أن تحكوا بالعدل ، ان  
الله نعمت يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا ))<sup>(١)</sup>

- وقال تعالى :

(( وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا تكلف نفسا  
الا وسعها واذا قلتم فا عدلوا ولو كان ذا قربى ، ويعهد  
الله أوفوا ، ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون ))<sup>(٢)</sup>

- وقال جل شأنه :

(( ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ،  
وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم  
تذكرون . ))<sup>(٣)</sup>

---

(١) سورة النساء : الآية : ٥٨

(٢) سورة الأنعام : الآية : ١٥٢

(٣) سورة النحل : الآية : ٩٠

— وقال جلست قدرته :

(( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجر منكم شأن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، ان الله خير بما تعملون ))<sup>(١)</sup>

— وقل جل شأنه :

(( فلذلك فادع واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا واليه المصير ))<sup>(٢)</sup>

فالمجتمع الاساسى يتمسك بالعدل وينفى الظلم بناء على عقائده السليمة فالسلم الذى يعتقد اعتقادا جازما بأن الله تعالى واحد ، وهو أحكم الحاكمين ، وبأنه سوف يقف أمام ربه يوم القيامة ليحاسبه حسابا دقيقا ، لا يعول الى الظلم ولا ينحرف عن جادة العدل .

وكل ما جاء من معانى العدل ، والمنع عن الظلم ، فى الآيات القرآنية وأحد عشر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحمل فى ثناياه الاشارة الى هذه الحقيقة الناصمة .....

---

(١) سورة المائدة : الآية : ٨

(٢) سورة الشورى : الآية : ١٥

- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
- " ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا ."<sup>(١)</sup>
- وقال عليه الصلاة والسلام :
- " ان من أحب الناس الى ، وأقربهم مني مجلسا يوم القيامة : امام عادل ، وان أبغض الناس الى يوم القيامة ، وأشدهم عذابا امام جائر ."<sup>(٢)</sup>
- وقال صلى الله عليه وسلم :
- " من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء ، فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وان لم يكن حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ."<sup>(٣)</sup>

---

(١) رواه مسلم : ١٢ / ٢١١

(٢) أبو يوسف : كتاب الخراج : ٩

(٣) رواه البخاري : ٥ / ١٠١

— وقال صلى الله عليه وسلم :

" أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من  
لا درهم له ولا متاع . فقال : ان المفلس من أمتي : من  
يأتي بصلاة وصيام وزكاة<sup>(١)</sup> ، ويأتي : قد شتم هذا  
وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب  
هذا ، فيمطى هذا من حسناته ،

وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل أن يقضى  
ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار<sup>(٢)</sup> "

— وقال عليه الصلاة والسلام :

" اتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينهما وبين  
الله حجاب<sup>(٣)</sup> "

فهذه نغمة من آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، تدل على أن المجتمع الاسلامي الدعوى يقوم على أساس العدل ،  
والانصاف فيما بين أفراد ، بصفة خاصة ، ومع غيرهم حتى أعدائهم بصفة عامة .

(١) ان من شروط قبول الأعمال الصالحة عند الله تعالى : سلامة المقيدة

من شوائب الشرك ، اذ ان الشرك تحبط الأعمال ، ويبدو من سياق  
الحديث : أن ذلك " المفلس " يكون من المستقيمين في المقيدة ،  
وصاحب أعمال مقبولة ، ولكنه لم يبال بحقوق العباد ، فصادف الحرمان . .

(٢) رواه مسلم : ١٦ / ١٣٥ - ١٣٦

(٣) رواه الترمذى : ٦ / ١٥٥

وأما المساواة : فمعناها : أن يوتى كل ما يستحقه على قدر عمله  
أو بلاءه في سبيل الله ، دونما نظر إلى عرقه أو لونه ، أو ضعفه  
أو قوته ..... ورحم الله أبا بكر رضى الله تعالى عنه ، إذ عبر عن  
هذا المعنى أدق تعبير وأصدق تفسير ، إذ قال في خطبته بمسند أن يبيع  
للخلافة :

° والضعيف فيكم أقوى عندي ، حتى أرجع عليه حقه  
ان شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق  
منه أن شاء الله<sup>(١)</sup>

ومما يزيد في قيمة هذه الخطبة ويرفعها إلى مستوى ليس فوقه  
الأكلام الله تعالى ، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم : أن قائلها قد  
طبقها تطبيقا حقيقيا دقيقا في دولته ، وقدم - هو ، وزملائه  
الراشدون - أمام العالم الانساني مثالا رائعا للمساواة الحقيقية  
التي صرح بها القرآن الكريم في قوله تعالى :

(( يا أيها الناس اننا خلقناكم من ذكورا ونساء وجعلناكم  
شموسا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم  
ان الله عليم خبير<sup>(٢)</sup> .

وشرح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم معنى هذه الآية الكريمة في  
خطبته في وسط أيام التشريق بمنى في حجة الوداع فقال :

---

(١) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ٦ / ٣٠١  
(٢) سورة الحجرات : الآية : ١٣ .

” يا أيها الناس : ألا ، ان ريكم واحد ، وان أباكم واحد  
ألا ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، ولا  
لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر ، الا بالتقوى  
أهلنت ؟ قالوا : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
قال : ليبلغ الشاهد الفئاب<sup>(١)</sup>

ولنشق الآن بعض نماذج عملية رائعة لهذه العدالة والمساواة

مقتبسة من السيرة النبوية الكريمة :

” روى الامام مسلم - رحمه الله - بسنده عن أم المؤمنين

عائشة رضی اللہ تعالیٰ عنہا :

” ان قریشا أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد

النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح ، فقالوا :

من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم - ؟ فقالوا :

ومن يجترى عليه الا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى

الله عليه وسلم . فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

فكلمه فيها أسامة بن زيد ، فتلون وجه رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، فقال : أتشفع في حد من حدود الله ؟

فقال له أسامة : أستغفر لي يا رسول الله ! فلما كان

المشي ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخطب

---

(١) رواه أحمد : المسند : ٤١١ / ٥

فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : " أما بعد ،  
فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم  
الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه  
الحد ، وأنى والذي نفس بيده ، لو أن فاطمة بنت  
محمد سرقت لقطعت يدها ، ثم أمر بتلك المرأة  
التي سرقت فقطعت يدها .<sup>(١)</sup>"

- زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت عمته زينب بنت جحش  
القرشية من زيد بن حارثة الذي قضى أياما من حياته في مكة  
عبدا ، واشتراه حكيم بن حزام من سوق عكاظ بأربعمائة درهم<sup>(٢)</sup> .  
بغض النظر عما حدث فيما بعد من الفراق بينهما ،

- إذ كان سبب ذلك عدم التجانس والاتحاد في الأفكار  
والآراء - كان هذا الزواج - في حد ذاته - مثالا رائعا للمساواة  
التي هي من أهم سمات المجتمع الاسلامي ( الدعوى )

- وتابع رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبه الجليل أبو حذيفة  
رضي الله تعالى عنه ، في تدعيم هذه الدعامات المهمة للمجتمع الاسلامي  
كان من أشرف قریش ٠٠٠٠٠ وكان أبوه عتبة بن ربيعة سيد قومه ،  
فزوج أبو حذيفة ابنة أخيه : فاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة

---

(١) أنظر : الصحيح : ١١ / ١٨٧

(٢) أنظر : ابن سعد : الطبقات : ٣ / ٤٠

أنظر : ابن هشام : سيرة النبي : ١ / ٢٥٢

مولاه سالما ٠٠٠٠ وسالم هذا ، كان - بعد أن هاجر إلى المدينة -  
يوم المسلمين في الصلاة ، وفيهم عشرين الخطاب ، وأبو عبيدة بن  
الجراح ، لأن سالما كان أقرأهم قرآنا <sup>(١)</sup> .

- خرج المسلمون إلى بدر ، يريدون غير قرهش ، ولم يكن  
معهم الاسهمون بميوا وفرسان ، فجعل كل ثلاثة منهم يتناوبون  
الركوب على بعير واحد ، واحد بعد واحد ، وكان أبو لهابة وعلى  
- رضى الله عنهما - زميلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير  
واحد . فقالا له : نحن نمشى عنك يا رسول الله ! فقال : ما أنتما  
بأقوى منى ٠٠٠ ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما . فركبوا البعير  
متناوبين <sup>(٢)</sup> ، وهكذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أروع مثال  
للساواة بين الأحرار والأحرار .

- المهاجرون والأنصار ، بينون مسجد رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ، بالمدينة ، ولم يتخلف عنهم الرسول الكريم ، حتى  
قال قائل منهم :

لئن قعدنا وانتهى يعمل . . . لذاك منا العمل الضلل  
النبى الجليل - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه - رضوان الله  
عليهم أجمعين - بناؤن ، بينون بيتنا لله ، ونشيدون : ٠٠٠٠٠٠٠ :

(١) أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ٣ / ١٧٤ .

أنظر : ابن سعد : الطبقات : ٣ / ٨٦ - ٨٧ .

(٢) أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ٣ / ٢٦٠ - ٢٦١ .



لاعيش الا عيش الآخرة •• اللهم ارحم الأتصار والمهاجرة  
والرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - يعمل معهم ويردد  
معهم هذه الكلمات<sup>(١)</sup>.....  
يا حذا هذا المنظر البهيج •••• وبالروعة حسن هذا المشهد  
وهل شاهد العالم أجمل من هذا المنظر للمساواة ••••• ؟  
فالمساواة دعامه مهمه من دعائم المجتمع الاسلامى الدعوى  
كما لانستطيع أن نتصور كمال العدالة بدون المساواة ، فعلى الدولة  
الاسلامية أن تحافظ على صورة هذه الدعامه وحقيقتها مافظه  
تامة حذرة متيقظة •

---

(١) أنظر : ابن هشام : سيرة النبى : ٣ / ١٢٣ •

٥ - التكافل :

ان من أهم سمات المجتمع الاسلامى الدعوى : ظهور معنى التكافل والتضامن فيما بين المسلمين بأجل صورته وأشكاله ، بحيث ألقى الدين الخفيف مسئولية بعض منهم على كواهل بعض فى شؤون دنياهم وآخرتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" ألا ، كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير الذى على الناس ، راع ، وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بهيمتها بعلمها وولده ، وهى مسئولة عنهم ، والعبد راع على ماله سيده ، وهو مسئول عنه ..... ألا ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .<sup>(١)</sup>

- وقال عليه الصلاة والسلام :

" ان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وشبهك أصابعه<sup>(٢)</sup> .

ان هذا التشبيه الرائع البليغ يصور لنا بشكل محسوس مؤثر العلاقة التى يجب أن تكون بين المسلم وأخيه ، انها علاقة تكاتف وتضامن

---

(١) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ٣ / ١٢٣

(٢) متفق عليه ، واللفظ للبخارى : ١ / ٥٦٥

تأمين ، فكما أن أى حجر فى البناء لا يستقل وحده فى اتمام البناء ،  
 إنما يتم البناء بتكاتف وتضامن حجارته جميعا ، وكذلك المجتمع الاسلامى  
 لا تقوم له قائمة الا بتكاتف أعضائه جميعا . . . . . وأن أى حجر من  
 أحجار البناء الشامخ ليصبح حجرا عاديا يلقى على الأرض ، حين يفصل  
 عن الحجارة الأخرى ، وهكذا . . . . . فإن أى مسلم — مهما كان شأنه —  
 يهون ويضعف ، اذا هو اعزل مجتمعه ، وتحلل من واجباته نحو ،  
 وسلك سلوكا فرديا ، متجاهلا واجبات الجماعة عليه . . . . . فحياة  
 الجماعة اذن هى : ثمرة تكاتف أعضائها — الى حد بعيد —  
 وتعاونهم وتكاتفهم .

والتكافل الاجتماعى الذى نور الاسلام سبيله ، له نواح عدة فهناك تكافل  
 معيشى واقتصادى وتكافل سياسى ، وتكافل أدبى ، وتكافل علمى ، وما الى  
 ذلك . . . . . فهذه النواحى كلها ، اما ما دية أو معنوية ، فينقسم التكافل  
 اذن الى القسمين :

— التكافل المادى

— التكافل المعنوى

ولعله أشير الى هذين القسمين من التكافل فى قول الرسول الكريم  
 صلى الله عليه وسلم ، فى خطبته الأولى<sup>(١)</sup> ، التى ألقاها اثر مجيئه المدينة المنورة ،

(١) انظر : ابن هشام : سيرة النبى : ٢ / ١٢٨ .

" اتقوا النار ، ولو بشق تمرة ، فان لم تجدوا فبكلمة طيبة"<sup>(١)</sup>

والجانب المادى من التكافل يشمل الانفاق فى سبيل الله بصورة  
زكوات ، وصدقات ، وصورة التعاون فيما بين المسلمين من حاجاتهم  
المادية المختلفة ، حقوقهم ، مثل حقوق الأقرباء ، والأصدقاء  
والجيران ، وغيرهم ، فان المجتمع الاسلامى  
نشأ فى هذا العالم المادى ، ولا بد له من حاجات مادية يحتاج الى  
تسديدها . . . . . وقد أشار القرآن الكريم الى هذا الجانب المادى  
من التكافل فى آياته العديدة ، نذكر منها ما يلى :

— قال الله تبارك وتعالى :

" وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات

والأرض ، أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء

والكائمين الفهظ والمعين عن الناس ، والله يحب المحسنين"<sup>(٢)</sup>

— وقال تعالى :

(( والذين فى أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم ))<sup>(٣)</sup>

— وقال سبحانه وتعالى :

(( فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك

خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون ))<sup>(٤)</sup>

---

(١) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ٧ / ١٠٢

(٢) سورة آل عمران : الآيتين : ١٣٣ — ١٣٤

(٣) سورة الممارج : الآيتين : ٢٤ — ٢٥

(٤) سورة البوروم : الآية : ٣٨

- وقال تعالى :

" واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا  
وهذا القريبى واليتامى والمساكين ، والجارذى القريبى  
والجارالجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت  
أيمانكم ، ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا . (١)

وهناك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة تحل فى  
ثناياها المعانى السامية للتكافل الاجتماعى بمعناه الواسع ، وتشمل  
سائر نواحي المادية والمعنوية من شعورالحب والعطف والخزان ،  
والتواحم والتناهر ، والتساند والتعاون فى جميع مجالات حياة  
المسلمين . . . . . فنذكر منها ما يلى :

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " (٢-٣)

(١) سورة النساء : الآية : ٣٦ .

(٢) متفق عليه ، واللفظ للبخارى : ٥٧ / ١ .

(٣) لو شرح هذا الحديث الشريف الجامع بما يحمل فى ثناياه من المعانى السامية  
الدقيقة ، لجاءت رسالة ضخمة ، ونود أن نشير ههنا الى روح الحديث  
بالايجاز : لاشك أن الانسان يحب نفسه فطريا وأكثر بالنسبة الى غيره  
من الناس ، فجعل الاسلام نفسه ميزانا لعمله ، وقال له : اجعل نفسك  
ميزانا فيما بينك وبين أخيك المسلم فى المجتمع الاسلامى ، فأحب له ما  
تحبه لها واكره له ما تكرهه لها . . . . . فلا تظلمه ، لأنك لاتحب أن  
تظلم ، ولا تفضحه ، لأنك لاتحب فضيحة نفسك ، وأرف حقه ، لأنك تحب  
استيفاء حقوقك ، وأحب له مستوى العيش الذى تحبه لنفسك ، وكما  
تجتهد للحصول على ذلك المستوى ، اجتهد لأخيك ، أو تعاون معه فى  
جهده ، لذلك خير التعاون . . . . . وهلمجرا . . . . . وهذا كله فى المعروف ، أما  
المنكر ، فلا يحبه ربك لنفسك ، فكيف تحبه لأخيك . . . . . ؟

— وقال عليه الصلاة والسلام :

” مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم  
مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد  
بالمسهر والحمى ”<sup>(١)</sup>

— وقال صلى الله عليه وسلم :

” المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في  
حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم  
كربة ، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن  
ستر مسلماً ، ستره الله يوم القيامة ”<sup>(٢)</sup>

— وقال صلى الله عليه وسلم :

” من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس  
الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على محسر  
يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً  
ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد  
ما كان العبد في عون أخيه ”<sup>(٣)</sup>

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم : ١٦ / ١٤٠

(٢) قال الامام ابن حزم رحمه الله : من تركه يجوع ويعمرى — وهو قادر  
على اطعمائه وكسوته — فقد أسلمه . ( أنظر : المحلى : ٤٥٤ / ٦ )

(٣) متفق عليه واللفظ لمسلم : ١٦ / ١٣٤ — ١٣٥

(٤) متفق عليه واللفظ لمسلم : ١٧ / ٢١

— وقال عليه الصلاة والسلام :

" الساعى على الأرملة والمسكين ، كالجاهد فى بهيميل  
الله ، أو كالأذى يصوم النهار ويقوم الليل <sup>(١)</sup> ."

— وقال عليه الصلاة والسلام :

" ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه  
لهورثته <sup>(٢)</sup> ."

— وقال عليه الصلاة والسلام :

" والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ،  
قيل : ومن يارسول الله — ؟ قال : السذى  
لا يؤمن جاره بموائقه <sup>(٣)</sup> ."

— وقال ابن عباس — رضى الله تعالى عنهما :

" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليس  
المؤمن الذى يبيت وجاره الى جنبه جائس <sup>(٤)</sup> ."

وقال عليه الصلاة والسلام :

" ان الأشعرين اذا أرملوا <sup>(٥)</sup> فى النزوء ، أو قل طعام

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخارى : ١٠ / ٤٣٧ .

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم : ١٦ / ١٧٦ .

(٣) متفق عليه واللفظ للبخارى : ١٠ / ٤٤٣ .

(٤) رواه الحاكم وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه .  
(انظر : المستدرك : ٤ / ١٦٧ )

(٥) أرملوا : أى نقص زادهم ( ابن الأثير : النهاية : ٢ / ٢٦٥ )

عياهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ،  
ثم اقسموه بينهم في اناء واحد بالسوية ، فهم منى وانامهم<sup>(١)</sup> .

— وقال صلى الله عليه وسلم :

” ومن كان معه فضل ظهر ، فليعد به على من لا ظهر له  
ومن كان له فضل من زاد ، فليعد به على من لا زاد له ”  
قال أبو سعيد الخدري — رض الله تعالى عنه — راوى  
الحديث : فذكر من اصناف المال ما ذكر ، حتى رأينا  
أنه لاحق لأحد مفاى فضل<sup>(٢)</sup> .

— وقال صلى الله عليه وسلم :

” حق المسلم على المسلم ست ، قيل : ما هن يا رسول  
الله — ؟ قال : اذا لقيته فسلم عليه ، واذا دلك فأجبه  
واذا استنصحك فانصح له ، واذا عطس فحمد الله  
فشتمه ، واذا مرض فمده ، واذا مات فاتبمه<sup>(٣)</sup> .

— وقال عليه الصلاة والسلام :

” ما من مسلم غرس غرسا ، فأكل منه انسان أو دابة الا كان  
له صدقة<sup>(٤)</sup> .

(١) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ٦١ / ١٦ — ٦٢

(٢) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ٣٣ / ١٢

(٣) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٤٣ / ١٤ — ١٤٤

(٤) رواه البخارى : ٤٣٨ / ١٠



— وقال صلى الله عليه وسلم :

" أيضا أهل عوصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت  
منهم ذمة الله تعالى <sup>(١)</sup>

فهذه الأحاديث الشريفة ، والآيات القرآنية تدل على التكافل  
الاجتماعى بمعناه الأوسع ، وعلى الدولة الاسلامية المحافظة على هذه الميزة  
المهمة للمجتمع الاسلامى ، وعليها أن تدبر لبقائها فى المجتمع بقاء  
مستمرا ، وخصوصا لبقاء التكافل المادى ، بتنظيم نظام الزكوات  
والصدقات النافلة ، وتحريض الأغنياء على الانفاق فى سبيل الله ، اذ ان  
الجوع والقرعاملان رئيسيان لاحداث الفساد الخلقى — من الكذب  
والخيانة ، والنهب والسرقه ، حتى الزنا — فى المجتمع ، ومن أجل ذلك  
رأى بعض من الفقهاء أنه يجب على أغنياء المجتمع الاسلامى أن يساعدوا  
اخوانهم الفقراء والمساكين من غير ما ينفقونه من الصدقات الواجبة ،  
ومنهم الامام ابن حزم رحمه الله ، فيقول :

" وفرض على الاغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم  
ويجبرهم السلطان على ذلك ، ان لم تقم الزكوات بهم ،  
ولا فنى سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من  
القوت الذى لا يهد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف

---

(١) رواه أحمد : المسند : ٣٣ / ٢

بمثل ذلك • ومسكن يكتهم من المطر والصيف والشمس

وعيون المارة • برهان ذلك قول الله تعالى : (( وآت ذا

القربى حقه والمسكين وابن السبيل )) وقال تعالى : (( وبالوالدين

احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين • والجار ذي

القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل

وما ملكت أيمانكم )) فأوجب تعالى حق المسكين وابن السبيل

وما ملكت اليمين مع حق ذي القربى • وافترض الاحسان الى

الأبوين وذو القربى والمساكين • والجار • وما ملكت اليمين

والاحسان يقتضى كل ما ذكرناه • ومنعه اساءة بلا شك<sup>(١)</sup>

— وروى بسنده عن محمد بن علي بن أبي طالب أنه سمع

علي بن أبي طالب يقول :

" ان الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفى

فقراءهم • فان جاعوا • أو عروا • أو جهدوا فممنوع

الأغنياء • وحق على الله تعالى أن يحاسبهم يوم القيامة

ويمعذبهم عليه "

وعن ابن عمر أنه قال : " في مالك حق سوى الزكاة "

وعن عائشة أم المؤمنين • والحسن بن علي • وابن عمر

— رضى الله تعالى عنهم — أنهم قالوا كلهم لمن

(١) أنظر : المحلى : ٦ / ٤٥٢ - ٤٥٣ •

سألهم : ان كنت تسأل في دم موجه ، او غم مفتح  
او فقر مدقع ، فقد وجب حقا<sup>(١)</sup>

ويؤيد ما ذهب اليه الامام ابن حزم رحمه الله وهو الحديث الذي رواه  
ابوسعيد الخدري ، رضی الله تعالى عنه - وقد أسلفنا ذكره - قال :  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" ومن كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ،  
ومن كان له فضل من زاد ، فليعد به على من لا زاد له<sup>(٢)</sup>

قال ابوسعيد الخدري : فذكر من اصناف الطال ما ذكر  
حتى رأينا أنه لاحق لأحد منا في فضل<sup>(٣)</sup>

ولقد تعق المسلمون بهذه الميزة الفاتحة للمجتمع الاسلامي في العهد  
النبي والراشدي والمهدوي التي نحييت منحاها ، فينبغي للمجتمع  
الاسلامي ان يكون مجتمعا متكافلا ، متضامنا ، بحيث يستطيع ان يكون  
الصورة الواقعية للمجتمع الذي يرضى الله ورسوله عنه ، بحيث يكون اهلا

لتحقيق دعوة الله في واقعه ، وأهلا لحملها للناس كافة ، واذنا فقدت معانى  
التكافل والتضامن في المجتمع ، فانه لا يبقى ذلك المجتمع الذي يرضى الله  
عنه ورسوله ، ولا يبقى أهلا للقيام بحق الدعوة التي ائتمنه الله عليها ، بل  
قد لا يكون أهلا للصمود والثبات في معركة الحياة الدائرة بها . . .

(١) أنظر : المحلى : ٤٥٥ / ٦

(٢) رواه مسلم : ٣٣ / ١٢

## ٦ - نظام الأسرة :

.....

الأسرة عبارة عن صورة مصغرة للمجتمع ، إذا المجتمع يتكون من الأسره  
ومن أجل ذلك اهتم الاسلام بنظام الأسرة اهتماما بالغا أحله محل الصدارة  
بين مميزات المجتمع الاسلامي أو دعائمه ، والتفصيل في هذا الباب يقضى  
التطويل ، فنشير باختصارا الى جوانب مهمة لهذا النظام .

ان الأسرة تتكون - غالبا - من أب وأم وأولاد ، وبينهم علاقات  
دقيقة حساسة ، فهناك علاقة بين الأب والأم ، وهى علاقة الزواج ، وعلاقة  
بين الأبوين والأولاد ، وعلاقة فيما بين الأولاد ، وهى علاقة الأخوة .

ولقد تناول الاسلام دراسة هذه العلاقات بأسرها بخاية الدقة والامعان  
وأرشد المسلم الى مبادئه لو التزم بها لبلغ نظام الأسرة الى ذروة مجده  
وشرفه ، وانتشرت منه نفحات عدلرة الى المجتمع الاسلامي الدعوى .....  
وإذا تطرق الفساد - لاسمح الله - الى هذا النظام ، تسرب فى  
المجتمع وبدأ يعمه شيئا فشيئا ....

ولم يستحسن الاسلام للمسلم حياة العزوبة ، بل حثه على أن يختار

حياة أسرية :

قال الله تبارك وتعالى :

(( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها

وجعل بينكم مسودة ورحمة ، ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون ))<sup>(١)</sup>

(١) سورة الروم : الآية : ٢١ .

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" ياممشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ،  
فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه  
بالصوم ، فانه له وجاء <sup>(١)</sup>

وإذا استمد المسلم أن يختار حياة أسرية ، وأراد الزواج ، فأرشده  
الاسلام الى ما يرجحه في اختياره زوجة يبدأ معها حياته الجديدة ، ويؤسس  
بمساندها بناء أسرة صالحة تزيد في قوة صلاحية المجتمع الاسلامي (الدعوى)

- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" تتكح المرأة لأربع : لعالها ، ولحبها ، ولجمالها  
ولدينها ، فأظفر بذات الدين تربت يداك <sup>(٢)</sup>

وبعد ما تزوج الرجل امرأة صالحة ، ذات دين وصلاح ، برزت  
أسرة صغيرة في بيئة المجتمع الاسلامي ، فيرشد الدين الخفيف الطرفين  
الى ما فيه صلاحهما ونفعهما في الدنيا والآخرة ...

فقال للنزج :

" وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن ، فمسى أن  
تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا <sup>(٣)</sup>

---

(١) متفق عليه ، واللفظ لسلم : ١٧٢ / ٩

(٢) متفق عليه ، واللفظ لسلم : ٥١ / ١٠

(٣) سورة النساء : الآية : ١٩

- وقال له الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :
- " والرجل راع في أهله ، وهو مسئول عن رعيتيه <sup>(١)</sup> "
- وقال صلى الله عليه وسلم :
- " خيركم : خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلتي <sup>(٢)</sup> "
- وقال عليه الصلاة والسلام :
- " ان المرأة خلقت من ضلع ، لن تستقيم لك على طريقة ، فان استتمعت بها ، استتمعت بها ، وبها عوق ، وان ذهبت تقيمها كسرتهما طلاقها <sup>(٣)</sup> "
- وقال عليه الصلاة والسلام :
- " ان من أمر الناس عند الله منزلة يوم القيامة : الرجل يفضي الى أمواته ، وتفضي اليه ، ثم ينشر سرها <sup>(٤)</sup> "
- وقال تعالى للزوجة :
- " الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للنفوس بما حفظ الله <sup>(٥)</sup> . "
- وقال لها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :
- " والمرأة راعية على بيت زوجها وولده <sup>(٦)</sup> "

---

(١) متفق عليه ، أنظر : مسلم : ١٢ / ٢١٣

(٢) رواه ابن ماجه : السنن : ١ / ٦٣٦

(٣) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٠ / ٥٧

(٤) رواه مسلم : ١٠ / ٨

(٥) سورة النساء ، الآية : ٣٤

(٦) متفق عليه ، أنظر مسلم : ١٢ / ٢١٣

— وقال عليه الصلاة والسلام :

" لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد ، لأمرت  
النساء أن يسجدن لأزواجهن ، لما جعل الله لهم عليهن  
من الحق <sup>(١)</sup> "

— وقال عليه الصلاة والسلام :

" اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه ، فلم تأت به ،  
فبات غضبان عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح <sup>(٢)</sup> "

فيجب على هذه الاسرة أن تراعى ما قال الله ورسوله ففى  
شؤونها ، بل تجعله نصب أعينها ، وتسير رويدا تروى واجهها نحو  
المجتمع الاسلامى ( الدعوى ) ..... واذا حدث — لا قدر الله —  
أى نوع من الخلاف بين الزوجين ..... فأرشد الاسلام الزوج  
أن يعالج القضية بغاية الحكمة والتدبير والاتقان ، إذ أنه هوولى  
أمر الأسرة ، والمرأة ناقصة العقل والدين .....

فقال الله تبارك وتعالى :

"واللاتى تظنون نشوزتن فعلنوهن ، واهجروهن فى المضاجع  
واضربوهن فان أظعنكم فلا تبسوا عليهن سبيلا ، ان الله  
كان عليا كبيرا ، وان خفتن بينهما فابحثوا حكما من  
أهله وحكما من أهلها ، ان يريدوا اصلاط يوفى الله بينهما  
ان الله كان عليما خبيرا <sup>(٣)</sup> ."

---

(١) رواه أبوداود : السنن : ٢ / ٦٠٥  
(٢) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ٨ / ١٠  
(٣) سورة النساء : الايتين : ٣٤ — ٣٥

ولم يشجع الاسلام الزوج أن يتصور الطلاق حلا وحيدا للأزمات  
 الأسرية ، وأشار الى أن الطلاق هو علاج نهائى يختاره المسلم اذا ضجر  
 وعيى من المسايرة مع الزوجة ، بعدما اختار تدابير متنوعه سليمة  
 لرفع الخلاف الذى حدث بين الزوجين . . . . . وعلم الدين الخفيف الزوج  
 بأن الطلاق ليس مسدسا دفعه الاسلام اليه ليطلق ناره على المرأة  
 متى شاء ، وكيف شاء . . . . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
 " ما أحل الله شيئا أبغض اليه من الطلاق <sup>(١)</sup>"

وإذا لم ينظر الزوج فيما أشار اليه الاسلام من مضرة  
 الطلاق ، واستعمله كالمسدس فى يده ، بحيث كلما أراد ارهاق الزوجة  
 رماها بالطلاق ، فتأتى هذه اللعبة بالطلاق بنتائج فتاكة على  
 الأسرة ، وتتسرب من الأسرة الى المجتمع . . . . . إذ أن الاقتساق  
 بين الزوجين من أكبر تمنيات عدو الانسان اللعين - الشيطان -  
 ومن أجل ذلك يقدر الشيطان مآثرة تلميذه الذى فرق بين الزوجين  
 من وساوسة وأعظم تقديره فيقره منه ، ويقبله ، ويمتنقه ويجازيه  
 . . . . . لأن الاقتساق الذى حصل من وساوس الشيطان يحدث  
 الحرمان والحسرة فى الزوجين وأولادهما ، فيصادفون الأزمات النفسية  
 المعقدة ، - وكذلك الأزمات المالية فى بعض الأحيان - فينحرفون  
 عن الجادة المستقيمة ، ويتسرب فيهم الفساد الخلقى والايمانى . . .

---

(١) رواه أبوداود : السنن : ٢ / ٦٣١



وهكذا يتمزق شمل أسرة كريمة كانت تعيش عيشة سميحة  
في المجتمع الاسلامي ، ولا بد أن يتأثر المجتمع من هذا التشتت ،  
وبذلك يفرح الشيطان فرحا شديدا ، لأنه حاز نجاسا كبيرا فسي  
الصراع الذي لم يزل قائما بينه وبين آدم وذريته ، ، ، ، ، وأشار الى  
ذلك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فقال :

” ان ابليس يضع عرشه على السماء ثم يبعث سرايا ،  
فأدناهم منه منزلة ، وأعظمهم فتنة ، يجي أحدهم  
فيقول : فعلت كذا وكذا ، فيقول : ما صنعت شيئا  
قال : ثم يجي أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت  
بينه وبين امرأته ، قال : فيدنيه منه ، ويقول :  
نعم ، أنت - قال الأعشى : أراه قال : فيلتزمه <sup>(١)</sup> ”

وإذا اضطرب الزوجان وأهلها أن يختاروا هذا الحل النهائي  
للمشكلات العائلية المعقدة ، فعليهم أن يلتزموا بالنظام الذي أرشد  
اليه الاسلام بهذا الصدد ، ولا يحاولوا أن يتعدوا الحدود التي  
حددها الاسلام لهم ، ، ، ، ،

- قال الله تبارك وتعالى :

” يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لمدتهن  
وأحصوا المددة ، واتقوا الله ربكم ، لا تخرجوهن من

---

(١) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٧ / ١٥٧ .

بموتهن ، ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة ، وتلك  
 حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ، لا  
 تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ، فإذا بلغن  
 أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف ،  
 وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ، ذلكم  
 يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، ومن  
 يتق الله يجعل له مخرجا <sup>(١)</sup> .

— وقال الله تعالى :

(( الطلاق مرتان ، فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان ،  
 ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتوهن الا أن يخافا  
 ألا يقيما حدود الله ، فان خفتم ألا يقيما حدود  
 الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به ، تلك حدود الله  
 فلا تمتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم  
 الظالمون . فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى  
 تنكح زوجا غيره ، فان طلقها فلا جناح عليهما أن  
 يتراجعا ان ظنا أن يقيما حدود الله ، وتلك  
 حدود الله يبينها لقوم يعلمون . وإذا طلقتم النساء

---

(١) سورة الطلاق : الآيتين : ١ - ٢

فيلفن أجلهن ، فأسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ،  
 ولا تمسكوهن ضراوا لتمتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم  
 نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، واذكروا نعمت الله  
 عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ، واتقوا  
 الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم <sup>(١)</sup> ))

وهناك تفاصيل أخرى في أحكام الطلاق والزواج ، اهتم بذكرها  
 الكتاب والسنة ، وعلى الزوجين التزامها التزاما كاملا .  
 وبعد ما أشرنا الى العلاقة الدقيقة بين الزوجين ، والى ما يجب  
 عليهما من رعاية هذه العلاقة الحساسة ، كيما يستمر الألفة والمودة بينهما ،  
 فنجبا أولادا صالحين ، فيساهموا في ازدهار المجتمع الاسلامى  
 الدعوى . . . . . نود أن نشير الى ما يجب على الوالدين نحو الأولاد ،  
 وعلى الأولاد نحو الوالدين ، وقد جاءت في ذلك آيات وأحاديث كثيرة  
 نجتزى فيها ما يلى :

— قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" أكرموا أولادكم ، وأحسنوا آدابهم " <sup>(٢)</sup>

— وقال عليه الصلاة والسلام :

" من عال <sup>(٣)</sup> جارتيين حتى تبلننا ، جاء يوم القيامة أنا

وهو ، وضم أصابعه <sup>(٤)</sup>

(١) سورة البقرة : الآيات : ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١

(٢) رواه ابن ماجه : السنن : ٢ / ١٢١١

(٣) عال : أى انفق عليهما ( ابن الأثير : النهاية : ٣ / ٣٢١ )

(٤) رواه مسلم : ١ / ٣٣٤

— وقال صلى الله عليه وسلم :

" مسروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع " <sup>(١)</sup>

وقال الله تعالى للأولاد :

(( وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبالوالدين إحسانا  
أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل  
لهما أف ولا تنهرهما ، قل لهما قولا كريما ، واخفض  
لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما  
رحماني صغيرا )) <sup>(٢)</sup>

— وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" رغم أنفه ، ثم رغم أنفه ، ثم رغم أنفه ، قيل :  
من يا رسول الله — ؟ قال : من أدرك والديه عند  
الكبر ، أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة " <sup>(٣)</sup>

— وقال صلى الله عليه وسلم :

" ان من أبر البر صلة الرجل ودا أبيه بعد أن يولى " <sup>(٤)</sup>

---

(١) رواه أبو داود : السنن : ٣٣٤ / ١

(٢) سورة الاسراء : الآيتين : ٢٣ - ٢٤

(٣) رواه مسلم : ١٦ / ١٠٩

(٤) رواه مسلم : ١٦ / ١١٠

ولرعاية العلاقة بين الأولاد فيما بينهم ، والعلاقة بين الأقارب ، اهتم  
الاسلام بابرار صلة الرحم ابرارًا يلفت نظر كل مسلم يريد التزام مبادئ  
الدين الخفيف ، ويحسه على أن يهتم اهتماما بالغا بالعناية بهذه العلاقة  
التي تربط من أعضاء الأسرة ربطا محكما متينا . . . . . فقال الله تعالى :

(( يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة

وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ،

واتقوا الله الذي تساءءون به والأرحام ، ان الله

كان عليكم رقيبا<sup>(١)</sup> ))

— وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" ان الله خلق الخلق ، حتى اذا فرغ منهم ، قامت

الرحم فقالت : هذا مقام المائد من القطيعة ، قال : نعم

أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك — ؟

قالت : بلى ، قال : فذاك لك ، ثم قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : اقرؤا ان شئتم : " فهل عسيتم

ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ، أولئك

الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ، أفلا يتدبرون

القرآن أم على قلوب أقفالها<sup>(٢)</sup> . " <sup>(٣)</sup>

(١) سورة النساء : الآية الأولى

(٢) سورة محمد : الآيات : ٢٢ — ٢٣ — ٢٤

(٣) متفق عليه ، واللفظ لسلم : ١١٦ / ١١٣

وأخيرا أمر الرجل - الذى يسيطر على الاسرة - بأن لا يزال  
 حذرا فى شئون الأسرة ، ويستعرضها استعراضا جيدا ودقيقا ،  
 ولا يدخر جهدا فى تعليم الأولاد ، ويجاد بيئة مسلمة مؤمنة فى الاسرة ،  
 ثم يراقب مراقبة واعية بأن كلا من أفراد الاسرة يؤدى واجبه نحوها أم لا ،  
 فاذا وجد أى نوع من التهاون والكسل فى أداء الواجب ، عليه أن ينبه  
 الفرد المسئول عن ذلك التهاون والكسل ، وبهذا يكون قد أدى واجبه نحو  
 الأسرة ، كما يستقيم به نظام الأسرة ، وبهيئتها لها أسباب الفلاح والنجاح  
 فى العاجلة والآجلة .....

قال الله تعالى :

(( يا أيها الذين آمنوا قسوا أنفسكم وأهليكم نارا ، وقودها

الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون

الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون <sup>(١)</sup> ))

وهكذا وضع الاسلام نظاما شاملا ومحكما للأسرة ... وهذا النظام

له أثر عميق وبالحق فى بناء المجتمع الفاضل ، بحيث لا تنقسم قوى المجتمع

الاسلامى طالما اهتم المسلمون بالمحافظة على نظام الأسرة ، واذنا اختل

هذا النظام ، متأثر به المجتمع ، وتسرب الفساد - تسرب الماء الى جذور

الحيطان - من الاسرة الى المجتمع ....

---

(١) سورة التحريم : الآية : ٦

ولم يفسد نظام الأسرة مادام المسلمون ملتزمين بمبادئه  
التزاما شديدا ، ولما نسى المسلم غاية الزواج وأدابه ، وحسبه  
وسيلة لتسليته نفسه ، ولا شباع غرائزه الجنسية فحسب ، واستفحل  
رخصة التمرد في الزواج لهذا الغرض ، ونسى العدل ومقتضاه  
بهذا الصدد ١٠٠٠٠٠ اختل نظام الأسرة وشاع الفساد .

## ٧ - التنظيم الاقتصادي :

ان الاقتصاد في حياة الأمم والشعوب ، يحل محل الممرد للفقرى من الانسان والمال ، له أثر كبير - اقتضته مشيئة الله تعالى - في اسعاد الناس والترفيه عنهم ، كما هو عامل من عوامل توفير أسباب القوة والمنعة ، والتقدم الحضارى ، ووسيلة وقوة يصون بهما الانسان عرضه وكرامته . . . . .

وبما أن الاسلام دين فطرى ، ورسالة سماوية ختمة ، لم يصرف نظره عن المال ، ولم <sup>يعتبه</sup> شيئا محظورا يجب أن يجتنب كل الاجتناب ، بل عبر عنه بكلمة " خير <sup>(١)</sup> " واهتم اهتماما بالغا بحل المشكلات الاقتصادية ، ووضع نظاما ماليا محكما ، متكاملًا متزنًا يستفيد منه الانسان في كل زمان ومكان ، في بناء الحياة وتقدمها وفي كرامة الانسان الذى يحيى هذه الحياة .

ولسنا - فى هذا البحث - فى وضع ثقلم فى جميع نواحى هذا النظام المالى ، والاقتصادى ، فنكتفى باشارات السى بعض جوانبه المهمة :

(١) قال الله تعالى : (( كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت

ان ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين ))

( سورة البقرة : الآية : ١٨٠ )



أولا ؛ ملكية المال ؛

=====

مما لا شك فيه أن الانسان مولع بالمال ، والرغبة في تملكه أمر قد وضعه الله في طبيعته<sup>(١)</sup> فسلب الملكية منه مطلقا أمر مناقض لفطرته ومن ثم أقر الاسلام حق ملكية ضمن قيود سنمعرض لها ، ولقد نسب المال الى من يكتسبه في غير مكان في القرآن الكريم :

قال الله تعالى :

(( ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتبدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون ))<sup>(٢)</sup>

- وقال تعالى :

(( وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حويبا كبيرا ))<sup>(٣)</sup>

كما أنه نهى الانسان الى ألا ينخدع بهذا الاعتراف بملكية للمال ، فالملك الحقيقي له ولجميع والأشياء في الكون ، هو الله سبحانه وتعالى ، وليس الانسان الا خليفته في المال ، استخلفه فيه ينتفع به ،

(١) ويدل على ذلك قوله تعالى: (( زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن العاقبة )) (سورة آل عمران : الآية : ١٤) وقوله تعالى : (( وانه لحب الخير لشديد )) (سورة العاديات : الآية : ٨)

(٢) سورة البقرة : الآية : ١٨٨

(٣) حويبا : (تفتح الحاء وتضم ) اثما ( ابن الأثير : النهاية : ١ / ٤٥٥ )

(٤) سورة النساء : الآية : ٤٢ .

وليه ودى الحقوق الشرعية الواجبة فيه ، وليقوم بالتكاليف التي  
كلفه الله اياها . . . . .

فقال سبحانه وتعالى :

(( ولله ملك السماوات والارض ، والله على كل شىء قدير ))<sup>(١)</sup>

- وقال تعالى :

(( آمنوا بالله ورسوله ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين

فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ))<sup>(٢)</sup>

اننا نرى أن الاسلام قد أقر ملكية المال على أن يراعى المالك

وأمر الله في كسبه وادخاره وانفاقه<sup>(٣)</sup>

---

(١) سورة آل عمران : الآية : ١٨٩

(٢) سورة الحديد : الآية : ٧

(٣) قال الله تعالى : (( ما آفأه الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول

ولذى القرى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، كى لا يكون دولة بين الأغنياء

منكم )) الآية ( سورة الحشر : الآية : ٧ )

يقول سيد قطب الشهيد رحمه الله :

" هذه العبارة : " كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم " تضع أمامنا قاعدة

اقتصادية كبرى من قواعد التنظيم الاقتصادى والاجتماعى فى المجتمع

الاسلامى ، فالملكية الفردية فى الاسلام حق معترف بها ولكن ينهى أن

تتحرك ضمن اطار هذه القاعدة الأشمل ، قاعدة ألا يكون المال دولة بين

الأغنياء فقط ممنوع من التداول بين الفقراء ، فكل وضع ينتهى الى أن يكون

المال دولة بين الأغنياء وحدهم فهو وضع يصطدم ويتناقض مع مقررات الشريعة

الاسلامية وأهداف التنزيل الاجتماعى فى الاسلام "

( فى ظلال القرآن : ٢٨ / ٣٧ " الطبعة الاولى " )

ثانيا : كسب المال :

=====

كسب المال من أهم عناصر الاقتصاد ، ولم يصرف الاسلام نظره عنه ،  
 فبين بالتفصيل حلال الكسب وحرامه ، فحرم كلا من الاحتكار والربا ، اذ  
 انهما الوسيلتان الرئيسيتان بجعل المال " دولة بين الأغنياء " وتركيزه  
 في ايديهم ، والاسلام لا يشجع هذا الوضع ، بل ما يريده الاسلام هو : أن  
 يدور المال بأيدي أفراد المجتمع الاساسي في نطاق أوسع ومجال أفسح ،  
 وكذلك حرم الاسلام القمار ، وأكل مال اليتيم وأكل البيع والشراء  
 الشرعيين ، الى غير ذلك من التفاصيل التي تكلفت كتب الفقه بيانها ...  
 وحسبنا ههنا أن نذكر بعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة المتعلقة  
 بذلك :

— قال الله سبحانه وتعالى :

(( يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم

ولا تعمدوا ، ان الله لا يحب المعتدين ، وكلوا مما رزقكم

الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ))<sup>(١)</sup>

— وقال تعالى :

(( يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، الا أن

تكون تجارة عن تراض منكم ، ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما<sup>(٢)</sup> ))

(١) سورة المائدة : الآيتين : ٨٧ — ٨٨

(٢) سورة النساء : الآية : ٢٩

- وقال جل شأنه :

(( الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه  
الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا  
وأحل الله البيع وحرم الربا (١) ))

- وقال تعالى :

(( يا أيها الذين آمنوا ، انما الخمر والميسر (٢) والأنصاب  
والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون (٣) ))

- وقال جل قدرته :

(( ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، انما يأكلون  
فى بطونهم نارا ، وسيصلون سعيراً (٤) ))

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" ان الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما مشبهات  
لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ  
لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات ، وقع فى الحرام ، كالرأى  
يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا ! وان لكسل ملك  
حمى ، ألا ! وان حمى الله مطربه ، ألا ، وان فى الجسد  
مضغة ، اذا صلحت ، صلح الجسد كله ، واذا فسدت ، فسد الجسد  
كله ، ألا ، وهى : القلب . " (٥)

(١) سورة البقرة : الآية : ٢٧٥

(٢) الميسر : هو القمار ( أنبار : ابن الأثير : النهاية : ٢٩٦/٥ )

(٣) سورة المائدة : الآية : ٩٠

(٤) سورة النساء : الآية : ١٠

(٥) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ٢٧ / ١١ - ٢٨

— قال عليه الصلاة والسلام :

" لاتزول قدما عبد حتى يسأل عن عموره فيما أفناه ، وعن علمه فيما فعل ، وعن ماله : من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيما ابلاه . " (١)

— وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، قال :

" لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الربا ، وموكله وكاتبه وشاهد يه وقال : هم سواء " (٢)

— وقال عليه الصلاة والسلام :

" من احتكر فهو خاطى " (٣) — اى آثم — (٤)

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح : ١٠١ / ٧

(٢) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ٢٦ / ١١

(٣) قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : " المحتكر : هو الذى يمدالى شراً ما يحتاج اليه الناس من الطعام ، فيجبهه عنهم ، ويريد اغلاله عليهم ، وهو عالم للخلق المشتريين .. ولهذا كان لولى الأمر أن يكره الناس على بيع ما عندهم بقيمته المثل عند ضرورة الناس اليه ، مثل من عنده طعام لا يحتاج اليه والناس فى مخصصة فانه يجبر على بيعه للناس بقية المثل " ( انظر : الحسبة : ١٥ )

— وقال : " وأما اذا امتنع الناس من بيع ما يجب عليهم بيعه ، فهنا يؤمرون بالواجب ويماقبون على تركه ، وكذلك من وجب عليه أن يبيع بضمن المثل فامتنع أن يبيع الا بأكثر منه فهنا يؤمر بما يجب عليه ويماقب على تركه بلا ريب " ( أنظر : الحسبة : ٣٣ )

(٤) رواه مسلم : ٤٣ / ١١

ثالثا : الانفاق :

=====

لم يمنح الدين الحنيف أهله الحرية المطلقة في أن ينفقوا أموالهم التي خولهم الله حسب ما بدا لأنفسهم ، بل حدد لهم الحدود ، وحذرهم من أن يقعوا في الافراط والتفريط في الانفاق ، فالافراط في هذا المجال - الذي يعبر عنه بالاسراف والتبذير - يوصل الأمة الى حياة البذخ والترف التي تفضي الى التحلل والانهيهار ، كما أن التفريط - الذي يعبر عنه بالشح والبخل - له نتائجه السيئة في الأخلاق والعلاقات الاجتماعية ، وفي حياة الأمة ومسيرتها الحضارية . . . . . فأرشد الدين الحنيف السبي الطريق الوسط في الانفاق ، الذي يحفظ الأمة من أن تقع في مهاوى النتائج المهلكة .

ونذكر بهذا الصدد بعضا من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة :

- قال الله سبحانه وتعالى :

(( وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ))<sup>(١)</sup>

- وقال تعالى :

(( والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ))<sup>(٢)</sup>

- وقال جل شأنه :

(( ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ))<sup>(٣)</sup>

---

(١) سورة الاعراف : الآية : ٣١

(٢) سورة الفرقان : الآية : ٦٧

(٣) سورة الاسراء : الآية : ٣٤

— وقال سبحانه :

(( فأما من أعطى<sup>(١)</sup> واتقى وصدقت بالحسنى فسنيسره لليسرى  
وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للمسرى<sup>(٢)</sup> ))

— وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه :

" الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة ، والتودد الى الناس  
نصف العقل ، وحسن السؤال نصف العلم " .<sup>(٣)</sup>

— وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" كلوا واشربوا وابتسوا وتصدقوا فى غير اسراف ولا مخيلة<sup>(٤)</sup> " .<sup>(٥)</sup>

— وقال صلى الله عليه وسلم :

" اتقوا الشح<sup>(٦)</sup> ، فإنه أهلك من كدان قبلكم ، حملهم على  
أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم " .<sup>(٧)</sup>

(١) أعطى : أى بذل ماله فى وجوه الخير

(أنار الشوكانى : فتح القدير : ٥ / ٤٥٢ )

(٢) سورة الليل : الآيتين : ٧ — ٨

(٣) أنار : ابن الجوزى : صفة الصفوة : ١ / ٢١٢

(٤) مخيلة ( بكسر الخاء المجمة وسكون الياء ) : الكبر

( ابن الأثير : النهاية : ٢ / ٩٣ )

(٥) رواه البخارى : ١٠ / ٢٥٢

(٦) الشح : أشد البخل

( ابن الأثير : المصدر السابق : ٢ / ٤٤٨ )

(٧) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٦ / ١٣٤

ولا شك أن الاسلام منح المسلم الحر البالغ حرية التصرف في ماله كيف شاء ومتى شاء ، فلم يفرض عليه أى قيد في تصرفه اذا كان في المعروف وأما اذا تصرف ماله تصرفا سيئا ، بحيث يذر ويسرف ، ويضيع ماله فسي الحرام . . . فهل يمك يداه أم لا ؟ . . . فيه خلاف بين الفقهاء ، ويرى الامام مالك والشافعى رحمهما الله وغيرهما من فقهاء المدينة والعراق : أنه يجوز للدولة الاسلامية أن تتدخل في ملك ذلك المبذر المسرف وتصرفاته السيئة ، وتحجر عليه ، حتى يمتنع عن التبذير ، وهذا رأى عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ، من الصحابة ، ويرى الامام أبو حنيفة رحمه الله وجماعة من فقهاء العراق بعدم جواز الحجر على المسلم الحر البالغ في تصرفه في ماله .<sup>(١)</sup>

ونرجح الرأى الأول ، اذ أن الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية التي جاء فيها ذم الاسراف والتبذير ، تؤيد هذا الرأى ، لأن التبذير يحدث أمراضا خلقية متسوية في المجتمع ، وما أن الدولة الاسلامية مكلفة بالمحافظة على قيم المجتمع الاسلامى العالمة ، فلها حق الحجر على من يسبب لضبايح تلك القيم ، ويستدل أصحاب هذا الرأى بالآية التالية :

قال الله سبحانه وتعالى :

(( ولا توتسوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما

وارزقوهم فيها واكسوهم ، وقولوا لهم قولا معروفا . ))<sup>(٢)</sup>

(١) أنظر : ابن رشد : بداية المجتهد : ٢ / ٢٧٩ - ٢٨٠ .

أنظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٣٠ .

(٢) سورة النساء : الآية : ٥ .



قال القرطبي : " دلت الآية على جواز الحجر على السفينة<sup>(١)</sup> "

والسفيه : هو الذى يتصرف بماله خلاف ما يقتضيه الشرع "

ويقول العلامة الموسوي رحمه الله :

" ان هذه الآية الكريمة تحمل معنى شاملا ، لقد نهى

الله سبحانه وتعالى الأمة الاسلامية هبأن المال الذى عليه

مدار حياتكم فى هذا الكون ، ينفى ألا يبقى تحت تصرف

السفهاء من الناس ، الذين يتصرفون فيه تصرفا سيئا فيفسدون

نظام الأخلاق الاسلامية ، والمعيشة والمدينة الاسلاميتين

ان حقوق التصرف ليست - عند الاسلام - غير محدودة ، بحيث

يسمح لمن ليس له كفاية بالتصرف الصحيح فى ماله أن ينفى فيما

يشاء وكيف يشاء ويحدث بذلك الفساد العام فى المجتمع - الأمر

ليس كذلك ، ان الاسلام لا يمنع من تسديد الطبقات الضرورية

لحياة الانسان ، أما حرية التصرف فى المال فينهى أن تقيد

بأن لاتسبب فساد الاخلاق الاسلامية ، وتدمير المدنية والمعيشة

الاسلاميتين ، .....<sup>(٢)</sup>

(١) أنظر : القرطبي الجامع لأحكام القرآن : ٥ / ٣٠

(٢) أنظر : تفهيم القرآن : ١ / ٣٢٢ - ٣٢٣

رابعاً : معالجة الفقر :

=====

مشكلة الفقر تحدث في المجتمع بسوء التنظيم الاقتصادي في حدود قضاء الله وقدره ، فتؤدي الانسان تارة الى اختيار المكاسب المحرمة وتارة الى اثاره الفساد والظلم في المجتمع . . . . . لم يترك الاسلام هذه المشكلة الانسانية المعقدة على حلقها ، بل عالجها بغاية الدقة والتوازن بحيث لو اختار العالم الانساني هذه المعالجة ، لانحلت هذه المشكلة ، ونذكر من هذه المعالجة الدقيقة بعض نواحيها المهمة فيما يلي :

١ - أوضح الاسلام الحقيقة الناصمة : بأن التفاضل في الأرزاق امر اقتضته حكمة الله تبارك وتعالى . . . فهو كتفاضلهم في المواهب والملكات ، وفي الذكاء والنباوة ، وفي الجمال والدمامة ، وفي البياض والسواد ، وفي قصر القامة وطولها ، وفي ضعف الجسم وقوته . . . فهذه صفات فطرية خلقها الله تعالى كما شاء ، وليس في مقدرة أي انسان - مهما كان عبقرياً ومتفوقاً في العلم والحكمة ، والبصيرة والسلطة - أن يغير هذه الصفات حسب ما تشتهي نفسه . . . وكذلك الرزق بيد الله سبحانه وتعالى ، يعطى ما يشاء منه ، لمن يشاء من عباده . . . . . دون أن يكون هنالك رابطة حميمة بين الجهد المبذول والرزق المحصل . . . على أنه لا بد من السعي والعمل ، فان السماء لا تمطر ذهباً ، وأن الأرض لا تنبت فضة .

فقال الله سبحانه وتعالى :

(( من كان يريد العساجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن

نريد )) الآية<sup>(١)</sup>

— وقال تعالى :

(( ان ربك ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده

خبيرا بصيرا ))<sup>(٢)</sup>

فعلى الانسان أن يعترف بهذه الحقيقة الناصحة ويقتنع بها راضيا بالله

رسا ، وينظر نظرة المشاهدة فيما حوله : كم من ساع للرزق ، يتعب

نفسه في سبيله ، ويجهد جهدا كبيرا متواصلا للحصول عليه ، والمرق

يسيل من مفرقه الى ساقه ، ولا يحصل الا على ما قدره الله له . . . . .

وكم من ساع للرزق ، جالس في مكتبه ، يكسب المبالغ الهائلة في لحظة

واحدة ، وبمكالمة هاتفية ، فهذه الحقيقة تابعة لحكمة شاءها الله

تعالى ، وهو الحكيم الخبير .

٢ — ثم طمان الاسلام الفقراء الى أن هذا التفاضل في الرزق ، انما هو

في هذه الدنيا فحسب ، أما الآخرة — وهي دار القوار — فيعتبر

هناك كل سعى قام به الانسان لها وهو مؤمن . . . . . فعليه أن يصرف

نظره عما فيه الآن ، وينظر الى ما في الآخرة ، لأن كل سعى لها

يأتى هناك بشرة أضماظ مضاعفة . . . . . قال الله تبارك وتعالى :

---

(١) سورة الاسراء : الآية : ١٨

(٢) سورة الاسراء : الآية : ٣٠

(( ومن أراد الآخرة وسمى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك  
كان سعيهم مشكورا • كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك  
وما كان عطاء ربك محظورا • انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض  
وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ))<sup>(١)</sup>

— وعن ابن مسعود — رضى الله تعالى عنه — قال :

" قالت أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم  
امتنى بزوجى رسول الله صلى الله عليه وسلم • وأبى • أبى  
سفيان • وأخى معاوية • قال : فقال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : قد سألت الله لأجل مضرية • وأيام مسعود ؛  
وأزواج مقسومة • لن يعجل شيئا قبل حله • أو يؤخر  
شيئا عن حله • ولو سألت الله أن يعيدك من عذاب  
فى النار • أو عذاب فى القبر • كان خيرا وأفضل <sup>(٢)</sup> .

وهكذا صرف الاسلام نظر الفقير المحروم عن التطلع الى أموال الأغنياء  
والنظر اليها نظرة الجشع والنهم • فلو لم تحصل له فى هذه الدنيا  
تلك النعمة التى يتمتعون بها • فله مجال واسع فى حياته أن يعمل  
للآخرة • فكل سعى لها يثمر اذا رافقه صحة العقيدة والايمان  
فاذا فاته التمتع من نعمة الدنيا — من قدر الله — فمن الخطل جدا  
ان يحرم من أن يتمتع بنعمة الآخرة — ومجالها فسيح ووسيع وسهل

(١) سورة الاسراء : الآيات : ١٩ — ٢٠ — ٢١

(٢) رواه مسلم ٤ / ١٦ / ٢١٢ — ٢١٣ •

جدا - ويبقى يئن ويصرخ ويشكوسما قدره الله ، مع أنه تعالى لم يحرمه من نعمة الدنيا كلها ، بحيث أعطاه الرزق بقدر محدود ، فهو لا يموت جوعا ، وأعطاه نعمًا أخرى ، نعمة الصحة ، ونعمة سلامة الأعضاء والجوارح ، ونعمة سلامة العقل وما إلى ذلك ، فعليه أن يطمئن بقدر الله ، ويسعى لآخرته .

٣ - وأرشد الفقراء إلى اختيار القناعة ، والرضا بما قسم الله تعالى لهم فسي

الأرزاق ، وإلى اختيار التمسك بالصبر : فقال الله تعالى :

(( ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب

ما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ، وأسألوا الله من فضله

ان الله كان بكل شيء عليمًا ))<sup>(١)</sup>

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه ."<sup>(٢)</sup>

- وعن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه :

" أن اناسا من الانصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأعطاهم ، ثم سألوه ، فأعطاهم ، حتى اذا نفذ ما عنده ، قال :

ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستضعف ، يعفه

الله ، ومن يستغنى ، يفنه الله ، ومن يصبر ، يصبره الله ، وما

أعطى أحد من عطاء خيرا وأوسع من الصبر"<sup>(٣)</sup>

(١) سورة النساء : الآية : ٣٢

(٢) رواه مسلم : ٧ / ١٤٥ .

(٣) رواه مسلم : ٧ / ١٤٤ - ١٤٥

٤ - حث الأغنياء على التصديق على الفقراء والمساكين ، ومد يد العون اليهم من غير من ولا أذى . . . . . وأفهمهم أن في مالهم حقا معلوما للسائل والمحروم ، وبين لهم أن اظهار الصدقة دون رياء لا بأس به ، ولكن اخفائها خير وأحب الى الله تعالى ، لأن فيه صيانة لنفس المتصدق من الرياء ، ورعاية لمشاعر الفقراء ، وكرامة للذين لا يسألون الناس من التمعف . . . . . قال الله سبحانه وتعالى :

(( يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى ، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخره فمثل كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا ، والله لا يهدي القوم الكافرين . ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فان لم يصيبها وابل فطل ، والله بما تعملون بصير . ))<sup>(١)</sup>

- وقال تعالى :

(( ان تبدوا الصدقات فنعما هي ، وان تخفوها ، وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، ويكفر عنكم من سيئاتكم ، والله بما تعملون خبير . ))<sup>(٢)</sup>

(١) سورة البقرة : الآيتين : ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٢) سورة البقرة : الآية : ٢٧١

— وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :

” سبعة • يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله •••

( وذكر منهم ) •• ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى

لا تعلم يمينه ما تنفق شماله •••<sup>(١)</sup>

ونوه الله سبحانه وتعالى • بأن الانفاق في سبيل الله ليس

عملا عاديا • بل له مكانة خاصة ••• فكل عمل صالح يقوم به

المسلم يثاب عليه بعشر أمثاله •• حيث قال سبحانه :

(( من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها • ومن جاء بالسيئة

فلا يجزي الا مثلها وهم لا يظلمون ••)<sup>(٢)</sup>

ولكن الانفاق في سبيل الله له شأن خاص عند الله تعالى • بحيث

يثاب القائم بهذا العمل الصالح بسبع مائة حسنة • كما أن هناك

مساغ لا ضمافا أضمافا مضاعفة ••• وكل ذلك ينحصر في

اخلاص نية المتصدق • والاخلاص لا يعمله الا الله سبحانه وتعالى •••

ومن أجل ذلك ينهى لأغنياء المجتمع الاسلامي أن يظلموا يحاسبون

أنفسهم محاسبة دقيقة • ويجردوا انفاقهم في سبيل الله من المن والأذى

وطلب السمعة والرياء • ويبادروا الى هذا العمل الذي ينظم اقتصاد

المجتمع الاسلامي تنظيما محكما يخبطه المجتمعات المعاصرة • ويؤجرون

عليه بأضمافا مضاعفة في الآخرة •••• فقال الله تعالى :

(١) متفق عليه • واللفظ لمسلم : ٧ / ١٢١ - ١٢٢ •

(٢) سورة الأنعام : الآية : ١٦٠ •

(( مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة  
أنهت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف  
لمن يشاء ، والله واسع عليم . الذين ينفقون أموالهم في  
سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم  
هد ربهم ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون ))<sup>(١)</sup>

٥ - ومن جهة أخرى علم الفقهاء ألا يبقوا متطلعين الى ما يساعدهم الأغنياء  
من أموالهم ، ، ، وخشيم على اختيار العمل ، إذ أن العمل هو  
السبب لتحصيل الرزق ، وهو الذي يحفظ كرامتهم ، فلا يذلوها بمسد  
أيدي السؤال ، ويختاروا ( يختاروا ) حياة التمف . . . .

- فقال الله سبحانه وتعالى :

(( هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها  
وكلوا من رزقه ))<sup>(٢)</sup>

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يديه  
وأن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يديه<sup>(٣)</sup>

- وقال صلى الله عليه وسلم :

" والذي نفسى بيده ، لأن يأخذ أحدكم حبله ، فيحطب على  
ظهره خيره من أن يأتي رجلا فيسأله ، أعناؤه أو منعه .<sup>(٤)</sup>

(١) سورة البقرة الآيتين : ٢٦١ - ٢٦٢

(٢) سورة الملك : الآية : ١٥

(٣) رواه البخاري : ٤ / ٣٠٣

(٤) متفق عليه ، واللفظ للبخاري : ٣ / ٣٣٥



— وقال عليه الصلاة والسلام :

” لاتزال المسألة بأحدكم حتى يلقي الله وليس نسي  
وجهه مزرعة لحم“<sup>(١)</sup>

— وقال صلى الله عليه وسلم :

” اليد العليا خير من اليد السفلى ، واليد العليا :  
المنفقة ، والسفلى : السائلة“<sup>(٢)</sup>

— وعن عوف بن مالك الأشجعي — رضى الله عنه — قال :

” كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : تسعة ، أو  
ثلثية ، أو سبعة ، فقال : ألا تبايعون رسول الله — ؟  
وكنا حديث عهد بهيمته ، فقلنا : بايعناك يا رسول  
الله . ثم قال : ألا تبايعون رسول الله — ؟ فقلنا : قد  
بايعناك يا رسول الله . ثم قال : ألا تبايعون رسول الله — ؟  
قال : فبسطنا أيدينا ، وقلنا : قد بايعناك يا رسول الله  
فعلام نبايعك — ؟ قال : على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به  
شيئا ، والصلوات الخمس ، وتطيئوا ( وأسر كلمة خفيفة ) ، وألا  
تسألوا الناس شيئا . فلقد رأيت بعض أولئك نفر ، يسقط سوط  
أحدهم ، فما يسأل أحدا ، يناوله إياه .“<sup>(٣)</sup>

(١) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ٧ / ١٣٠  
(٢) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ٧ / ١٢٤  
(٣) هو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي ، كان يكنى : أبا عبد الرحمن ،  
أو أبا حماد ، أو أبا عمرو — على اختلاف الروايات — أول مشاهدته خير  
سكن الشام ، وتوفى بدمشق سنة ثلاث وسبعين  
( أنظر : ابن الأثير : أسد الغابة : ٤ / ٢١٢ )  
(٤) رواه مسلم : ٧ / ١٣٢

وهكذا قوم الاسام جميع جوانب حياة الانسان الاقتصادية ،  
فعلى كل مسلم أن يراقب مكاسبه ، يجتنب المحرم والمشتبهات ، كما  
يجب عليه أن يكون حكيما في انفاق المال ، فلا يسرف ، ولا يبخل  
وان كان غنيا فعليه أن يراعى مصالح الفقراء والمساكين بزكواته  
وصدقاته ، بل يبذل في المحيى عن الفقراء المستحقين ، لينفق  
عليهم وينال بذلك فضل الانفاق في سبيل الله ، الذى اهتمت بذكره  
الآيات القرآنية والآحاديث النبوية . . . . . وان كان فقيرا ، فليكن  
أهيا متحفظا ، وليتمس طرق المعاش الشريف ولو بالاحتساب مسن  
الجمال ، وليجتنب السؤال ، ولا يقبل الصدقات الا مضطرا ، وفى  
حدود اضطراره فحسب .

## ٨ - العلم والتعليم :

المميزة الثامنة من مميزات المجتمع الاسلامي المهمة : العلم والتعليم  
ولم تظهر رسالة الاسلام الا والعلم ينفرد بها من جوانبها ، واهتم الاسلام  
اهتماما بالغيا بالعلم ، اذا استعمل القرآن الكريم كلمة " العلم " ومشتقاتها  
أكثر من سبعمائة مرة <sup>(١)</sup> . وأول وحى نزل على رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، كان يحل في ثناياه ذكر العلم والتعليم بالقلم :

— فقال الله سبحانه وتعالى :

(( اقرأ ، باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق .

اقرأ ، وربك الاكبر . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما

لم يعلم . )) <sup>(٢)</sup>

— وأنزل بعده <sup>(٣)</sup> :

(( ن . والقلم وما يسطرون . )) <sup>(٤)</sup>

— وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

" طلب العلم فريضة على كل مسلم " <sup>(٥)</sup>

(١) أنظر : محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : مادة : العلم

(٢) سورة العلق : الآيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٥

(٣) أنظر السيوطي : الاتقان في علوم القرآن : ٤٢

(٤) نود أن نشير - بهذه المناسبة - الى ما كتبه العلامة الامام ابن القيم رحمه

الله عن العلم والقلم ، في كتابه " التبيان في أقسام القرآن " ، فقد أورد

- رحمه الله - بحثا قيما دقيقا يقوى الايمان وينغذى الوجدان . . . . .

( انظر : من ص ١٢٦ الى ١٣٧ ) .

(٥) مسند الامام أبي خنيفة : كتاب العلم

وابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله : ١ / ٧

وهناك نوعان للعلم ، نستطيع أن نعبر عنهما :

١ - بعلم الأشياء .

٢ - علم خالق الأشياء .

- فعلم الأشياء :

هو العلم الذى يبحث فيه عن الأشياء الموجودة فى هذه الخليقة ، وعن

حقائقها وخصائصها . . . . . فجميع أنواع علم الكون والحياة يقال لها :

" علم الأشياء "

- وعلم خالق الأشياء :

هو علم الأديان ، العلم الذى يصل الانسان الى معرفة رب العالمين

ويقربه به ، وهو الذى خلق الأشياء بأجمعها فى الكائنات ، . . . . .

فعلم الكتاب والسنة ، وعلم العقائد والعبادات ، كلها تدخل فى هذا

النوع للعلم .

- وأشار الله سبحانه وتعالى الى " علم الأشياء " بقوله :

(( وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة فقال :

أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك

لاعلم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم . ))<sup>(١)</sup>

- وأشار سبحانه الى " علم خلق الأشياء " بقوله :

(( ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات

(١) سورة البقرة : الآيتين : ٣١ - ٣٢

مختلف ألوانها ، ومن الجبال جدد<sup>(١)</sup> بيض وحمير مختلف ألوانها  
وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه  
كذلك ، انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله  
عزيز غفور<sup>(٢)</sup> .

والفضل للعلم الذى يوصل الانسان الى معرفة ربه تعالى ، سواء  
حصل ذلك من علم الأشياء أو علم الأديان . . . . . والمهم فى الاسلام أن يكون  
العلم نورا ينير أمام الانسان الطريق الذى يوصله الى ربه ، فاذا حصل  
هذا من علم الأشياء فهو المطلوب .

وليس هناك أى تباعد - فى الحقيقة - بين العلمين ، لأن علم  
الأشياء ، اذا دارسه الانسان بفكره السليم ، لن ينكر رب الكائنات ،  
بل يصبح ايمانه - فى بعض الأحيان - برب العالمين أقوى وأرسخ  
من ايمان الدارس لعلم الأديان ، اذ أن الثانى عرف ربه بمجرد ايمانه

---

(١) الجدد : جمع جدة : وهى الطريق . والغرابيب : جمع  
غريب : الشديد السواد الذى يشبه لونه لون الثراب . والمعنى  
أن الله سبحانه أخبر عن جدد الجبال ، وهى : طرائقها أو الخطوط  
التي فيها . بأن لون بعضها : البياض ، ولن بعضها : الحمرة ،  
ومن الجبال غرابيب على لون واحد وهو : السواد .  
( أنار : الشوكاني : فتح القدير : ٣٤٧/٤ - ٣٤٨ )

(٢) سورة فاطر : الأيتيم : ٢٧ - ٢٨

بما قرأه في الكتب المختصة ، وقد يكون ايمانه قويا ، وقد يكون ضعيفا ،  
ولكن الأول وصل الى معرفة ربه سبحانه وتعالى عن طريق مشاهداته في الاشياء ،  
ما أودعه الله تعالى فيها من العجائب التي تحير النفوس وتدهش العقول  
فمن الطبيعي جدا أن يكون ايمانه قويا ، ومن أجل ذلك حض القرآن الكريم  
الانسان على التفكير فيما خلقه الله في هذا الكون . . . فقال تعالى :

(( ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار  
آيات لاولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا  
وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ، ربنا ما  
خلقت هذا باطلا سبحانه ، فقنا عذاب النار ))<sup>(١)</sup>

ومما لا ريب فيه أن الأشياء ، تدل على خالقها بصورة مباشرة  
وحقائق الأشياء تبرز عظمتة ربها وخالقها . . . كما قال الشاعر :

وفي كل شيء له آية . . . تدل على أنه واحد  
وعلم الأشياء وسيلة كبيرة لاهتداء الانسان الى طريق يوصله الى ربه ،  
ولذلك استدل القرآن الكريم على وحدانية الله تعالى ، وعلى وجوده سبحانه  
بالأشياء الموجودة في هذا الكون ، والآيات القرآنية عديدة . . . منها :

— قوله سبحانه وتعالى :

(( نحن خلقناكم فلولا تصدقون . أفأرأيتم ما تمنون .  
أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون . نحن قدرنا بينكم

الموت وما نحن بمسبوقين • على أن نهدل أمثالكم وننشئكم  
 في ما لا تملسون • ولقد علمت النشأة الأولى فلولا تذكرون  
 أفرايتم ما تحرثون • أأنتم تزرعونه أم نحن السرايعون  
 لو نشأ لجمالنا حطاما <sup>(١)</sup> فظلمت تفكهنون • أنا لمفهومون  
 بل نحن محومون • أفرايتم الماء الذي تشربون • أأنتم  
 أنزلتموه من المزن <sup>(٢)</sup> أم نحن المنزلون • لو نشأ لجمالنا  
 أجاجا <sup>(٣)</sup> فلولا تشكرون • أفرايتم النار التي تورون • أأنتم  
 أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون • نحن جعلناها تذكرة  
 ومتاعا للمقوين <sup>(٤)</sup> • فسيح باسم ربك العظيم • <sup>(٥)</sup>

(١) حطاما : أى متحطما متكسرا ، والحطام : الهشيم الذى لا ينفع به  
 ولا يحصل منه حب ولا شئ •

(٢) تفكهنون : أى تتمجبسون فيما نزل بكم فى زرعكم •

(٣) المزن : أى السحاب •

(٤) الأجاج : الماء الشديد الملوحة الذى لا يمكن شربه •

(٥) تورون : تستخرجونها بالقدح من الشجر الرطب ، يقال : أوريت  
 النار : اذا قدحها •

(٦) المقوين : المستتمين بالنار من الناس أجمعين فى الطبخ والخبز  
 والاصطلاء والاستضاءة •

( انظر : لهذه المعانى : الشوكانى : فتح القدير : ١٥٧/٥ - ١٥٨ )

(٧) سورة الواقعة : الآيات : من ٥٧ الى ٧٤ •

— وتوله جلت قدرته :

(( أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها  
ومالها من فروع ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي<sup>(١)</sup>  
وأنبثنا فيها كل زوج بهيج ، تبصروه وذكرى لكل عبد  
منيب ))<sup>(٢)</sup>

والمستوى الرفيع الذى عينه الاسلام للعلم هو : معرفة الله سبحانه  
وتعالى ، وطاعته فى كل أوامره ونواهيه ، فالانسان الذى يعرف ربه ،  
ويطيع أوامره ، ويكف عما نهاه عنه ، ويخشاه فى سره وعلايته ، يعتبر  
علما فى الاسلام ، والذى لا يعرف ربه ، ولا يطيع أوامره ، ولا يكف  
عما نهاه عنه ، ولا يخشاه فى سره وعلايته ، يعتبر جاهلا فى  
الاسلام مهما ارتفع شأنه فى ادراك حقائق الأشياء وعلمها .....  
وقد صرح بذلك كتاب الله تعالى فقال :

(( أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر  
الآخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوى الذين يعلمون<sup>(٣)</sup>  
والذين لا يعلمون ، انما يتذكر أولوا الألباب ))<sup>(٤)</sup>

— وقال سبحانه وتعالى :

(( وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ))<sup>(٥)</sup>

(١) رواسى : جمع راسية : الجبال الثوابت

( انظر : الشوكانى : فتح القدير : ٥ / ٧٢ )

(٢) سورة ق : الآيات : ٦ - ٧ - ٨

(٣) سورة الزمر : الآية : ٩

(٤) سورة المنكبوت : الآية : ٤٣



والمجتمع الاسلامي يؤكد الجانبين من العلم ، فاذا اوجب على المسلم أن يتعلم ما يضمن نجاحه في الآخرة من علم الكتاب والسنة والمعتقد السليمة وأحكام العبادات والمعاملات ، لم يصرف نظره عن حص المسلم على تحصيل علم الأشياء<sup>(١)</sup> ، لأن هذا الجانب من العلم قد يكون مساعدا كبيرا لمصلحته الدعوية ، وقد يكشف أمامه آفاقا من الحقائق والمعارف ، ويفتح عليه أبوابا من العجائب والبدائع ، ويتيح ما يقويه في سيادته للعالم ، وافادته من ذخيره المكتونة . . . . . ويشير الى ذلك قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :

” الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو

أحق بها ” .<sup>(٢)</sup>

(١) قال المجتهد المحدث ابن عبد البر : ” ومن الضروري أيضا علم الناس أن في الدنيا مكة والهند ، ومصر ، والصين ، وبلدانا عرفوها ، وأما قد خلت . . . . . والمعلوم عند جميع أهل الديانات ثلاثة : علم أعلى ، وعلم أسفل ، وعلم أوسط . فالعلم الأعلى عندهم : علم الدين الذي لا يجوز لأحد الكلام فيه بخير ما أوله الله في كتبه وعلى السنة أنبيائه . صلوات الله عليهم حنفا ، والعلم الأوسط : هو معرفة علوم الدنيا التي يكون معرفة الشيء منها معرفة نظيره ، ويستدل عليه بجنسه ونسبه كعلم الطب والهندسة . والعلم الأسفل : هو أحكام الصناعات وضروب الأعمال ، مثل : السياحة والفروسية ، والزي والتزييق والخط وما أشبه ذلك من الأعمال التي هي أكثر من أن يجمعها كتاب أو يأتي عليها وصف ، وإنما تحصل بتدريب الجوارح فيها ”

( جامع بيان العلم وفضله : ٢ / ٣٧ )

(٢) رواه الترمذى : ٧ / ٤٥٨ .

بل أوجب عليه - على الكفاية - تحصيل هذه العلوم اذا كانت

الدعوة تقضيها . . .

- فقال الله تبارك وتعالى :

(( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل مترهبون

به عدوا لله وعدوكم ، وآخوين من دونهم لاتعلمونهم ، الله

يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم

لاتظلمون . ))<sup>(١)</sup>

- وقال عقبة بن عامر<sup>(٢)</sup> - رضي الله تعالى عنه - :

" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر

يقول : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ألا إن القوة

الرمي ، ألا إن القوة : الرمي ، ألا إن القوة : الرمي<sup>(٣)</sup>

فالرمي كان قوة قوية في الحرب ، في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

فحضر عليه . كما ضرب الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم المثل لأئمة باقتباس

بعض أساليب الحرب والدفاع مما لم تكن تعرفه العرب ، فحضر الخندق<sup>(٤)</sup>

---

(١) سورة الأنفال : الآية : ٦٠

(٢) هو : عقبة بن عامر بن عجم بن عمرو الجهني الأنصاري ، أسلم بالمدينة

وشهد فتوح الشام ، هو كان البريد الى عمر - رضي الله عنه - بفتح

دمشق . كان أحسن الناس صوتا ، كان من أصحاب معاوية - رضي الله

عنهما - ولي له مصر ، وتوفي بها ستة ثمان وخمسين .

( أنظر : ابن الأثير : أسد الغابة : ٤ / ٥٣ - ٥٤ )

(٣) رواه مسلم : ١٣ / ٦٤

(٤) أنظر : ابن هشام : سيرة النبي : ٣ / ١٦٨

فى غزوة الأَحزاب ، وكان ذلك اسلوبا من أساليب الدفاع عند الفرس ، وكذلك  
استعمل المنجنيق فى غزوة الطائف ، وقيل : هو أول منجنيق روى به <sup>(١)</sup>  
فى الاسلام ، وكان أرشد اليه سلمان الفارسى - رضى الله عنه - كما أمر  
صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت الأنصارى - رضى الله عنه - بتعلم اللفظة  
السريانية <sup>(٢)</sup> ليكون بذلك مطلقا على ما كان يجرى بين اليهود من المؤامرات  
وهكذا ترك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لأمته أمثلة تقدر  
أن تتأسى بها فى اقتباس الأساليب الجديدة ، والأسلحة الحديثة فى  
حروبها ودفاعها فى كل زمان ومكان .

وقد فسّر المفسرون " القوة " : بما يتقوى به فى الحرب من  
أنواع السلاح <sup>(٣)</sup> . . . . . فإذا أصبحت علوم الأشياء من العلم ، والطب ،  
والرياضيات ، والهندسة ، والكيمياء ، والفيزياء ، والاقتصاد ، وما إلى  
ذلك بما يتقوى به فى الحرب ، سواء كانت الحرب حامية أو باردة <sup>(٤)</sup>  
أو حرب الأعصاب <sup>(٥)</sup> . . . . . وجب على المسلم - على الكفاية - تحصيل هذه

(١) أنظر : ابن هشام : سيرة النبى : ٤ / ١٤٩

أنظر : ابن كثير : السيرة النبوية : ٣ / ٦٥٨

أنظر : الحلبي : السيرة الحلبية : ٣ / ١٣٤

(٢) أنظر : الترمذى : الجامع : ٧ / ٤٩٧

(٣) أنظر : الشوكانى : فتح القدير : ٢ / ٣٢٠

(٤) الحرب الباردة : هى حرب تتصارع فيها الدول من غير أسلحة .

(٥) حرب الأعصاب : هى الحرب التى تعتمد على فنون الدعاية والمؤامرات .

المسلمون ليتفوق به على أعدائه ، ويستفيد منها في سبيل دعوته ، ولو قصر المسلمون جميعا في أداء هذا الواجب ، فاضحلت الدعوة في شق طريقها ،  
 حاسبهم الله جميعا <sup>(١)</sup> .

(١) كان لهذا الحكم الشرعي : - " وأعدوا لهم ما استطعتم " - وما إليه من تعاليم الإسلام ، أثره البالغ في ازدهار الحضارة الإسلامية ، فصار ان اتصل المسلمون بالأمم الأخرى ، حتى أقبلوا على ما عندها من علوم ومعارف ، وترجمونها الى اللغة العربية ، وبصحوتها ، وبضيفون إليها الكثير من قرائحهم ، وما ولد على أيديهم وبجهودهم المبقرية تلك الحضارة الإسلامية الباذخة ، التي كانت - كما نعلم - من أجل مصادر الحضارة الغربية المعاصرة .

وان كان لنا ما نقوله بهذه المناسبة في ترجمة المسلمين علوم الأوائل ، فهو : اننا نتمنى ، لو أنهم اقتصروا على ترجمة ما يسمى اليوم بالعلوم ( Sciences. ) كالرياضيات ، والفيزياء ، والكيمياء ، وما يتبعها من طب وصيدلة ، الخ ، ثم اننا نتمنى - أيضا - لو نظم الاشتغال بهذه العلوم الكونية المترجمة و " المكتشفة " بحيث لا يتولاه الا الذين أوتوا - الى جانب استعداد معين - القدر الكافي من التربية والتكوين الاسلاميين ، اذن لضمنا المزيد من التماسك والتجانس في تاريخ المسلمين الفكري . . . .

وما أجد رنا ، بأن نحفظ بما مضى ، فننظم - الآن - الأخذ من الضرب بعد أن أخذوا منا الكثير ، ونقصر على العلوم التطبيقية ونتائجها ، ثم نولس الاشتغال بهذه العلوم من أبناءنا من أوتوا - الى جانب الشروط الموضوعية المعروفة - حظا كافيا من المعرفة بدينهم ، والتمثل له ، والقدرة على النظر الى الأمور من خلال الموازين والقيم الإسلامية . . . . . ولا شك ان هذا المطلب جليل الخطر ، وعليه يتوقف مستقبل أمتنا الحقيقي ، وهو يستدعى - في الحقيقة - إعادة النظر في نظم التربية والتعليم القائمة في العالم الاسلامي جميعا . .

ولقد رفع الله سبحانه وتعالى منزلة العلماء الى حد لا حد فوّه حيثه  
ذكورهم قارنا! يا هم بنفسه وملائكته في الشهادة بوحدانيته تعالى ، فقال :

(( شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم

قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ))<sup>(١)</sup>

فالمجتمع الاسلامي - على كل حال - مجتمع علم وحضارة ، وحريص  
على أن يصير أعضاؤه مضطلمين بأعباء العلوم ، علوم الدين ، وعلوم الكون  
والحياة ، ، ، ، ، ، وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل العلم ، وحسبنا  
ذكر بعضها فيما يلي :

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" لا حسد الا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلط  
على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو  
يقضى بها ويعلمها ."<sup>(٢)</sup>

- وقال صلى الله عليه وسلم :

" يا أبا ذر ! لأن تغدو ، فتعلم آية من كتاب الله خير  
لك من أن تصلي مائة ركعة ، ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم  
عمل به اولم يعمل ، خير لك من أن تصلي ألف ركعة ."<sup>(٣)</sup>  
وقال :

" يا عائشة ، ليكن شعارك العلم والقرآن ."<sup>(٤)</sup>

---

(١) سورة آل عمران : الآية : ١٨

(٢) متفق عليه ، واللفظ للخيارى : ١ / ١٦٥

(٣) رواه ابن ماجه : السنن : ١ / ٧٩

(٤) مسند الامام أبي حنيفة : كتاب العلم .

٩ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعار هذه الأمة الوسط ووظيفة جوهرية

لها ، وهي دعامة مركزية من دعائم المجتمع الاسلامي . . . . .

- قال الله تبارك وتعالى :

(( كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون

عن المنكر وتؤمنون بالله . ))<sup>(١)</sup>

- وقال تعالى :

(( ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف

وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ))<sup>(٢)</sup>

- وقال سبحانه وتعالى :

(( والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون

بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة

ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، ان الله

عزيز حكيم . ))<sup>(٣)</sup>

- وقال جل شأنه :

(( والمصر ، ان الانسان لفي خسر . الا الذين آمنوا

وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ))

---

(١) سورة آل عمران : الآية : ١١٠

(٢) سورة آل عمران : الآية : ١٠٤

(٣) سورة التوبة : الآية : ٧١

فالتواصي بالحق : معنى شامل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(١)</sup>  
 ويدل على أهمية هذا المعنى ما روى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ، أن الرجلين منهم كانا كلما التقيا ، لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على  
 الآخر بسورة المصير<sup>(٢)</sup> .

ولا شك ، عمل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ، معلم من  
 معالم الدعوة الإسلامية ، وعلى الأمة الإسلامية أن تقتدى بهم ٠٠٠ وعلى أفراد  
 المجتمع الإسلامي أن يعرفوا حق المعرفة ، أن من واجبهم : الأمر بالمعروف  
 والنهي عن المنكر - على قدر طاقتهم ومن خلال اختصاصهم - كما يجب  
 على كل فرد من أفراد المجتمع ، أن ينصح أخاه المسلم ، فيحسه على المعروف  
 وإذا رآه في منكر نهاه عنه بالنصح والحكمة ، وباللين والمجبة ، وإذا رأى  
 اصراره على المنكرات وعدم مهالاته بنصيحة الناصحين ، أبلغ خبره الى هيئة  
 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، التي من واجب الدولة الإسلامية أن تشكلها  
 للقيام بهذه الوظيفة المهمة ٠٠٠٠ وعلى الهيئة ألا تقصر في تأديب ذلك  
 المدين في المنكرات ، مهما كانت منزلته رفيعة في المجتمع ٠٠

ومما يبدو لنا أن ابلاغ الخبر الى هيئة الأمر بالمعروف يدخل في  
 حكم تفسير المنكر باليد واللسان ، الذي أشار اليه الرسول الكريم  
 صلى الله عليه وسلم بقوله :

---

(١) أنظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٥٤٨  
 أنظر : الشوكاني : فتح القدير : ٥ / ٤٩٢  
 (٢) أنظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٥٤٧  
 أنظر : الشوكاني : فتح القدير : ٥ / ٤٩١

" من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع  
فبلسانه ، وان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان <sup>(١)</sup> "

وعدم ابلاغ الخبر الى المسئولين ، والسكوت على ارتكاب المنكر ، واستنكاره  
بالقلب فقط من أضعف منزلة الايمان ، وليس بعده الا منزلة وقوعه في ذلك المنكر  
ولو حدث هذا - لا قدر الله - فقد هلك وأهلك وفى الحقيقة يدخل الفساد  
فى المجتمع من مثل هذه التلمة فيصعد ويصعد حتى يدخل أوساط الحكم  
... ولقد أشار الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم الى هذا فقال :

" مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم  
استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم  
أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا  
على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيتنا خرقا ، لم  
نؤذ من فوقنا ، فان يتركوهم وما أرادوا ، هلكوا جميعا  
وان أخذوا على أيديهم نجوا ، ونجوا جميعا . " <sup>(٢)</sup>  
- وقال صلى الله عليه وسلم :

" ما من بعثه الله فى أمة قبلى الا كان له من أمته حواريون  
وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف من  
بعدهم خولف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ،

---

(١) متفق عليه ، واللفظ لسلم : ٢ / ٢٢ و ٢٥

(٢) رواه البخارى : ٥ / ١٣٢



فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل .<sup>(١)</sup>

- وقال عليه الصلاة والسلام :

" والذي نفسى بيده ، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر وليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، فتدعونه ، فلا يستجيب لكم ."<sup>(٢)</sup>

- وعن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال :

" جمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أربعمون ، قال عبد الله : فكننت آخر من أتاه ، فقال : انكم مصيبون ، ومنصورون ، ومفتوح لكم ، فمن أدرك ذلك منكم ، فليتق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر ، ومن كذب على ممتدا فليتبوا مقعده من النار ."<sup>(٣)</sup>

---

(١) رواه مسلم : ٢ / ٢٧

(٢) رواه الترمذى : ٦ / ٣٩١

(٣) رواه أحمد : المسند : ٥ / ٢٣٧ ( تحقيق محمد أحمد شاكر )

١٠ - الحيطة البالغة في العلاقات :

ان علاقة الأمة الاسلامية بالأمم الأخرى : علاقة دعوة وارشاد ، فمن سمات المجتمع الاسلامي : الحيطة البالغة في هذه العلاقة ..... ألم تر أن الله ورسوله قد حددا لهذه العلاقات حدودا يجب على الأمة أن تلتزمها فالموقف حرج ودقيق جدا ، والافراط أو التفريط فيه ربما يخرج الأمة عن كيانها الدعوي ، ونريد أن نشير - بإيجاز - فيما يأتي الى نوعيئة هذه الحدود ، وإلى دقة هذه العلاقة :

هناك نا حيتان مهمتان لهذه العلاقة ، وهما : الموالاة

والمصاراة .

فالموالاة : عبارة عن الولاء والمحبة فيما بين الناس من

صميم القواد ، وهي خاصة بالمسلمين فحسب ، فلا يسمح

لأفراد المجتمع الاسلامي - في ظل من الأحوال - أن

توثق بينهم وبين الكفار والمشركين علاقة الموالاة .....  
فقال الله تعالى :

(( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون

المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ))<sup>(١)</sup>

---

(١) سورة النساء : الآية : ١٤٤ .

— وقال سبحانه وتعالى :

(( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى  
أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم  
ان الله لا يهدي القوم الظالمين . ))<sup>(١)</sup>

— وقال جل شأنه :

(( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء  
تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق  
يخرجون الرسول وأياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم  
جهادا في سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة  
وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد  
ضل سوا السبيل . ))<sup>(٢)</sup>

ان هذه العلاقة — المولاة — مهمة وحساسة جدا ، ولا يمكن أن يحافظ  
عليها بالضرب والتمزير ، ولا بالجبر والقوة ، ولا بالقنابل والأسلحة ، اذ ان  
مقرها القلب الانسانى ، ولا يحفظ على القلب الا بتقوى الله ، وارساخ معانى  
الاسلام السامية فى أعماقه ، ولا يحصل ذلك الا بعناية بالغة بروح تعاليم  
الدين الخفيف ، وممارسة جدية متواصلة بأحكام الشريعة الاسلامية ، وباحياء  
حب الله ورسوله فى صميم الفؤاد . . . . ولا شك ان هذه المهمة تحتاج الى  
جهد وتعب ، وقد قام بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فى أصحابه رضوان  
الله عليهم أجمعين ، وعبر القرآن المجيد مهمته هذا بكلمة "التزكية" فقال تعالى :

---

(١) سورة المائدة : الآية : ٥١

(٢) سورة المتحنة : الآية الأولى

(( هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم ))

آياته و يزكهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل

لفي ضلال مبين (١))

وكلما بعد الزمان عن خير القرون ، اشتدت حاجة التركيبة أشد منها في

الماضي ، والدولة الاسلامية لاتستطيع أن تحافظ على هذه العلاقة الدقيقة الا

بادءا وهذه النقطة الحساسة ، واختيار تدابير متنوعة تلائم عصرها وبيئتها وظروفها

ووسائلها .

(١) سورة الجمعة : الآية : ٢

(٢) لاتستطيع أن نضع النقاط على حروفها في هذا العدد ، اذ أن ذلك

يقضى تصنف رسالة مستقلة ، ونريد أن نشير - بايجاز - الى ناحية

مهمة في هذا المجال ٠٠٠٠ ألا ، وهي ناحية الابتعاك

ويجب على كل دولة اسلامية معاصرة أن تحافظ على طلبتها المبتعثين الى

بلاد أوروبا وأميركا بصفة خاصة ، اذ أن هناك أعداء الاسلام - وهم

شياطين الانس من تلاميذ الشيطان - بالمرصاد ، فهؤلاء الطلبة

من أجل عدم تسليحهم بسلاح " التصلب العقدي " وعدم تثقيفهم

الثقافة الاسلامية الحسنة ، وعدم معرفتهم المعنى الحقيقي للسؤال

ينخدعون بخدعهم ، ويقعون في مصائدهم ، فيسجل هؤلاء الشياطين

زلات اولئك الطلبة ، ثم يستغلونها بعد رجوعهم الى بلادهم

وتعيينهم على مناصب عالية ، بحيث يجبرونهم - في بعض الأحيان -

على أن يخونوا شعبهم وبلادهم ويمطوهم أسرار دولتهم الخفية ٠٠٠ فعلى

الدول الاسلامية ادراك هذا الخطر ، والخوض في معالجة هذه المشكلة ٠٠٠

ومن مجالستها : اقامة المهاجع الخاصة للطلبة المسلمين في أوروبا وأميركا

بحيث يشرف على تلك المهاجع علماء لهم براعة تامة في العلوم الاسلامية والثقافات

المعاصرة ، فيستطيعون حل مشكلات اولئك الطلبة النفسية والعلمية من ناحية

ويشرفون - من ناحية أخرى - على دراستهم ونشاطاتهم اشرفا يحمل في ثناياه

التدبر والحكمة ، والارشاد والتربية ، والتميز والنباهة ، والاتقان والتركية .

والمداواة : معناها : <sup>(١)</sup> السلاينة ، وخض الجناح للناس ولين الكلمة ،  
 وترك الاغلاظ لهم في القول <sup>(٢)</sup> ، ويجيز الاسلام اصطلاح هذه العلاقة مع غير  
 المسلمين في الطلقات الثلاث الآتية : -

أولا : دفع الضرر :

=====

وأشير الى ذلك في قوله تعالى : -

(( لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ،

ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ، الا أن تتقوا منهم

تقاة ، ويحذركم الله نفسه ، والى الله المصير . )) <sup>(٣)</sup>

ويستفاد من الآية الكريمة أنه يجوز اظهار الموالاة للكفار والمشركين

انهارا فقط اذ خلف على نفسه ، بدون أن يمكّن في قلبه مثل ذرة

من جهنم ولائهم . . . . . وتلك : هى المداواة .

قال الشوكانى <sup>(٤)</sup> رحمه الله :

• أخرج ابن جرير وابن المنذر ، وابن أبي حاتم من طرق عنه ، قال :

نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار ويتخذوهم وليجة من

دون المؤمنين ، الا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين ، فيظهرون

عليهم اللطف ويخالفونهم في الدين ، وذلك في قوله تعالى :

(( الا أن تتقوا منهم تقاة ))

(١) أنظر : ابن الأثير : النهاية : ١١٥ / ٢

أنظر : ابن منظور : لسان العرب : ٢٥٥ / ١٤

(٢) أنظر : ابن حجر : فتح الباري : ٥٢٨ / ١٠

(٣) سورة آل عمران : الآية : ٢٨

(٤) أنظر : فتح القدير : ٣٣٢ / ١

وروى عن عائشة - رضی اللہ تعالیٰ عنہا - قالت :  
 " ان رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال :  
 ائذنبوا له فلبئس ابن العشيرة ، أو يئس رجل العشيرة ،  
 فلما دخل عليه ألان له القول . قالت عائشة : فقلت : يا رسول  
 الله ، قلت له الذي قلت ثم أنت له القول - ؟ قال : يا عائشة  
 ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه ، أو تركه  
 الناس أتقاة فحشة " (١)

ثانيا : رجاء هدايتهم :

=====

اي يجوز مداراة الكفار والمشركين رجاء هدايتهم ، أى من أجل مصلحة  
 الدعوة ، وهذا الباب واسع جدا ، فكل ما صدر من النبي صلى الله  
 عليه وسلم وأصحابه - رضوان الله عليهم أجمعين - من مداراتهم  
 الكفار والمشركين ، يدخل تحت هذا الباب ، ولقد أشار الله سبحانه  
 وتعالى الى هذا النوع من مداراة الكفار والمشركين فى عدة آيات من

كتابه العزيز ، منها

- قوله تعالى :

(( أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم

بالتى هى أحسن ، ان ربك أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم

(٢)

بالمهتدين ))

(١) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٦ / ١٤٤

(٢) سورة النحل : الآية : ٢٥

— وقوله تعالى لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام :  
(( اذهبا الى فرعون انه طغى • فقولاه قولنا لعلنا  
يتذكرا ويخشى • ))<sup>(١)</sup>

— وقوله سبحانه وتعالى :  
(( ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن • الا الذين  
ظلموا منهم وقولوا آئنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم  
والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون • ))<sup>(٢)</sup>  
وتذكرهنا خبرين من الأخبار التى تدل على مداراة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم الكفار رجاء هدايتهم :

" عن أنس بن مالك — رضى الله تعالى عنه — قال :  
" ان غلاما ليهود كان يخدم النبى صلى الله عليه وسلم  
فمروض • فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم يصوده • فقال :  
أسلم • فأسلم • " <sup>(٣)</sup>

— وعن عائشة — رضى الله عنها — قالت :  
" دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فقالوا : " السام عليكم " • قالت عائشة : ففهمتها • فقلت :  
وعليكم السام واللعنة • قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : مهلا يا عائشة ! ان الله يحب الرفق فى الأمر كله •  
فقلت : أو لم تسمع ما قالوا — ؟ قال رسول الله : قد قلت : وعليكم <sup>(٤)</sup>

(١) سورة طه : الآيتين : ٤٣ — ٤٤

(٢) سورة العنكبوت : الآية : ٤٦

(٣) رواه البخارى : ١٠ / ١١٩

(٤) رواه البخارى : ١٠ / ٤٤٩

ثالثا : اكرام الضيف : -

=====

اكرام الضيوف من العادات العربية القديمة ، ولم يقتصر الاسلام على ابقاء هذه العادة الكريمة في المجتمع ، بل أمر باكرام الضيف ، مسلما كان أو كافرا الا أن المسلم من أجل حقوقه الأخرى ، يستحق هذا الاكرام أكثر من الكافر . . . . . وقد عد رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرام الضيف مما يقتضيه الايمان بالله وباليوم الآخر . . . . .

فقال صلى الله عليه وسلم :

" ومن كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليكرم ضيفه <sup>(١)</sup> "

ولا كرام الضيوف أخبار كثيرة في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ،

نذكر منها ثلاثة فقط : -

١ - عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه :

" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضافه ضيف وهو كافر

فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت ، فشرب

حلابها ، ثم أخرى ، فشربه ، ثم أخرى فشربه ، حتى شرب حلاب سبع شياه

ثم انه أصبح فأسلم ، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة

فشرب حلابها ، ثم أمر بأخرى فلم يستتمها ، فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : المؤمن يشرب في معنى واحد ، والكافر

يشرب في سبعة أمماء " <sup>(٢)</sup>

---

(١) متفق عليه : أنظر : مسلم : ١٨ / ٢

(٢) متفق عليه : واللفظ لسلم : ٢٥ / ١٤



٢ - جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ، فد خلوا عليه فسى المسجد ، وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر وحن وقت صلاتهم ، فتأموا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون متجهين الى المشرق ، وأراد الصلابة أن ينموهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوهم <sup>(١)</sup> وهذا من كمال حسن اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث ترك عمدة الصليب يصلون فى مسجده . . . . . وكان ذلك من غاية اكرامه للضيوف .

٣ - جاء وفد ثقيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم برئاسة عبد ياليل ، فد خلوا عليه وحيوه بتحيةة الجاهلية ، وضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبة فى ناحية المسجد ، وكان يبعث اليهم الطعام من عنده صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> .

ولا يجيز الاسلام مداراة الكفار والمشركين على حساب المصالح الاسلامية أبدا ، ويشير الى ذلك قول الله سبحانه وتعالى : -

(( بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء ، دون المؤمنين ، أيتنون عندهم العزة ، فان العزة لله جميعا ، وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ، ويستهبأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا )) <sup>(٣)</sup>

(١) انظر : ابن هشام : سيرة النبي : ٢ / ٢٤٠  
 (٢) انظر : ابن هشام : سيرة النبي : ٤ / ٢٤٠ - ٢٤١  
 (٣) سورة النساء : الآيات : ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠

ويستفاد من هذه الآيات الكريمة أن علاقة مداراة الكفار إذا أضحيت  
تضر مصالح الاسلام والمسلمين وجب أن تقطع فوراً بدون أى تردد وتذبذب  
كما تدل الآيات الكريمة على أن توثيق الصلة - ولو مداراة - مع  
الكفار ، وهم يهاجمون الاسلام ، ومبادئه ويستنهضون بها ، من شأن  
المنافقين ، ومصير المنافقين معلوم ..... ومن أجل ذلك يجب على  
المجتمع الاسلامى أن يكون حذراً جداً فى علاقته مع غير المسلمين ، ولا  
يجوز له أبداً أن يساوم الكفار على حساب القيم الاسلامية والمبادئ  
الدينية ....



فهذه عشر خصال من أهم مميزات المجتمع الاسلامى العقدى النبوى  
أوجده الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة ..... وهذا المجتمع  
- فى مميزات - من أهم دعائم الدعوة الاسلامية وحججها ، إذ أن الدعوة  
لا تثمر ولا تزدهر - كما ينهض - الا بوجود مجتمع مثالى دعوى  
على وجه الأرض يشهدا شهادة واقعية ملموسة ....

والدليل على ذلك ما حدث فى التاريخ الاسلامى فعلاً ، كلفنا يعلم أن  
المجتمع الاسلامى الذى أوجده الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم فى  
المدينة المنورة ، لم يستطع الناس أن يشاهدوا - عن كثب - خصائصه  
ومميزات ، وما تمتع به المجتمع من خلالها ، حوالى ست سنين ، وذلك  
من أجل حؤول قوى الطاغوت بينهم وبين هذه المشاهدة الثمينة ،  
بصورة الفزوات المعديدة على الدولة الاسلامية الفتية .... وبمجرد أن وقع

صلح الحديبية زالت المراحل عن طريق الوصول الى هذا المجتمع المثالي ،  
وكان فتح مكة تكملة لمكاسب صلح الحديبية ، وحدث بعد ذلك ما صوره  
القرآن الكريم في سورة النصر :

(( اذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخولون في ))

دين الله افواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره ، انه كان توابا ))

فدخول الناس في الدين افواجا ، كان بعد مشاهدتهم ثمرات هذا

المجتمع الياصرة عن كتب . . . . .

ومن ثم ندرك أنه يجب على الأمة الاسلامية أن تحافظ على هذا

المجتمع ومميزاته محافظة حذرة ، متأسكة ، كيما تسيير الدعوة سيرها

بقوة ونشاط ، ولا بد لهذه المحافظة من انشاء دولة اسلامية أصيلة

تنبثق من المجتمع وتحافظ على قيمه ومبادئه المحافظة المطلوبة ومن

أجل ذلك أسس رسول الله صلى الله عليه وسلم الدولة الاسلامية النبوية

وسوف نتكلم فيها في الفصل التالي :

## الفصل الثاني :

### الدولة الإسلامية النبوية

#### تمهيد :

أم المجتمع الإسلامي الدعوى الذي أوجده رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة - وقد تكلمنا فيه آنفاً - قام على أساس الاعتراف بطبائع الأشياء التي فطر الله الحياة عليها ٠٠٠٥ ومن ثم كان واقعياً بمعنى أنه بنى على سنن الله في الكون ، التي تقتضى إقامة الدول بضبط حياة الإنسان على ظهر هذا الكوكب على نحو يتيح لها تحقيق أهدافها الفطرية . ومن المعلوم أن الإسلام لقي - وما يزال يلقى - مقاومة عنيفة من الشيطان وجنوده ، الذين أصروا - وما زالوا يصرون - على الحؤول دون قيام مثل هذا المجتمع النموذجي ، مهماً كلفهم ذلك من جهد ٠٠٠٠٠ هنا اشتدت - وما تزال تشتد - حاجة المجتمع الإسلامي إلى دولة تنبثق من كيانه الإسلامي الخالص ، لتحرسه حراسة شاملة ، وتحمل رسالته وتؤدي أمانته ، وتحقق أهدافه على الصعيدين الداخلي والخارجي . ولم تكن هذه الحاجة بدعاً ، إنما هي تلقائية وفطرية ، لأنها من مقتضيات الاجتماع ، بل هي واجبة من حيث كونها من مقتضيات ما أسنده

(١) كما أسلفت قول العلامة ابن خلدون ، انظر : المقدمة : ١٤



الله تعالى الى هذه الأمة ا لوسط من مسئوليات ضخمة وأعباء ثقيلة ، نتيجة  
تكليفها المحافظة على روح الاسلام \* ودعوة الناس كافة الى ما جاء به من  
الهدى والحق ، والشهادة <sup>(١)</sup> بذلك أمام الله ...

وسؤيد ما قلناه أنفا شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فيقول :

\* يجب أن يعرف : أن ولاية أمور الناس من أعظم واجبات  
الدين ، بل لقيام للدين الابها ، فان بنى آدم لانتهم  
مصلحتهم الا بالاجتماع ، لطاجة بعضهم الى بعض ، ولا بد  
لهم عند الاجتماع من رأس ، حتى قال النبي صلى الله عليه  
وسلم : " اذا خرج ثلاثة في سفره فيؤمروا أحدهم " رواه  
أبو داود من حديث أبي سعيد وأبي هريرة - وروى الامام أحمد  
في المسند عن عبد الله بن عمرو ، أن النبي صلى الله عليه  
وسلم قال " لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الارض الا أمروا  
عليهم أحدهم " فأوجب صلى الله عليه وسلم تأمير الواحد  
في الاجتماع القليل المارض في السفر ، تبيها بذلك  
على سائر أنواع الاجتماع ، ولأن الله تعالى أوجب الأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يتم ذلك الا بقوة وامارة  
وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل ، واقامة الحنج

(١) وقد نقلنا قول العلامة المودودي رحمه الله في معنى الشهادة ، ...

والجمع والأعياد ، ونصر المظلوم ، وإقامة الحدود لا تتم  
إلا بالقوة والامارة ، ولهذا روى : " أن السلطان ظل الله  
في الأرض " ويقال : " ستون سنة من أمام جائر أصلح  
من ليلة بلا سلطان " والتجربة تبين ذلك ، ولهذا كان السلف  
الصالح كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما ، يقولون  
" لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان <sup>(١)</sup> "

---

(١) أنظر : السياسة الشرعية : ١٦٩ - ١٧٠

## البحث الأول :

الدولة تحافظ على المجتمع داخليا وخارجيا

وناءً على ما ذكرنا آنفاً أنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم دولته  
 " تحمى هذا المجتمع الفاضل من داخله وخارجه ، وقد أوحى الله سبحانه وتعالى  
 إليه أن يسأله قوة للدعوة تؤيدها ، وسلطانا يرد عنها الكيد والمعدوان ، ويزيل  
 العقبات عن طريقها . . . . . فقال جل وعلى :

(( وقل ربّ أدخلى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق  
 واجعل لى من لدنك سلطانا نصيراً ))<sup>(١)</sup>

(١) " واجعل لى من لدنك سلطانا نصيراً " اى اجعل لى من لدنك ملكا  
 وعزاً قويا ، وكأنه صلى الله عليه وسلم علم أنه لاطاقة بهذا الأمر الا بسلطان  
 فسأل الله سلطانا نصيراً ، وبه قال الحسن ، وقتادة ، واختاره ابن جرير ،  
 وقال ابن كثير : " وهو الأرجح ، لأنه لا بد مع الحق من قهر لمن عاداه  
 وناواه ، ولهذا يقول تعالى : (( لقد أرسلنا رسلنا بالبينات - الى قوله -  
 وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد )) الآية ، وفى الحديث : " ان الله ليزعج  
 بالسلطان ما لا يزعج بالقرآن " اى لينزع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش  
 والآثام ، ما لا ينعج كثيرا من الناس بالقرآن وما فيه من الوعيد الأكيد  
 والتهديد الشديد ، وهذا هو الواقع . "

( انظر : ابن جرير : جامع البيان فى تفسير القرآن : ١٥ / ١٠٢  
 انظر ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : ٣٩٦ / ٢ ) (اختصار وتحقيق :  
 محمد على الصابونسى)

( انظر : الشوكانى : فتح القدير : ٣ / ٢٥٢ )

(٢) سورة الاسراء : الآية : ٨٠



وعقد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تأسيس هذه الدولة الاسلامية الفتية معاهدة بين المسلمين ويهود يثرب ، يمكن أن نعتبرها دستورا لهذه الدولة الاسلامية في تلك المرحلة من مراحل نشوءها ، إذ أن كلمات الوثيقة لاتخص شؤون اليهود والمسلمين فحسب ، بل تشمل ما يهم المسلمين فيما بينهم . . . . كما أنها تصلح أن تدون كدستور - حسب المصطلح الحديث - موزع

الى البنود والمواد .

وقد اعتبرها بعض العلماء<sup>(١)</sup> أول دستور مكتوب في العالم ، يحصل عديدا من بنود دستورية احتفظ بها تاريخنا الزاهر ، ولا شك أن كلمات الوثيقة تحل معاني دقيقة تتحدث بلسان الطل ، بأن الذي أملاهها يتفوق مستواه العقلي أضمافا على مستوى العصر الذي كتبت فيه هذه الوثيقة وكيف لا - ؟ انها خرجت من لسان الوحي الذي لا ينطق بالهوى . . . . . واليك نص الوثيقة :-

بسم الله الرحمن الرحيم

- هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم ، وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس .

(١) هو الباحث الفاضل الدكتور محمد حميد الله صاحب الكتاب " الوثائق

السياسية " كتب بحثا علميا على ذلك الموضوع بعنلوان : " أول دستور مكتوب في العالم " ونشره في مجلة كانت تصدر في حيدرآباد دكن (الهند) في عام ١٩٢٩م ثم نشره في كتيبة باللغة الانجليزية باسم :

( The First Written Constitution in the World. )

• ووجهة نظره في المقال المذكور تستحق التقدير لها والعناية بها .

- المهاجرون من قريش على ربهتهم ، يتماقلون بينهم ، وهم يقدون  
عانيهم <sup>(١)</sup> بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
- ونوعوف على ربهتهم ، يتماقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة  
تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
- ونوالطارث على ربهتهم ، يتماقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة  
منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
- ونوساعدة على ربهتهم ، يتماقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة  
تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
- ونوجشم على ربهتهم يتماقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة  
منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
- ونوالنجار على ربهتهم يتماقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة  
منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
- ونوعروبين عوف على ربهتهم يتماقلون معاقلهم الأولى ، وكل  
طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
- ونوالنبيت على ربهتهم يتماقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة  
تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

---

(١) ربهتهم ، أو ربا عنهم : أى على استقامتهم ، على أمرهم الذى كانوا عليه  
من أحكام الديات والدماء .

( أنظر : ابن منظور : لسان العرب : ٨ / ١٠٧ - ١٠٨ )

(٢) عانيهم : أى أسيرهم ( أنظر : ابن منظور : المصدر نفسه : ١٥ / ١٠٩ )

- وينوا الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى طيبها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
- وان المؤمنين لا يتركون مفرحاً<sup>(١)</sup> بينهم أن يعطوه بالمعروف فسى فداء أو عقل .
- وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه .
- وان المؤمنين المتقين على من بنى منهم أو ابتغى<sup>(٢)</sup> دسيمة ظلم أو اثم أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين .
- وان أيديهم عليه جميعا ، ولو كان ولد أحدهم .
- ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن .
- وان ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناسهم .
- وان المؤمنين بعضهم مولى<sup>(٣)</sup> بعض دون الناس .
- وانه من تبعنا من يهود ، فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم .
- وان سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم .

---

(١) المفرح : المثل بالدين ، ورجل مفرح : محتاج مغلوب ، وقيل : فقير لامال له ، وفي الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يترك في الاسلام مفرح رى لا يترك في أخلاف المسلمين حتى يوسع عليه ويحسن اليه .  
( أنظر : ابن منظور : لسان العرب : ٢ / ٥٤١ )

(٢) يعنى يجب أن يتعاون المؤمنون على دفع كل من ابتغى ، أى طلب منهم عطية على سبيل الظلم والمدوان .

(٣) من الولاية : بمعنى : النصر ( انظر : ابن منظور : لسان العرب :

- وان كل غزوة غزت معنا يعقب بعضها بعضها <sup>(١)</sup> .
- وان المؤمنين يهتئ <sup>(٢)</sup> بعضهم عن بعض بما نال دماءهم فسى سهيل الله .
- وان المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه .
- وانه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ، ولا يحول دونه على مؤمن <sup>(٣)</sup> .
- وانه من اعتبط <sup>(٤)</sup> مؤمنا قتلا عن بينه ، فانه قود به الا أن يرضى ولسى المقتول .
- وان المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم الاقيام عليه .
- وانه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يسوييه .
- وانه من نصره أو آواه ، فان عليه لعنة الله ونضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .

- 
- (١) من التمتع : أن يعمل عملا من صلاة أو غيرها ، ثم يعود فيه مسن يومه ، يقال : عقب صلاة بعد صلاة ، وغزوة بعد غزوة . . . وفى حديث عمر : " أنه كان يعقب الجيوش فى كل عام " معناه : أنه يرد قوسا ويبحث آخرين يعاقبونهم ، يقال : عقب الخازية بأمثالهم وأعقبوا : اذا وجه مكانهم غيرهم .
- (انظر / ابن منظور : لسان العرب : ١ / ٦١٥ )
- (٢) من الهواة ، وهى المساواة ، يقال : ياء به اذا كان كقواله ، وهم براء أى أكفاء ( انظر : ابن منظور : لسان العرب : ١ / ٣٧ )
- (٣) أى لا يجوز لمشرك من أهل يثرب أن يحصى مالا لقريش ولا أن ينصرها على مؤمن
- (٤) أى قتله بلا جناية كانت منه ولا جريرة توجب قتله . . .
- ( انظر : ابن منظور : لسان العرب : ٧ / ٣٤٨ )

- وانكم ء صهبا اختلفتم فيه من شىء ء فان مردء الى الله عزوجل
- والى محصء صلى الله عليه وسلم •
- وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا مطربين (١) •
- وان يهود بنى عوف امة مع المؤمنين •
- لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ء موالهم وانفسهم ء الا من ظلم
- واثم ء فانه لا يوتغ (٢) الا نفسه واهل بيته •
- وان ليهود بنى النجار ما ليهود بنى عوف •
- وان ليهود بنى الطارث مثل ما ليهود بنى عوف •
- وان ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف •
- وان ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف •
- وان ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف •
- وان ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف •
- الا من ظلم واثم ء فانه لا يوتغ الا نفسه واهل بيته •
- وان جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم •
- وان انبى الشطيحة مثل ما ليهود بنى عوف •
- وان السمر دون الاثم •
- وان موالى ثعلبة كأنفسهم •

(١) يعنى يجب على اليهود المقيمين بالمدينة اذا هاجم عليها عدو من

الخارج أن يشاركوا فى نفقات الحرب مع المؤمنين •

(٢) يعنى لا يهلك الا نفسه ء الوتغ : بالتحريك : الهلاك •

( أنظر : ابن منظور : لسان العرب : ٨ / ٤٥٨ )

- وان بطانة يهود كأنفسهم •
- وانه لا يخرج منهم أحد الابأذن محمد صلى الله عليه وسلم •
- وانه لا ينحجز على ثار جرح<sup>(١)</sup> •
- وانه من فتك • فبنفسه ( فتك ) وأهل بيته • الا من ظلم •
- وان الله على أبر هذا •
- وان على اليهود نفقتهم • وعلى المسلمين نفقتهم •
- وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة •
- وان بينهم النصح والنصيحة • والبر دون الاثم •
- وانه لم يأثم امرؤ بحليفه •
- وان النصر للمظلوم •
- وان يشرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة •
- وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم •
- وانه لا تجار حرمة الابأذن أهلها •
- وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساد • فان مرده الى الله عز وجل • والى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم •
- وان الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره •

---

(١) يعنى أن ما كان من جرح أى هزيمة فى الجاهلية يجب نسيانه • فلا

يحصل المهزوم على الأخذ بثأره ممن هزمه •

- وانه لاتجار قريش ولا من نصرها •
- وان بينهم النصر على من دهم<sup>(١)</sup> يشرب •
- واذا دعا الى صلح يصالحونه ويلبسونه فانهم يصالحونه ويلبسونه •
- وانهم اذا دعا الى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين ء الا من حارب الدين •
- على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم •
- وان يهود الأوس ء موالهم وأنفسهم على مثل ما لاهل هذه الصحيفة من البر المحض من أهل هذه الصحيفة •
- وان البردون الأثم ء لا يكسب كاسب الا على نفسه •
- وان الله على اصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره •
- وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم •
- وان من خرج آمن ء ومن قعد آمن بالمدينة الا من ظلم أو آثم •
- وان الله جار لمن بر واتقى ء ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> •

---

(١) اى هاجمها من غير أهلها ء فيتناصر فى دفعه المسلمون واليهود  
• جميعا

(٢) أنظر : ابن هشام : سيرة النبي : ١٣٠/٢ - ١٣٤

ان هذه الصحيفة كانت مخطئا تمهيدا ذا نواح لوضع نظام دولة اسلامية طائفة ، فهي كانت تصميا رائدا لكل دولة - من عهده صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة - تريد وضع نظامها على اساس الاسلام . . . . كما كانت - من ناحية اخرى - طليعة لمعاهدات سلمية بين المسلمين وغيرهم ، ومن ناحية ثالثة : كانت اعلانا صريحا من جانب الاسلام بأنه رسالة سلام حقيقي وأنه لا يحمل السيف الا اذا اقتضت مصلحة الدعوة ، التي ملاك دولته . . . . . كما كانت - من ناحية رابعة - معالجة دقيقة نفاذة لتكوين المجتمع المثالي الجديد ، وحمل رسالته داخليا وخرجيا .

ولم يمض على قيام هذا المجتمع المقدي الا قليل من الزمن ، اذا هو يواجه هجمات من خارج مستقره وداخله ، وكان يقود الفزرو الخرجي قريش مكة ومن عندها من العرب ، وأما الفزرو الداخلي ، فكانت تتحرك من خلفه أصابع اليهود ، وأصابع عملائهم من المشركين والمنافقين ، ان هؤلاء اليهود ، تقربوا بتسرس المعاهدة مع المسلمين ، خوفا على أنفسهم من قوة المسلمين المتزايدة ، وحيويتهم المتعايدة فنجحوا في دس بذور النفاق في داخل مجتمع المسلمين . . . . . وظل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المشكلات ، بهصيرته النفاذة ، وعقليته النيرة في ضوء ما كان ينزل عليه من الوحي ، في فترة تمتد عشر سنوات .

أما الفزرو الخرجي ، فقاومه المسلمون بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل شجاعة وسالة ، وبصيرة عسكرية فائقة ، في ميدان بدر وسحقوا رؤوس الكفار وقتلوا أئمة الضلال . . . . . وعند سفق جهل أحد



ومن وراء الخندق في غزوة الأحزاب ، وفي غزوات أخرى ، وجها لوجه ،  
 أمام أئمة الطغاة وأعداء الدولة الدعوية ، وكذلك قام رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم هذا الغزو الخارجي في ساحة الحديدية ، بهرزا الطريق  
 السلي لا إزالة العقبات عن طريق الدعوة ، كما طالج القضية برسائل  
 سرايا عديدة بقيادة نفر من أصحابه ، رض الله عنهم أجمعين .

وما كان هدف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء هذه الأنشطة  
 الحربية الا شق الطريق للدعوة ، وصيانة المجتمع المقدى ، الذى أبرزه  
 للناس كافة كمجتمع مثالى دعوى . . . . . فكان مهما جدا أن تهاض قوة  
 قرىش الحربية ، وتحطم معنوياتها ، لأنها كانت خطرا كبيرا على وجود  
 مجتمع المدينة العقدى ( الدعوى ) ، كما كانت قوة تصد القبائل  
 التى تميش فى أنحاء شبه الجزيرة ، من أن تاتى الى عاصمة الاسلام  
 الأولى ، وتتظلم عن كتب الى ما أوجده هذا المجتمع الحديث العقدى  
 من حياة مستجمعة لمقومات الحياة بوحدهم ، المقدية الصحيحة ، وروابطه  
 الأخوية ، وما قدمه هذا المجتمع المثالى من مبادئ سامية الى  
 النوع البشرى ، ليشيد على أساسه كيانه ، وليفوز با تباعها فى دنياه  
 وأخرته ، ولتتم بذلك غاية خلقه فى هذه المعمورة .

ونذكر ههنا حديثا يحوى على وصايا النبى الكريم صلى الله  
 عليه وسلم ، التى كان يوصى بها أمراءه عندما يبعثهم فى السرايا  
 . . . . . وهذا الحديث الشريف يبرز لنا الضايات الدعوية التى كان يهدف

اليها الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم فى نشاطه الحرسى :

— عن سليمان بن بريدة <sup>(١)</sup> عن أبيه قال :

” كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر أميراً على جيش أو سرية ، أوصاه في خاصته بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : أغزوا ، باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، أغزوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا ، واذا لقيت عدوك من المشركين ، فادعهم الى ثلاث خصال — أو خلال — فأيتهم ما أجابوك <sup>(٢)</sup> ، فأقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى الاسلام ، فان أجابوك ، فأقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى التحول من ديارهم الى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك ، فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، فان أبوا أن يتحولوا منها ، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ، ولا يكون لهم في الغنمة والفيء شيء ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فان هم أبوا ، فسلمهم الجزية ، فان هم أجابوك ، فأقبل منهم وكف عنهم ، فان هم أبوا ،

(١) هو سليمان بن بريدة بن الحصيب الأسلمي المروزي ، تابعي ، ثقة

روى عن أبيه وعمران ابن حصين وطائفة رضى الله عنهم . وروى عنه خلق كثير ، ولد مع أخيه عبد الله توأماً في سنة ١٥ هـ وماتا في يوم واحد سنة

١٠٥ هـ ( ابن حجر : تهذيب التهذيب : ١٧٤/٤ — ١٧٥ )

(٢) أى فأى تلك الخصال قبلوها منك ، فأقبلها منهم . فما زائدة .

فاستمن بالله وقاتلهم ، واذا حاصرت أهل حصن ، فأرادوك  
أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله  
ولا ذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فانكم ان  
تخفروا ذمتكم وذم أصحابكم ، أهون من أن تخفروا ذمة  
الله وذمة رسوله ، واذا حاصرت أهل حصن ، فأرادوك أن  
تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن انزلهم  
على حكمك ، فانك لاتدرى ، أتصيب حكم الله فيهم أم لا - ؟<sup>(١)</sup>

وهذا الحديث - كما قلنا - يدل على أن غاية حروب المصطفى صلى

الله عليه وسلم ، هي : مصلحة الدعوة ، التي هي المصلحة الحقيقية للبشر  
كافة في العاجلة والآجلة . . . ولا غرو ، فالدولة في حقيقتها انما هي دولة  
دعوية ، يتبدى ذلك في شئونها كلها ، من حرب أو سلم ، أو تشريع أو تنظيم  
أو ما الى ذلك .

وأما الفزوا والداخلى . . . فلم يكن أقل خطرا من الفزوا الخارجى ،  
بل لعله كان أشد منه ، إذ أنه يكون - في غالب الأحيان - غزوا ممنويا ،  
يخفى حقيقته الهدامة المدمرة بقناع الرغبة في الإصلاح والبناء ، والاطلاص  
والوفاء . . . وقد أشير الى ذلك في قوله تعالى :

(( واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض ، قالوا ، انما نحن

مصلحون ، ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . ))<sup>(٢)</sup>

---

(١) رواه مسلم : ١٢ / ٣٧ - ٤٠

(٢) سورة البقرة : الآية : ١٢

ولا يدرك ما وراء هذا الستار المزخرف الا من وهبه الله قلبا سليما

وبصيرة نفاذة •

ويشتد خطر الفزرو الداخلى بصفة خاصة اذا كان وراءه مثل أصابع اليهود الخفية الماكرة ، الأمة التى لعنها الله تعالى لخشها وتمردها على تعاليمه عز وجل ، فنأصبت هذه الدعوة العداة ، ودبرت لها الدسائس والمكائد •

ومقاومة هذا الفزرو الرهيب تحتاج الى انتباه تام ويقظة كاملة ، وسؤهلات عظيمة ، وبصيرة نفاذة ، أكثر مما تحتاجه فى مقاومة الفزرو الخارجى ••••• فقاومت الدولة الاسلامية الفتية بامامة الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم هذا الفزرو الداخلى بكل مهارة وجدارة ، وأنشأت حصنا حصينا على كل نقطة حساسة كان من المحتمل أن تحدث فيها فجوة أو ثلمة يخلص منها فكر الماكرين الى هذا المجتمع الاسلامى الدعوى ونذكر فيما يلى بعض الجوانب المهمة ، مما اخاره الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من التدابير ، فى مقاومته هذا الفزرو الداخلى ، حفاظا على سلامة دولة الدعوة ومجتمعها •••

أ - الجانب الحضارى :

---

ان المجتمع الاسلامى الدعوى ، يحتاج أشد احتياج الى الاختلاط  
بالناس ، وتوطيد الروابط بالأمم الأخرى من أجل تحقيق أهدافه الدعوية ،  
وكان طبيعيا جدا أن يتأثر بحضارة تلك الأمم وثقافتها أثناء هذا الاختلاط  
وتمكين الروابط ، فيجد الباطل ثلثة يدخل منها فى داخل المجتمع ،  
ويطول طمس معالمه وافساد قيمه ، وخصوصا تحطيم دعامة مهمة من دعائم  
المجتمع ، ألا ، وهى : الحياطة البالغة فى العلاقات . . . . . ومن أجل ذلك  
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يخالفوا اليهود والنصارى  
عامّة ، وخصوصا فى طقوسهم الدينية ، وحذرهم التشبه بالكفار .

فقال صلى الله عليه وسلم :

” من تشبه بقوم فهو منهم <sup>(١)</sup> ”

— وقال عليه الصلاة والسلام :

” ليس منا من تشبه بخيرنا ، ولا تشبهوا باليهود ولا

بالنصارى ، فان تسليم اليهود : الاشارة بالأصابع

وتسليم النصارى : الاشارة بالأكف <sup>(٢)</sup> . ”

---

(١) رواه أبو داود : السنن : ٣١٤ / ٤

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فى اسناد هذا الحديث : ” وهذا  
اسناد جيد ، فان ابن أبى شيبة وأبا النضر ، وحسان بن عطية  
ثقات ، مشاهير أجلاء ، من رجال الصحيحين ، وهم أجل من أن  
يحتاجوا الى أن يقال : ” هم من رجال الصحيحين ”

( انظر : اقتضاء الصراط المستقيم : ٨٢ )

(٢) رواه الترمذى : ٤٧٢ / ٧ .

- وقال صلى الله عليه وسلم :
- " ان اليهود والنصارى لا يصفون ، فخالقهم <sup>(١)</sup> "
- وعن عبادة بن الصامت <sup>(٢)</sup> - رضى الله عنه - قال :
- " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتبع جنازة لم يقعد حتى توضع فى اللحد ، فمرض له جبر ، فقال <sup>(٣)</sup> : هكذا صنع يا محمد ! فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : خالفهم <sup>(٤)</sup> . "

- 
- (١) متفق عليه ، واللفظ لسلم : ٨٠ / ١٤
- (٢) هو : عبادة بن الصامت بن قيس بن أحمر الأنصارى ، الخزرجى ، كان يكنى : أبا الوليد ، شهد العقبة الأولى والثانية ، وكان وكان أحد نقباء الانصار ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يعلم أصحاب الصفة القرآن ، ومثله الفاروق مع ممان بن جهل وأبى الدرداء - رضى الله تعالى عنهم أجمعين - الى الشام ، ليعلموا الناس القرآن ويفقهوهم فى الدين . توفى بالرسالة سنة ٣٤ هـ .

- ( انظر : ابن سعد : الطبقات : ٣ / ٥٤٦ )
- انظر : ابن الأثير : أسد الغابة : ٣ / ١٦٠ - ١٦١ )
- (٣) جبر ( بالفتح والكسر ) : ظلم ، جمعه : أخبار ، والمراد ههنا ظلم من علماء يهود ( انظر : ابن الأثير : النهاية : ١ / ٣٢٨ )
- (٤) رواه ابن ماجه : السنن : ١ / ٤٩٣ .

— وقال عليه الصلاة والسلام :

” ظلّفوا المشركين ، احفوا<sup>(١)</sup> الشارب وأوفوا<sup>(٢)</sup> اللّحى<sup>(٣)</sup> ”

وهكذا صان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم شخصية الأمة الاسلامية من أن يخذلها أيما مؤثر حضارى أو ثقافى ، وأضح عليها بأقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم ، أنه يجب أن تبقى شخصيتها الاسلامية بارزة بجميع سماتها وخصائصها أمام المجتمعات الانسانية كمنارة تستضيئ بها تلك الحضارات والثقافات .

ومعنى منح التشبه بالكفار : الاجتناب<sup>(٤)</sup> الكامل طقوسهم الدينية بصفة خاصة ، وألا يتأثر المسلمون — تأثر تقليد واستسلام — بحضارة الكفار وثقافتهم ، لأن الحضارة : هى حضارة الاسلام ، والثقافة : هى ثقافة الاسلام ، والاسلام ، هو منبع الأخلاق والحضارة . . . قال الله جل وعلى :

---

(١) احفوا الشارب : اى بالفوا فى قصها ( انظر : ابن الأثير : النهاية ( ٤١٠ / ١ )

(٢) أوفوا : بمعنى : أعفوا : اى اتركوها وافية كاملة لاتقصوها . ( انظر النووى : شرح مسلم : ٣ / ١٥١ )

(٣) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ٣ / ١٤٧ .

(٤) لقد تكلم شيخ الاسلام ، الامام ابن تيمية — رحمه الله — فى هذا الباب كلاما شافيا مدعما بالأدلة والبراهين ، انظر كتابه : اقتضاء الصراط المستقيم ، مخالفة أصحاب الجحيم وخصوصا من ص ١٢ الى ص ٢١٠ .

(( صيغة الله ، ومن أحسن من الله صيغة ونحن له عابدون ))<sup>(١)</sup>

- وقال جلت قدرته :

(( هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره

على الدين كله ولو كره المشركون ))<sup>(٢)</sup>

فلا يسمح للمؤمن أن ينظر الى حضارة غيره وثقافته  
نظرة الاستكانة والتبعية ، اذ أن فيه نوعا من الخدش لشخصيته  
التي يريد الاسلام أن يراها عالية سامية ، و صافية نقية ، كما  
أنه من المحتمل أن تجد تلك الحضارات فجوة تدخل منها

---

(١) سورة البقرة : الآية : ١٣٨ .

(٢) سورة التوبة : الآية : ٣٣ .

سورة الصف : الآية : ٩ .



في داخل المجتمع الاسلامي هو تشريع عواصف الانحرافات والضلال الفكرى ، حتى  
 لاتسطيع تلك الدولة التي تحرس المجتمع ، أن تقاومها وتقف في وجهها<sup>(١)</sup>  
 وقد أشار الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم الى هذا الخطر الكبير ،  
 وحذر أمته منه ، لتكون متنبهة وواعية في كل لحظة وأن .

(١) نريد أن نجيب ههنا عن سؤال يرد تلقائيا على ما نقول ، وهو: أن  
 الأم التي اعتنقت الاسلام ، لها حضارات وثقافات تخص بيئتها وأقطارها  
 فمن المستبعد جدا أن ترفض تلك الأم ثقافتها بأسرها ، كما  
 أن اجبارها على رفض ثقافتها لا يلائم الطبيعة ، والاسلام دين  
 فطرة - ؟  
 والجواب بالاختصار :

أولا : لم يأمر الاسلام برفض ثقافة غيره بأسرها ، بل منع المسلم  
 عن قبول ثقافات تخدش كيانه الاسلامي ، وان لم يكن كذلك  
 فحكم الانتفاع بها يدور مع مصلحة الدعوة وجودا وعندما .  
 ثانيا : ان الاسلام يطلب ممن اعتنقه التخلي عن طقوسه الدينية  
 ... والا ، فلا ، فمن استمد للتخلي عن طقوسه  
 الدينية ، رضى بالتخلي عن ثقافته وحضارته ، بطريق  
 أولى ، ولكن المهم أن تحمل الحضارة الاسلامية قوة  
 التغلب والسيطرة والانتخاب ، بحيث تمتلك مشاعر  
 أولئك الممتنقين - ولم تنزل هذه خصيصة مسن  
 خصائص ثقافات الفاتحين - والا أصبحت مفلسة ،  
 ويحصل من امتزاجها بالثقافة الغالبة ثقافة لن تزيد  
 المجتمع الاسلامي الا خسارا ، وهذا هو سر من أسرار  
 الانحطاط الذي ألم للمسلمين حين فقدت ثقافتنا  
 الاسلامية حيويتها وصلابتها الذاتية ، وقتها السيطرة  
 شيئا فشيئا بعد عهد الصطبة رضى الله عنهم ، فتأثرت  
 بثقافات الفرس والروم واليونان والسرمان .....

— فقال صلى الله عليه وسلم :

" لتتهمن سنن الدين من قهلكم شبرا بشبر<sup>(١)</sup>

وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا في حجر صب لا تبعتموهم

فقلنا : يا رسول الله ، آلهيود والنصارى — قال :

فمن — ؟<sup>(٢)</sup>

كما أرشد صلى الله عليه وسلم أمته الى حضارة واحدة وثقافة

متميزة ، ألا ، وهى :

" ماهو عليه وأصحابه<sup>(٣)</sup> "

وليس معنى ذلك أن تكون الأمة المسلمة جامدة على اسلوب

واحد من أساليب الحياة ٠٠٠٠ — والحياة دائما متجددة ومتطورة —

بل ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالا ، لاقتباس ما ينفع الأمة

من أساليب حياة غيرهم بشرط ألا يخذش كيانها ، فاذا وجدناه صلى

الله عليه وسلم يمنع أمته من اختيار ثقافة المجوس فيقول :

" جزوا الشوارب وارخو اللحى ، خلّفوا المجوس<sup>(٤)</sup> " (٥)

(١) السنن ، والسنة : الطريقة ( ابن الأثير : النهاية : ٢ / ٤١٠ )

(٢) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٦ / ٢١٩ — ٢٢٠

(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ٠٠٠٠ وان بنى اسرائيل تفرقت على

ثنتين وسبعين ملة ، وتفرق أمتى على ثلاث وسبعين ، كلهم في النار ،

الاملة واحدة ، قال : من هى يا رسول الله — ؟ قال : ما أنسا

عليه وأصحابى " ( رواه الترمذى : ٣٩٩ / ٧ — ٤٠٠ )

(٤) جزوا : اى قصوا ، من الجز : وهو قص الشعر والصوف .

( النهاية : ١ / ٢٦٨ )

(٥) رواه مسلم : ٣ / ١٤٢ .

وجدناه صلى الله عليه وسلم يقتبس من أولئك المجوس أساليبهم  
 الحربية ، وهى : استخدام المنجنيق ، وحفر الخندق ، كما نراه صلى  
 الله عليه وسلم يتخذ خاتما يختم به رسائله الموجهة الى الملوك  
 والأمراء ، لما علم صلى الله عليه وسلم أنهم لا يقرؤون الرسائل الستى  
 لاتختم .<sup>(١)</sup>

ولمنا لا نخطى ، اذا استهبطنا من فعل رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم هذا أنه صلى الله عليه وسلم ، قد أعطى أمته - بهذه الصورة -  
 منهجا كاملا ، قويا فى تطوير ثقافتها وحضارتها ، دون أن تمس  
 ذاتيتها قليلا أو كثيرا . . . . . ونستطيع أن نمبرغه بمنهج " نعومة الحرير  
 وصلابة الحديد " بحيث تختار الأمة " نعومة الحرير " فى اقتباس ما  
 ينفعها فى أمور دنياها ، دون ضرر فى دينها وأخرتها . . . . . كما  
 يجب عليها أن تختار " صلابة الحديد " فى تمسكها بأهداب الدين  
 وعقائده ، وعضها عليها بالنواجذ ، وفى قياها بالواجبات التى كلفها  
 الدين أداءها ، وقوام هذه الواجبات : الدعوة الى الله ، اذ لا تسمح  
 لأى نوع من الظلم أو الضعف أن يلين تلك الصلابة الفولاذية  
 فى أى حال من الأحوال .

- 
- (١) انظر : ابن كثير : السيرة النبوية : ٦٥٨ / ٣ .  
 أنظر : الحلبى : السيرة الحلبية : ١٣٤ / ٣ .  
 (٢) أنظر : ابن هشام : سيرة النبى : ١٦٨ / ٣ .  
 (٣) أنظر : صحيح مسلم : ٦٩ / ١٤ .

ولقد رأينا - فعلا - أن الأمة اختارت هذا المنهج القويم بمعد وفاته صلى الله عليه وسلم : كان الخليفة الراشد عمر الفاروق - رضى الله عنه - شديدا في أمر الله ، فنراه يعاقب صهيئنا المراقى لخوضه في متشابهات القرآن ، ويضربه حتى يدمى رأسه ، ونراه في مناسبة أخرى ، يقبس أسلونها من أساليب الفرس في الادارة ، هو : تدوين الدواوين لتنظيم العطاء بين المسلمين .<sup>(١)</sup>

فالحفاظ على الجانب الحضارى للمجتمع الاسلامى ، أمر بالغ الخطورة والدقة ، ومن ثم سن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كامام للدولة الاسلامية الأولى ، سنة متزنة بهذا الصدد ، وترك لأمتة أسوة تكفل نجاحها - اذا مارستها فى دقة وأمانة - فى الماجلة والآجلة .

ب - الجانب التشرىي :

من أهم واجبات الدولة الاسلامية : الاهتمام البالغ بالجانب التبرىي لحفاظ به على مقوماتها الذاتية واتجاهاتها الجوهرية الأصيلة ، ولتدفع به العوامل التى يمكن أن تعترض طريق هذه الدولة الدعوية - خلال الزمن

- 
- (١) صبيغ : (على وزن : عظيم) رجل من أهل العراق كان يتجول فى المعسكرات الاسلامية بمصر ، ويسأل رجال الجيش عن متشابهات القرآن ، فأمسكه عمرو بن العاص ، وبعثه الى أمير المؤمنين عمر الفاروق ، فضربه وأدبته أنظر ترجمته فى تاريخ ابن عساکر (تهذيب) : ٦ / ٣٨٧ .
- (٢) أنظر : سنن الدارمى : ١ / ٥٤ .
- (٣) أنظر : الجهشيارى : الوزراء والكتاب : ١٦ / ١٧ .

السرمدي - فنسوغها من حقيقتها وتخرج بها عن كيانها الذاتي ٠٠٠٠  
ومن أجل ذلك ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهتم بهذا الجانب  
اهتماما كبيرا ، وينتهاز كل فرصة تتاح له ، لتربية أصحابه تربية اسلامية  
دقيقة ، اذ ان هذه التربية - التي نستطيع ان نعبر عنها " بالتركية -  
كانت جزءا أساسيا من رسالته صلى الله عليه وسلم ، وفي ذلك قال  
الله سبحانه وتعالى :

(( هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته

ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل

لحق ضلال مبين ))<sup>(١)</sup>

وقد كانت تربيته صلى الله عليه وسلم لأُمَّته عامة ، كان يربّيها على  
العقائد السليمة ، الصافية النقية ، ويحذرها من الوقوع في ضلال الشرك  
بعد أن أخرجها الله تعالى من ظلماته الى نور التوحيد ، كما كان يهتم  
صلى الله عليه وسلم بتعليم الكتاب والحكمة ، ويحضّر المؤمنين على تحصيل  
العلم بأقواله وأفعاله ٠٠٠٠ وكان مسجده صلى الله عليه وسلم مركزا  
لتحقيق هذه الأهداف المنشودة والغاية المرجوة ٠٠٠٠ ثم ان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم كلف كل فرد من أفراد المجتمع الاسلامي ، أن يسهم  
في تربية المجتمع عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر  
كما سبق ذكره .

(١) سورة الجمعة : الآية : ٢

ومن معالم تربيته صلى الله عليه وسلم : أمره المسلمين بأقامة الصلاة  
أمراً لا هوادة فيه ، إذ أن الصلاة هي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر  
وهي الفارق بين الكفر والاسلام ، كما رواه جابر بن عبد الله - رضي  
الله عنهما - فقال :

" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان  
بين الرجل وبين الشرك والكفر: ترك الصلاة .<sup>(١)</sup>

وكان يحض المجتمع الاسلامي على اداء الصلاة في جماعة ، ولم  
يقتصر على التخصيض فقط : بل كان يراقب ذلك مراقبة حازمة . . . فقال :

" ان أثقل صلاة على المنافقين صلاة المشاء وصلاة  
الفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً ،  
ولقد سمعت أن أمراً بالصلاة ، فتقام ، ثم أمر رجلاً فيصلى  
بالناس ، ثم انطلق معي برجال معهم حزم حطب الى قوم  
لا يشهدون الصلاة ، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار .<sup>(٢)</sup>

- وروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه :

" أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل أعشى ، فقال يا رسول  
الله ! انه ليس لي قائد يقودني الى المسجد ، فسأل  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يرخص له فيصلى في بيته

---

(١) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ٢ / ٧١

(٢) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ٥ / ١٥٤

فرخص له ، فلما ولى ، دعه ، فقال : هل تسمع

النداء بالصلاة - ؟ فقال : نعم ، قال : فأجب<sup>(١)</sup>

ومما لا ريب فيه ، أنه الأمة اذا واطبت على الصلوات وأقامتها على النحو الذى أرشد اليه النبي صلى الله عليه وسلم ، أفادت منها كثيرا فى بناء شخصيتها الاسلامية ، والقادرة على تحقيق رسالة الاسلام ودعوتة على المستويين الداخلى والخارجى .

ومن جهة أخرى حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته من البدع أشد تحذير ، فاجتناب البدع جانب مهم من جوانب الحفاظ على التهيئة الاسلامية ، ولا شك أن البدعة تخلط معالم شخصية الأمة وتعرضها للضياع ، بل للذوبان " كما يذوب الملح فى الماء " ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " <sup>(٢)</sup>

ولقد أكمل الله سبحانه وتعالى دينه ، وختم الرسالة بنبيه سيد المرسلين محمد بن عبد الله الهاشمى صلى الله عليه وسلم ، فمن أحدث بعده فى الدين شيئا ، أصبح معنى ذلك أنه رأى نقصا وتقصيرا فى جانب من جوانب الدين ، فحاول اكماله ، وهذا أمر لا يرضى به الله ورسوله ، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٥٥ / ٥

(٢) متفق عليه ، أنظر : البخارى : ٥ / ٣٠١

" لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما ، ولا صلاة ، ولا صدقة  
ولا حججا ، ولا عمرة ، ولا جهادا ، ولا صرفا ، ولا عدلا  
يخرج من الاسلام كما تخرج الشعرة من المجين .<sup>(١)</sup>

- وقال عليه الصلاة والسلام :

" أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن تأمر  
عليكم عبد جفسي ، فإنه من يمض منكم ، يرا اختلافا  
كثيرا ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإنها ضلالة ، فمن أدرك  
ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين  
المهتدين ، عضوا عليها بالتواجذ .<sup>(٢)</sup>

وكان من ضمن تربيته صلى الله عليه وسلم مراقبته أفراد الأمة  
أشد مراقبة ، فلا يمهلمهم أن يميلوا أدنى ميل الى جانب آخر  
وتبدو شدة مراقبته صلى الله عليه وسلم مما رواه جابر بن عبد الله  
- رضى الله عنهما - فقال :

" ان عمر بن الخطاب أتى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم بنسخة من التوراة فقال : يا رسول الله ، هذه  
النسخة من التوراة ، فسكت ، فجعل يقرأ ووجه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخير ، فقال أبو بكر :  
شكلك الشواكل ما ترى بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه ابن ماجة : السنن : ١ / ١٩

(٢) رواه الترمذى : الجامع : ٧ / ٤٣٩ - ٤٤٢



فقال عمر الى وجه رسول الله ، فقال : أعوذ بالله من  
 غضب الله ومن غضب رسوله ، رضينا بالله رسا ، وبالإسلام  
 ديننا ، وبمحمد نبيا ، فقال رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم : " والذي نفس محمد بيده ، لو بدأ لكم موسى ،  
 فاتبعتموه وتركتموني لضللتكم عن سواء السبيل ، ولو كان  
 حيا وأدرك نبوتى لا تبعنى " (١)

وهكذا سن رسول الله صلى الله عليه وسلم للدولة الإسلامية سننا  
 يتيح لها الحفاظ على أصالة المجتمع الدعوى ، عن طريق تربيته وتزكيته  
 وتوجيهه . . . . . وسد كل ثلمة يمكن أن تدخل منها البدع والأهواء  
 والضلال الفكرى فى المجتمع الذى هو منشق الدولة .

### ج - حماية قيم المجتمع :

الدولة التى تحرس قيم المجتمع الإسلامى الدعوى ، ولا تنفل عنها ،  
 لا بد لها من صلاحيات جزائية تحمى بها هذه القيم ، ومن ثم جاء الشرع  
 الإسلامى بالحدود<sup>(٢)</sup> والقصاص<sup>(٣)</sup> والتعزيرات<sup>(٤)</sup> ، ولكن الى أى حد تحتاج

- (١) رواه الداريمى : السنن : ١١٥ / ١ - ١١٦ .  
 (٢) الحد : لفة : الفصل بين الشئين لثلا يخلط أحدهما بالآخر ،  
 أو لثلا يتمدى أحدهما على الآخر ، وجمعه : حدود . واصطلاحا :  
 عقوبات جعلت لمن ركب ما نهى عنه ، كحد السارق : وهو قطع يمينه فى  
 ربع دينار فصاعدا ، وكحد الزانى البكر : وهو جلد مائة وتفريب عام ، وكحد  
 المحصن اذا زنى : وهو الرجم ، وكحد القاذف : وهو ثمانون جلدة  
 وسميت حدودا : لأنها تحد أى تمنع من اتيان ما جعلت عقوبات فيها .  
 ( أنظر : ابن منظور : لسان العرب : ١٤٠ / ٣ )  
 (٣) التعزير : هو التأديب الذى دون الحد ، لمنع الجانى من المعاودة  
 وردعه عن المعصية . ( ابن الأثير : النهاية : ٢٢٨ / ٣ )

الدولة الى استخدام هذه الصلاحيات في مجتمع يرفل في غلالة من الأمانة

الاسلامية تصورا وسلوكا - ؟

أحسب ، أنها لا تحتاج الى ذلك الا قليلا ، وفي شذوذة فاسدة ، لأن الدولة ما دامت تهتم بالحفاظ على قيم المجتمع الاسلامي ومبادئه السامية ، وما دامت تهتم بالتزام التربية الاسلامية الحسنة ، فلا يستطيع الفساد أن يتمكن من المجتمع الاسلامي الا في حدود ضيقة ، ومع ذلك فلا بد من أن يكون هنالك وازع يحفظه كل من أراد الانحراف عن الجادة ، ومن أجل ذلك منح الاسلام الدولة الصلاحيات التي أشرنا اليها ، لتأخذ على يد الجاني الشائر على قيم المجتمع ، وكما يكون هذا النظام وقاية للمجتمع الصالح المادل من نزوات فرد منه ، يهدد عدله بظلمه وصلاحه بفساده .

---

(١) لانقول : ان المجتمع الاسلامي : مجتمع الملائكة المعصومين انما نريد أن نقول : ان المجتمع الاسلامي تسوده دائما تقوى الله وخشيته ، والعدالة والصالح . . . . . وما أن الانسان عرضة للخطأ والنسيان ، فلا بد لكل عضو من أعضاء المجتمع أن يقوى صلته بالله العليم الحكيم ، وأن يسارع الى التوبة الشرعية بشروطها المعروفة ، وذلك يعود الى حظيرة الخير في المجتمع الاسلامي ، ويقبل الله منه توبته ويغفر له ، والله غفور رحيم . . . . . ولكن الاصرار على المعاصي علانية ، وارتكاب الجنایات أمر ينافي الطبيعة العامة للمجتمع الاسلامي ، ولا يرضى عنه الله ورسوله ، ولا عباده ، وعليه حينئذ أن يواجه العقوبات التي يستحقها شرعا .

ومن الهدى جدا • أن من أراد توفير النمو للمطصلات • التزم باقتلاع  
كثير من الحشائش • والأعشاب • ومن ثم جد النبي صلى الله عليه وسلم كل  
الجد في تطبيق الحدود والقصاص • وأخذ كل محدث بما أحدث •  
ومما لا ريب فيه أن إقامة الحدود والقصاص والتمزيقات • تفتح  
على المجتمع بركات من السماوات والأرض • وينفخ المجتمع الهدوء والراحة  
والسكينة والطمأنينة • والأمن والاستقرار ••••• ويدل على ذلك ما رواه  
أبو هريرة رضى الله عنه فقال :

” قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حد يعمل  
به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يظفروا أربعين  
صباحا “ (١)

وعلى هذا يجب على الدولة الإسلامية أن تحافظ على  
المجتمع الإسلامي وتحمى قيمه • وتحمي رسالته وأبلاغ دعوته  
ولتحمي المعين على ذلك إقامة الحدود وتطبيق القصاص والتمزيقات •

•••••

وفي ضوء هذه النشاطات المباركة التي قام بها الرسول الكريم  
صلى الله عليه وسلم في حياته المدنية • وكامام للدولة الإسلامية النبوية  
— وقد أشرنا إلى نبذة منها في هذا البحث — تستطيع كل

(١) رواه ابن ماجة : السنن : ٢ / ٨٤٨ •

دولة اسانمية أن تضع خطتها - اذا أرادت ارادة جديدة ومخلصة -  
للحفاظ على قيم المجتمع الاسلامى ومبادئه ، ولا استرداد ماضع  
منها ، حسب ما تسمح لها ظروفها ووسائلها ، وبهذا تستطيع  
أن تقوم بوظيفتها الأخرى والمهمة ، ألا ، وهى : توجيه الدعوة الى  
الناس كافة ، لتمم بها قيم المجتمع الاسلامى ، المجتمعات المعاصرة  
وتنال الانسانية بذلك شرفها وكرامتها الحقيقيين ، وهذا ما سوف  
نراه فى البحث التالى :

## المبحث الثانى

## توجيه الدعوة لتميم هذا المجتمع

قد ذكرنا فيما سبق ، أنه كان من أهداف رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعوية : تكوين مجتمع عدى دعوى ، فكونه ، وانشاء دولة تحرس ذلك المجتمع وتحمل رسالته فأنشأها ، وجعلت تحافظ على قيم المجتمع ابقاء على ذاتيته الاسلامية ، أما حمل رسالة هذا المجتمع الى الناس ، والعمل على تميمه حتى تشمل رحمة الله عباده ، جميعا فهو أمر جوهري جدا يقتضى أن يعنى بذكره بصفة خاصة ، فتذكره كما يلى :

بحث محمد بن عبد الله المصطفى صلى الله عليه وسلم رسولا الى الناس كافة<sup>(١)</sup> ، ورحمة<sup>(٢)</sup> للعالمين ، ولقد صرح القرآن الكريم بأن الله تعالى لن يقبل<sup>(٣)</sup> ديننا غير الاسلام ، كما جعله ديننا يجب أن يكون

(١) قال الله تعالى : (( وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن

أكثر الناس لا يعلمون )) ( سورة سبأ : الآية : ٢٨ )

(٢) قال الله تعالى : (( وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ))

( سورة الأنبياء : الآية : ١٠٧ )

(٣) قال جلت قدرته : (( ومن يتبع غير الاسلام ديننا فلن يقبل

منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ))

( سورة آل عمران : الآية : ٨٥ )

(١) مهيمناً على جميع أديان العالم ٠٠٠ فكان ضروريا جدا أن يبرز معالم هذا الدين الخفيف على الناس كافة ، وتعم رسالته العالم أجمع ، والاسلام دين على أكثر من كونه ناسريا ، ومن أجل ذلك كان الشغل الشاغل لرسول الله صلى الله عليه وسلم تركيز الجهود بتربية أصحابه تربية دقيقة وتنقية سمات المجتمع الاسلامي ، وتهذيب نظام الدولة الاسلامية إذ أن الدعوة إذا وجهت الى العالم ، فمن الطبيعي جدا أن ينظر المدعوون - أولا وقبل كل شيء - الى ما حققته هذه الدعوة في كيان حاملها من صفات عالية ومميزات فائقة - على نحو واقعي - مما يدعونهم اليه ، وخصوصا إذا وجهت الدعوة الى الأمم التي تزعم أن مجتمعاتها أرقى المجتمعات ، وحضارتها أسمى الحضارات ٠٠٠٠ فيكاد يكون واجبا أن يبرز تفوق مميزات المجتمع الاسلامي على مميزات هذه المجتمعات المزعومة .

ومن جهة أخرى كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يعمل على ازالة العقبات من طريق الدعوة بالمجاهدات والفزوات والسرايا ، ولما تم صلح الحديبية ، وزالت العقبة الكبرى - وهي : قوة قريش المانعة - عن طريق الدعوة ، وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عديدا من الرسائل الدعوية الى ملوك الفرس والرومان ، وأمراء الجزيرة وما حولها ٠٠٠٠٠ والرسائل التي أرسلها رسول الله صلى الله عليه وسلم - في

---

(١) قال جل وعلى : (( هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيدا )) (سورة الفتح : الآية : ٢٨ )

هذه المناسبة ، وفي مناسبات أخرى - يبلغ عددها ما تثنى وخمسا  
وسمى رسالة أو أكثر<sup>(١)</sup> وكان مضمون جميع الرسائل الدعوية واحداً  
تقريباً ، وهو الدعوة إلى الله . . . . . وحسبنا نص واحد من نصوص  
تلك الرسائل ، فنذكره هنا نص الرسالة الكريمة التي وجهها رسول الله  
صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم : وهو :

” بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله

إلى هرقل عظيم الروم

سلام على من اتبع الهدى

أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم ، تسلم

يؤتاك الله أجره مرتين<sup>(٢)</sup> ، وإن توليت فإن عليك اسم

الأرسين<sup>(٣)</sup> ) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا

وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا

بعضاً آرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون<sup>(٤)</sup>”

(١) أنظر محمد حميد الله : الوثائق السياسية : ٣٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ .

(٢) من أجل إيمانه بعيسى عليه الصلاة والسلام ، وإيمانه بختم المرسلين محمد  
صلى الله عليه وسلم ، كما جاء في حديث صحيح : ” ثلاثة لهم أجران :  
( وذكر منهم : ) رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ومحمد صلى الله عليه وسلم

الحديث ( رواه البخاري : ٦ / ١٤٥ )

(٣) الأرسين : الفلاحين والزراعيين ، وخصهم بالذكر دون جميع الرعايا ،  
لأنهم الأغلب ، ولأنهم أسرع انقياداً ، فإذا أسلم أسلموا ، وإذا امتنع

امتنعوا . ( انظر : النووي : شرح مسلم : ١٢ / ١٠٩ )

(٤) رواه الشيخان : أنظر : صحيح مسلم : ١٢ / ١٠٩ )

(١) ذهب دحية الكلبي - رضی اللہ عنہ - بهذه الرسالة الى الشام  
 ودفعتها الى عظيم بصرى وقدمها عظيم بصرى الى هرقل ، وهو يابليسا  
 (بيت المقدس) ، وحدث فعلا ما ذكرناه آنفا ؛ بأن من دعى الى  
 الاسلام ، أراد - تلقائيا - أن يستوثق مما يدعى اليه ، أحق هو  
 أم لا - ؟ وما حقيقته هذه الدعوة - ؟ فأمير هرقل باحضار  
 بعض من قريش ، يستوثق بهم من بعض ما هجس في صدره ، فوجدوا باسفيان  
 والرجال معه ، فأحضروهم ، وجرى بينهما حوار رواه الشيطان بالتفصيل .  
 وكانت رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم مشتملة على مضمون الدعوة  
 الى الله ، دون تعرض مباشر الى ملكهم ودولتهم ، بل كلمة : " أسلم  
 تسلم " تدل على سلامة ملكهم في الدنيا ، وسلامة أنفسهم في  
 الدنيا والآخرة . . . . . وقد صرح بذلك الرسول الكريم صلى الله عليه  
 وسلم في خطابه الذي وجهه الى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الفسائي  
 حاكم دمشق بقوله :

" وأدعوك الى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له "

(٢)  
 يبقى ملكك . "

وأشار بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن الدولة الاسلامية

ليس من غايتها استلاب الناس ممالكهم ودولهم ، انما توجه الدعوة الى

(١) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي ، شهد أحدا وما بعدها  
 كان جبريل يأتي أحيانا في صورته الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان  
 يضرب به المثل في حسن الصورة ، شهد معركة اليرموك ، وطاش السى  
 خلافة معاوية رضی اللہ عنہ ، توفي سنة ٤٥ هـ .

(انظر : ابن عساکر : ( تهذيب ) تاريخ دمشق : ٢٢١/٥ - ٢٢٣)

(٢) أنظر ابن كثير : البداية والنهاية : ٢٦٨ / ٤ .



الملوك والأمراء لمصلحتهم ، فمن قبلها ، انتقلت اليه واجبات الدولة الاسلامية من تربية الرعايا تربية اسلامية دقيقة ، ورفع مستوى المجتمع العادى الى مستوى المجتمع الاسلامى العالى ، وأن تعرس دولته هذا المجتمع ، وتحمل رسالة الاسلام الى من جاورها ٠٠٠٠٠٠ ومن لم يقبل الدعوة الاسلامية ، كان معنى ذلك أنه يريد الحؤول دون قبول رعاياه هذه الدعوة التى تحقق فيها مصلحتهم فى الدنيا والآخرة ٠٠٠٠٠٠ فيصير من واجب الدولة الاسلامية أن ترفع هذا الطجز بين الدعوة وطامة الناس ، فتحمل السلاح ، وتبسط أحرابها من أجل إزالة العقبات عن طريق الدعوة ٠٠٠٠٠٠ فهذه هى الميزة البارزة للدولة الاسلامية الأولى ، التى تكمن فى انتشارها المصلحة الحقيقية للبشرية قاطبة فى الدنيا والآخرة .

ولقد ساهم أصحاب رسول الله على الله عليه وسلم فى إبراز هذه الميزة الفارقة ، فنريد أن نذكر بهذه المناسبة نص خطاب وجهه خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه الى ملوك فارس ، وهو :

” بسم الله الرحمن الرحيم

من خالد بن الوليد

الى ملوك فارس

أما بعد ، فالحمد لله الذى حل نظامكم ، وودعن كيدكم ، وفرق كلمتكم ، ولو لم يفعل ذلك بكم ، كان شراً لكم ، فادخلوا فى أمرنا ، ندعكم

وأرضكم ، ونجوزكم الى غيركم ، والا ، كان ذلك وأنتم

كارهون على غلب ، على أيدي قوم يحبون الموت

(١)

كما تحبون الحياة "

فخلاصة جهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل نشر

الدعوة الاسلامية : أنه رعى شخصيات عقدية عبقرية في عقيدتها

وأخلاقها وسلوكها ، وكون بهم مجتمعا عقديا اسلاميا ظلصا ،

وأنشأ دولة ترعى المجتمع وتحرسه ، وتحمل رسالته ، وتؤدى أمانته

الى الناس جميعا ، وكل ذلك في مدة ثلاث وعشرين سنة ٠٠٠٠٠٠

وأورث الأمة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، كدستور

أبدى لأفرادهم ومجتمعاتهم ودولتهم ، وجمع - في حجة الوداع -

هذه الأمة ، التي بذل في تربيتها جهود الهادية المتواصلة على

صعيد واحد - وهو ميدان عرفات - وكان رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقدم بذلك الى الله عز وجل أمة جاهزة قد بذل في تربيتها

وتهيئتها ما الله به أعلم من جهد وضاء ، فيها إلهى أمة

مستعدة ، لتحمل مسئولية وراثته الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -

الضخمة ، وهى : أداء أمانة الدعوة مستوفية جميع مقوماتها

وهو يسألهم : " ألا إله هل بلغت - ؟ " مرارا وتكرارا ٠٠٠

وتشهد الأمة بلسان واحد :

نعم ، قد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، فيقول كلمته

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٣ / ٣٧٠ .

الجامعة : " فليبلغ الشاهد الفائب <sup>(١)</sup> "

وهكذا نقل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مسئولياته الضخمة  
الى هذه الأمة ، واستعد للحاق بالرفيق الأعلى ٠٠٠٠ صلوات  
الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .  
وهل التزمت الأمة أداء هذه الأمانة الضخمة الدقيقة ،  
مستوفية جميع مقوماتها ؟ نتمرض جواب هذا السؤال  
المهم في الباب التالي :

---

(١) انظر : البخارى : الصحيح : ١ / ١٩٩

# الباب الثالث

## مَعَالِمُ الدَّعْوَةِ

في الدولة الإسلامية الراشدة

الفصل الأول:

المحافظة على أصالة الدعوة في العهد الراشدي

الفصل الثاني:

حياطة الراشدين البالغه لمقومات المجتمع الإسلامي

الفصل الثالث:

دعوية الحكم الراشدي في ضوء علاقائه الخارجية

الفصل الرابع:

حكم معاوية رضي الله عنه

## الباب الثالث :

معالم الدعوة في الدولة الاسلامية الراشدية

وفيه تمهيد وأربعة فصول :

تمهيد :

ثبت بما تكلمنا في الباب الثاني من هذه الرسالة ، أن وجود الدولة

الاسلامية ، التي تقوم على الهدفين الأساسيين العظيمين :

١ - المحافظة على قيم المجتمع الاسلامي الدعوى

٢ - حمل رسالته الى الناس كافة .

أمرمهم في ازدهار الدعوة ورقبها ، ودفع عجلتها الى الأمام بجميع

مميزاتها وخصائصها ، إذ أن الدولة الاسلامية الأصيلة هي التي تستطيع

جمع جميع أنواع القوى المتدفقة في سبيل الدعوة ، وتستطيع تنظيمها

وتنسيقها ، واستخدامها حسب ما تقتضيه الظروف والأوضاع ، ولو فقدت

الدولة - لا قدر الله - مهمتها الأساسية ، لاختل نظام الدعوة ، وبدأت

تضمحل - فعلا - حيويتها ونشاطها بالتدرج .

ونستعرض - بإيجاز - في فصول هذا الباب ، مدى ثبات

الدولة الاسلامية على الخطوط الدعوية التي ترك الرسول الكريم

صلى الله عليه وسلم أمته سائرة عليها :

## الفصل الأول :

### المحافظة على أصالة الدعوة في العهد الراشدي

ان العهد الراشدي أكمل أوار التاريخ الاسلامي وأعظمها بعد عهد النبوة ، من حيث المحافظة على أصالة الدعوة الاسلامية وجوهرها ، ومن حيث التزامها النهوض بمسئولياتها .

ولعلنا لانعدو الحق اذا قلنا : انه امتداد بشري لعهد النبوة ذاته ، وقد ساعدت هذا العصر الزاهر قوة الروح والأخلاق وقوة الدين والعلم ، وأحكام الأسباب المادية الممكنة في ابراز الشخصية الاسلامية المقدية ، وفي ظهور الحضارة الصالحة ، وفي ازدهار المدنية المثالية . . . . .

ومن ثم أصبحت الدولة الاسلامية قوة سياسية رسالية تفوق كل قوة سواها ، اذ كانت المشل الخلفية العليا تحكم في حياة الناس ونظام الحكم ، وتحصنت العلاقة فيما بين الأفراد والجماعة ، وفتحت رياحين الأخلاق والروحانية في كل بقعة من بقاع هذه الدولة المباركة . . . . . ومن هنا أذهب الى

أن العصر الذهبي في تاريخ الاسلام كله - عدا العهد النبوي -  
هو عصر الراشدين <sup>(١)</sup> .

وفي الحق أن هذه الدولة المثالية كانت حجة قاطمة على النوع  
البشرى ، بصدد امكان المحافظة على أصالة الدعوة الاسلامية ،  
اذ أنها أثبتت اثباتا عليا أن الحفاظ على كيان الأمة الداعية ،  
وعلى نظام الدولة الاسلامية الدعوية ، لم ينحصر في امكان شخصية  
الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم المعصومة فحسب ، بل ان ذلك  
في استطاعة أمته - صلى الله عليه وسلم - غير المعصومة ، حين تريد  
ذلك وتأخذ بأسبابه الموضوعية .

ولقد أشار الى ذلك أبو بكر الصديق - رضی الله عنه - في موقف  
حرج ، لما لحق الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى  
وفوجي أصحابه - رضوان الله عليهم أجمعين - بهذا النبا المذهل ،  
وإارلب كثير منهم من أصحاب العقيلة المبقرية ، فقال الصديق :

---

(١) وقد فرضت هذه الحقيقة نفسها على المؤرخ النصراني " جرجي زيدان " على الرغم من نصرانيته وكيدته المعروف للاسلام وتاريخه . . فهو يقول :  
" هذا هو عصر الاسلام الذهبي ، عصر العدل والتقوى ، كانت الحكومة جارية فيه على سنن العدل والاستقامة ، والخيرة الحقيقية على الدين ونهذ الدنيا ، وهو العصر الذي اتخذه المسلمون مسؤالا ينسجون عليه ، وكلما حطت دولة من دولهم عن جادة الحق طلبوا اليها الرجوع اليه والسير على خطوات الراشدين "

( تاريخ التمدن الاسلامي : ١ / ٢٦٤ )

" أيها الناس ! انه من كان يعبد محمدا ، فان محمدا  
 قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فان الله حي لا يموت ،  
 ثم تلا هذه الآية <sup>(١)</sup> : (( وما محمد الا رسول ، قد  
 خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على  
 أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا  
 وسيجزي الله الشاكرين )) <sup>(٢)</sup> "

وهكذا لفت أبو بكر - رضی الله عنه - نظرا الأمة الى تلك الحقيقة  
 الناصية التي يجب عليها أن تجعلها نصب أعينها ، ألا ، وهي : أن  
 الرسول عليه الصلاة والسلام قد أبلغ الرسالة وأدى الأمانة ، وعلى الأمة  
 أن تحمل هذه الرسالة بعده ، وهي مكلفة اقامتها على وجه الأ رض  
 الى يوم القيامة ، وهذه الفريضة المحكمة غير مبروطة بوجود شخصية  
 الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فضلا عن أن تكون مبروطة بوجود  
 شخصيات أخرى ، فعلى الأمة ، كلما واجهتها مواقف حرجة حاسمة فسى  
 حياتها . . . أن تنظر دائما الى واجبها المتمثل في تعاليم الكتاب والسنة ،  
 وأن تنهض بهذا الواجب دون أن يؤثر في عزيمتها تقصير المقصرين ، وتوانى  
 المتوانين في الماضى والحاضر .

لاشك أن العهد الراشدى كان عهدا دعويا خلاصا كما شهد الواقع  
 التاريخى فلانحتاج - الآن - أن نتوسع فى بحثه ، وحسبنا أن نلقى نظرة

(١) سورة آل عمران : الآية : ١٤٤

(٢) أنظر : ابن هشام : سيرة النبى : ٤ / ٤٤٧ .



موجزة عليه ، وهناك مثل معروف في الفارسية معناه : " ان المسك هو ما يفوح بنفسه ، ولا يحتاج الى أن يعرف به المطار . " فنستعرض هذا المهد الدعوى الذهبى - بايجاز - كالتالى :

مهادى الراشدين في ضوء بعض خطبهم :

( أ ) ابوبكر الصديق رضى الله عنه

يهيخ ابوبكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - بالخلافة بمعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بناء على كفاءته وتقواه<sup>(١)</sup> ، ولم يكن قط حريصا على هذا المنصب الجليل ، فهو يقول عن نفسه :

" والله ، ما كنت حريصا على الامارة يوما ولا ليلة قط ، ولا راغبا فيها ، ولا سألتها الله في سر ولا علانية<sup>(٢)</sup> " .

بعد ما تمت بيعته الخاصة في سقيفة بنى ساعدة ، ثم بيعته العامة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألقى أمام الناس خطبة كانت بمثابة أول بيان رسمى يدلى به بعد مبايعته . . . . . فقال رضى الله تعالى عنه : -

" أما بعد ، أيها الناس ! فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت ، فأعينونى ، وان أسأت فقومونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف

(١) أنظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٢ / ٢٢٤

(٢) أنظر : السيوطى : تاريخ الخلفاء : ٦٩

(٣) أنظر : ابن هشام : سيرة النبى : ٤ / ٤٥٦

فيكم هدى قوى حتى أرجع عليه حقه ان شاء الله ،  
والقوى فيكم ضعيف هدى حتى آخذ الحق منه ان شاء  
الله ، لا يمدح قوم الجهاد في سبيل الله الاخذلهم  
الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم الاعمههم  
الله بالبلاء ، اطيعوا الله ورسوله ، فاذا  
عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا الى  
صلاتكم ، يرحمكم الله<sup>(١)</sup>

وترسم هذه الخطبة الرفيعة خطوطا رئيسية يجب على كل  
رئيس للدولة الاسلامية الدعوية أن يجعلها معالم طريقة ، . . . . .  
ونود ههنا أن نشير اليها بايجاز : -

١ - ان الخلافة ليست استعلاء ولا تسلطا ، بل هي أمانة ومسئولية ،  
فالخليفة من الأمة ، ولا يجوز له - في أى حال من الأحوال -  
أن يقتخر بنسب ولا يباهى بمنصر ، ولا يتعالى بالسلطة ، ولا  
يتجبر بالحكم ، وأشار اليه الصديق بقوله : " أنى وليت عليكم  
ولست بخيركم " .

٢ - لا يزعم الخليفة أنه منزه عن الخطأ ، فهو بشر ، معرض لأن يحسن  
ولأن يسيء ، وعلى الأمة أن تتعاون معه على ما حسنه ، بأداء كل فرد  
منها واجبه النوط في جميع مجالات الحياة ، وعليها أن تتسم

---

(١) ابن كثير : الهداية والنهاية : ٦ / ٣٠١

الخليفة - بكل شجاعة وأمانة - وتمعدل سلوكه ، وتخير اتجاهه  
 اذا ما رآته يميل عن سواء السبيل ، وعلى الخليفة أن يقبل نصح  
 الناصحين ، بل عليه أن يطلبه ، قال الصديق رضى الله عنه :  
 " ان أحسنت فأعينونى ، وان أسأت فقومونى "

٣ - على الأمة الاسلامية - وفى مقدمتها رئيس الدولة الاسلامية - أن  
 تلتزم الصدق ، وتجتنب الكذب ، تلتزم الصدق فى كل شىء ، وفى  
 القول والعمل ، فى السياسة والحكم ، فهو أمانة يجب أن تؤدى  
 بدقة ، والكذب فى أى أمر من الأمور السابقة خيانة . . . . . يجب على  
 المسلم أن ينزه نفسه عنها ، فالصدق والأمانة ، هما مصدر كل خير  
 فى حياة المسلم ، والكذب والخيانة هما مصدر كل شر فى حياته .  
 ٤ - القوى فى الاسلام هو صاحب الحق ، كائنا من كان ، والضعيف هو  
 حليف الباطل ، كائنا من كان ، هذا هو الهدى المشالى فى إقامة  
 العدل فى المجتمع الاسلامى .

٥ - القتال فى سبيل الله ، لاعلاء كلمته وإزالة العقبات عن طريق  
 الدعوة ، كما تنشر فى الناس ، ويسعدوا بها فى دنياهم وآخرتهم  
 والحفاظ على المقيدة والشريعة واجب على الدولة الاسلامية ، والاعراض  
 عن هذا الواجب ، أو التأويل فيه مضيعة للأمة ومجابهة لذاتها  
 وهوانها .

٦ - ان البلاء يقع بسبب الذنوب والمعاصى الذنوب والمعاصى ، ويرتفع  
 بالتوبة والانابة الى الله ، فعلى الأمة - وعلى رأسها امام

- الدولة الاسلامية - أن تجعل هذه الحقيقة الناصية نصباً عينها .
- ٧ - ان طاعة الحكام مشروطة بطاعتهم الله ورسوله ، فعلى الأمة أن تطيع الحكام في المعروف فقط ، فلو أمروا بمعصيته فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق<sup>(١)</sup> .

( ب ) عمر الفاروق رضى الله عنه

.....

وهذا الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول في خطبة له :

” أيها الناس ! انه لم يبلغ ذو حق في حقه أن يطاع في معصية الله ، واني لأجد هذا المال يصلح الا خلال ثلاث أن يؤخذ بالحق ، يعطى في الحق ، وينع من الباطل ، وانما أنا وماكم كولى اليتيم ، ان استغثت استمغثت ، وان افتقرت أكلت بالمعروف ، ولست أدع أحدا يظلم أحدا ، ولا يمتدى عليه حتى أضغ خده على الأرض وأضح قدمي على الخد الآخر حتى يذعن للحق .“

---

(١) أما الخروج على الحكام الجائرين ، فلا يجوز ، الا اذا ظهر منهم كفر بواح ، وذلك لحديث صحيح رواه عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، فقال : ” دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعنا ، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة ، في منسطينا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ، ولا ننسزع الأمر أهله ، قال : الا أن تروا كفرا بواحد عندكم من الله فيه برهان ” رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم : ٢٢٨ / ١٢ . وانظر : ابن أبي العز : شرح العقيدة الطحاوية : ٤٢٨ - ٤٣٠ .

ولكم على - أيها الناس - خصال أذكرها لكم ، فخذوني بها ، لكم على ألا أجتبى شيئا من خراجكم ، ولا مما آفاه الله عليكم إلا من وجهه ، ولكم على إذا وقع في يدي ، ألا تخرج مني إلا في حقه ولكم على أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم إن شاء الله ، وأسد ثغوركم ولكم على ألا أليكم في المهالك ، ولا أجسركم<sup>(١)</sup> في ثغوركم ، وقد اقترب منكم زمان قليل الأمان ، وكثير القراء ، قليل الفقهاء ، كثير الأمل ، يعمل فيه أقوام للآخرة يطلبون به دينا عريضة ، تأكل دين صاحبها كما تأكل النار الحطب . ألا ؛ كل من أدرك فليتنق الله وليصبر ، أيها الناس ؛ إن الله عظم حقه فوق حق خلقه ، فقال فيما عظم من حقه : (( ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ، أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ))<sup>(٢)</sup> " ألا ؛ وانسى لم أبعثكم أمراء ولا جبارين ، ولكن بعثتكم أمسة الهدى يهتدى بكم ، فأدروا<sup>(٣)</sup> على المسلمين حقوقهم ، ولا تضربوهم ، ولا تحددوهم فتفتسوهم ، ولا تفلقوا الأبواب دونهم ، فبأكل قلوبهم ضميغهم ، ولا تستأثروا عليهم فتتلموهم ، ولا تجهلوا عليهم ، وقاتلوا لهم الكفار طاعتهم فإذا رأيتم بهم كلاله فكفوا عن ذلك ، فإن ذلك أبلغ

(١) تجمير الجيش : جمعهم في الثغور وحسبهم عن المود إلى أهلهم .

( ابن الأثير : النهاية : ١ / ٢٩٢ )

(٢) سورة آل عمران : الآية : ٨٠

(٣) أدروا : أي يسروا لهم استيفاء حقوقهم ، كناية عن " أدرت الناقصة

فهي مدر ، إذا درلبنها . ( انظر : ابن منظور : لسان العرب : ٤ / ٧٨ )

في جهاد عدوكم أيها الناس ! انى أشهدكم على أمراء الأمصار  
انى لم أبعثهم الا ليفقهوا الناس في دينهم ، ويقسموا عليهم  
فيهم ، ويحكموا بينهم ، فان أشكل عليهم شئ<sup>(١)</sup> رفعوه الى<sup>(١)</sup>  
أولسنا نحن في هذه الخطبة نغط من العهد النبوى في السياسة  
والحكم - ؟ أولسنا نحن فيها الدليل الذى لا يدفع على ما نذهب  
اليه من أن الدولة الراشدية هي امتداد الدولة النبوية ، تلتزم حدودها  
وتتوسم خطاها ، وتتغيا ظلالتها سياستها الداخلية والظرجية - ؟  
ان تحليل معانى هذه الخطبة يقتضى تصنيف رسالة مستقلة ، فنكتفى ههنا  
بأن نقول : ان الراشدين - رضى الله تعالى عنهم - فعلوا أكبر  
مما قالوا ، والتاريخ أكبر شاهد على ما فعلوا ، ولا شك أن المسك  
هو ما يفوح بنفسه ولا يحتاج الى أن يعرف به العطار . . . . .

( ج ) عثمان بن عفان رضى الله عنه

.....

والخليفة الراشد الثالث ، عثمان ذو النورين ، لم يدخر  
جهده في أن تستمر الدولة على منهجه الدعوى ، وما يؤكد هذا  
المعنى تلك الأوامر التى أصدرها ذو النورين فيما بعد وهو خليفة  
واليكم بعض النماذج منها :

(١) أبو يوسف : كتاب الخراج : ١٢٧ - ١٢٨ .

١ - كتب الى عماله : -

" أما بعد ، فان الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ، ولم يتقدم اليهم أن يكونوا جباة ، وان صدر هذه الأمة خلقوا رعاة ، ولم يخلقوا جباة ، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ، ولا يكونوا رعاة ، فاذا عادوا كذلك ، انقطع الحياء والأمانة والوفاء ، ألا ان أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين ، فيما عليهم ، فتمطوهم مالهم ، وتأخذوهم ما عليهم ، ثم تثنوا بالذمة <sup>(١)</sup> ، فتمطوهم الذي لهم ، وتأخذوهم بالذي عليهم ، ثم العدو الذي تتجابون فاستفتحوا عليهم بالسوفاء <sup>(٢)</sup> .

٢ - وكتب الى أمراء الجيوش : -

" أما بعد ، فانكم حواة المسلمين وذادتهم <sup>(٣)</sup> ، وقد وضع لكم عصر ما لم يغب عما ، بل كان عن صلا مننا ، ولا يلفنى عن أحد منكم تنخير ولا تبديل ، فيخير الله ما بكم ، ويستبدل بكم غيركم ، فانظروا كيف تكونون ، فاني أنظر فيما ألزمني الله النظر فيه ، والقيام عليه <sup>(٤)</sup> .

(١) ثم تثنوا بالذمة : أي ضموا اليه أمراهل الذمة ، اذا فعل أمرا

ثم ضم اليه آخر قيل : " ثنى بالامر الثاني " .

( انظر : ابن منظور : لسان العرب : ١٤ / ١١٥ )

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٤ / ٢٤٤ - ٢٤٥

(٣) الزادة : جمع ذائد : وهو الطمي الدافع ( ابن الاثير : النهاية

( ١٧٢ / ٢ )

(٤) الطبري : المصدر السابق : ٤ / ٢٤٥ .

٣ - وكسب السى عمال الخسراج : -

" فان الله خلق الخلق ، فلا يقبل الا الحق ، وخذوا الحق واعطوا  
الحق به ، والامانة لامة ، قوموا عليها ، ولا تكونوا اول من يسلبها  
فتكونوا شركاء من بعدكم الى ما اكتسبتم ، والوفاء ، والوفاء ، لا  
تظلموا اليتيم ، ولا المعاهد ، فان الله خصم لمن ظلمهم .<sup>(١)</sup>"

( د ) على بن أبى طالب رضى الله عنه

.....

وبرز على منصة التاريخ الخليفة الراشد الرابع على بن أبى طالب  
- كرم الله وجهه - فى مرحلة عصية من مراحل تاريخ الأمة الاسلامية  
اذ كانت الفتنة الكبرى تتأقم فى جوانب العالم الاسلامى آنذاك ، وقتل  
الخليفة الراشد الثالث ذو النورين مظلوما ، فانتخبه أهل الحل  
والمقد من الصطبة المهاجرين والأنصار - رضى الله تعالى عنهم - ولم يكن  
هو بنفسه قط متطلما الى هذا المنصب ، بل رفض طلب المهاجرين  
والأنصار قائلا : -

" لاجابة لى فى أمركم ، أنا معكم ، فمن اخترتم رضيت به "<sup>(٢)</sup>  
ولما أصروا عليه وأجبروه على قبول هذا المنصب ، صعد منبر رسول

الله صلى الله عليه وسلم وقال : -

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٤ / ٢٤٥

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٤ / ٤٢٧



" انى كنت كارها لأمركم ، فأبىتم الا أن أكون عليكم  
 الا ، وانه ليس لى أمر دونكم ، الا ، ان مفاتيح لكم معى  
 الا ، وانه ليس لى أن آخذ منه درهما دونكم ، وضيتهم - ؟  
 قالوا : نعم

قال : اللهم اشهد عليهم ، ثم يا يهم<sup>(١)</sup> .  
 وقال فى أول خطبته التى ألقاها بعد ما تحل عب الخلافة :  
 " ان الله تعالى أنزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر  
 فخذوا بالخير ، ودعوا الشر ، ان الله حرم حرما  
 مجهولة ، وفضل حرمة المسلم على الحرم كملها ، وشهد  
 بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين ، والمسلم من سلم  
 المسلمون من لسانه ويده الا بالحق ، ولا يحل لمسلم أذى  
 مسلم الا بما يجب ، بادروا أمر العامة وخصه أحدكم الموت  
 فان الناس أمامكم وانما خلفكم الساعة ، تحذوبكم فتخفروا  
 تلحقوا ، فانما ينتظر بالناس أخوانهم ، اتقوا الله عباده  
 فى عباده وبلاده ، فانكم مسئولون ، حتى عن البقاع والبهائم  
 ثم أطيعوا الله ولا تمصوه ، واذا رأيتم الخير فخذوا  
 به ، واذا رأيتم الشر فدعوه<sup>(٢)</sup> .

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٤٢٨ / ٤

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية : ٧ / ٢٢٢ - ٢٢٨

لاشك في أن هذه الخطبة معلم من معالم الدولة الدعوية ،  
ولقد شهد التاريخ ، أن عمل علي بن طالب كرم الله وجهه ، كان أثبت  
وأقر بما قاله . . . . .

وفي الحق أن الراشدين - رضی اللہ تعالی عنہم - صدقوا في  
قولهم وفعلهم ، وفي سياستهم للدولة ، ونحو نفس المنحى الذي عينوه في  
خطابهم في ضوء كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والسرفسي  
نجاحهم بالحفاظ على مبادئهم الدعوية زهدهم الرائع وتقواهم المثالية ،  
فلم يروا أنفسهم فوق رعاياهم ، كما لم يخطر ببال أحد منهم - في  
حين من الأحيان - أن يدبر لتدعيم سلطته الشخصية ، فلم يحدث أي  
تغيير في حياتهم قبل الخلافة ومعدتها .

فيروي أن أبا بكر الصديق - رضی اللہ عنہ - كان يحلب للحس  
أغنامهم قبل أن يلقى على كاهله عبء الخلافة ، واستمر في خدمته  
هذه بعد توليه منصب الخلافة<sup>(١)</sup> .

وفرض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم للصديق بردين ، حتى  
إذا أخلقهما أخذ مثلهما ، ودابة إذا سافر ، والنفقة لأهله بمقدار ما كان  
ينفق عليهم قبل توليه منصب الخلافة<sup>(٢)</sup> . . . . . وعاش الصديق - رضی اللہ  
تعالی عنہ - على ما فرض له ، ولم يطلب زيادة من بيت مال المسلمين ،

(١) أنظر : ابن الجوزي : صفة الصفوة : ١ / ٢٥٨ .

(٢) أنظر : ابن سمي : الطبقات : ٣ / ١٨٤ - ١٨٥ .

وقال عندما احتضر : انظروا ملائكتي هاتين ، فاذا مت فاغسلوهما  
وكفنوني فيهما ، فان الحي أحوج الى الجديد من الميت .<sup>(١)</sup>

وكذلك عمر الفاروق - رضى الله تعالى عنه - كان يدخل على عجز  
عمياء ، ويخدمها ، ويخرج عنها الأذى ، واستمر في هذه الخدمة  
بعد ما تولى منصب الخلافة<sup>(٢)</sup> . . . . . كما رأى الناس قائما في الشمس فسى  
يوم شديد الحر ، يتفقد أهل الصدقة ، ويكتب ألوأنا وأسانها<sup>(٣)</sup> .

وها هو عثمان بن عفان - رضى الله تعالى عنه - ثالث الراشدين  
يقبل في المسجد ، ويقوم ، وعلى جنبه أثر الحمى ، وكان يطعم الناس  
طعام الامارة ، ويدخل بيته فيأكل الخبز والزيت<sup>(٤)</sup> .

وهذا على بن ابي طالب - رضى الله تعالى عنه - رابع  
الراشدين ، يتجول في السوق ، ويديه الدره ، ولا يشتري من يعرفه  
شيئا ، مخافة أن يراعيه في الثمن ، ويشتري من غلام كان لا يعرفه

---

(١) الملاءة : الأزار أو الملحفة ، جمعه : ملاء ( انظر ابن منظور : لسان العرب

( ١٦٠ / ١ )

(٢) أنظر : ابن سعد في الطبقات : ٣ / ١٩٦

(٣) أنظر : ابن الجوزي : صفة الصفوة : ١ / ٢٨١

(٤) أنظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٤ / ٢٠١

(٥) أنظر : ابن الجوزي : المصدر السابق : ١ / ٣٠٣ .

قميصا بثلاثة دراهم ، ولما أراد والد ذلك الفلام أن يرد اليه  
درهما ، لأن ثمن القميص كان درهمين ، لم يسترد الدرهم <sup>(١)</sup> . . . . .  
وخرج مرة الى السوق ليبيع سيفه ، ويشترى بثمنه ازارا كان يحتاج  
اليه ، وقال : " لو كان عندي أربعة دراهم اشترى بها ازارا ما بعته " <sup>(٢)</sup>  
وهكذا استطاع الراشدون - رضى الله تعالى عنهم - أن يحافظوا  
على أصالة الدعوة الاسلامية بزهدهم الرائع وتقواهم المثالية .

---

(١) أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ٨ / ٤

(٢) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ٨ / ٣

الفصل الثانى :

حياطة الراشدين البالفة لمقومات

المجتمع الاسلامى

وكذلك كان الراشدون - رضى الله تعالى عنهم - أروع مثال للحياطة  
البالفة لمقومات المجتمع الاسلامى ، اذ لم يتركوا فجوة صغيرة يدخل  
منها الضعف والوهن فى مجالات العقيدة والعمل ، والأخلاق والاجتماع ..  
فاصرار أبى بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - على ارسال  
جيش أسامة ، رقم اشارة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليه  
بارجائه <sup>(١)</sup> ، دليل واضح على تمسكه بأهداب النبوة تمسكا لا هوادة  
فيه .. . . . . وكذلك عزمه وصموده على قتال أهل الردة <sup>(٢)</sup> ، ومباشرة  
ذلك بنفسه يدل على شدة مفاظته على وحدة العقيدة والعمل فى  
بيئة المجتمع الاسلامى ، ولم يقتصر الصديق - رضى الله تعالى عنه -  
على قمع فتنة الردة واستعمالها فحسب ، بل اختار سياسة حذرة غاية الحذر ودقيقة  
غاية الدقة فى معالجة هذه الفتنة ، اذ لم يسمح لهؤلاء الذين اكتسحهم  
سيل الردة ، بالتصرب فى المجتمع الاسلامى ، فكان لا يستعين فى الجهاد  
بأحد من أهل الردة ، وجعل ذلك جزءا من سياسته وبرنامجه فى الحكم ..  
فكتب الى عماله : -

(١) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ٦ / ٣٠٩ .

(٢) أنظر : السيوطى : تاريخ الخلفاء : ٧٤ - ٧٥ .

" أما بعد ، فان أحب من أذختم في أموركم الى :

من لم يرتد ، ومن كان ممن لم يرتد ، فأجمعوا على

ذلك ، فاتخذوا منها صنائع ، وأذنوا لمن شاء في

الانصاف ولا تستعينوا بمرتد في جهاد عدوكم " (١)

كما كتب الى خالد بن الوليد وعياض بن غنم رضی الله تعالى عنهما :

" لا يفسزون معكم أحد ارتد ، حتى أرى رأيي " (٢)

ويبدو لنا من هذا الموقف الذي وقفه الصديق - رضی الله تعالى

عنه - دقة نظره وعمق فكره ، وبهله حياطته بسلامة الاسلام ، وسلامة

المجتمع . . .

وكان الفاروق - رضی الله تعالى عنه - أذن لمن ارتد أن يشارك

المسلمين في جهادهم ، وذلك بعد ما قوى أمر المسلمين ، فرأى ألا تبقى

هذه القوة معطلة ، ولكنه أيضا كان حذرا جدا في هذه المعاملة

فكتب الى سعد بن أبي وقاص - رضی الله عنه - ألا يبول أحد من

رؤساء أهل الردة على فرقة جيش تحوى ماثة نفر . (٣)

(١) أنظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٣ / ٣٤١ .

(٢) هو عياض بن غنم بن زهير بن أبى شداد القرشى : أسلم قبل الحديبية

وشهدها ، كان ابن عم أبى عبيدة ، استخلفه أبو عبيدة بالشام عندما

احتضر ، فأقره الفاروق ، وهو الذى فتح بلاد الجزيرة ، كان صالحا

فاضلا سمح يسمى " زاد الركب " يتعلم الناس زاده ، فاذا نفسد

نحر لهم جملة ، توفي بالشام سنة عشرين .

( أنظر : ابن الأثير : أسد الغابة : ٤ / ٣٢٧ - ٣٢٩ )

(٣) أنظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٣ / ٣٤٧ .

(٤) أنظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٣ / ٥٥٧ .

ومن جهة أخرى ، كان الفاروق - رضی اللہ تعالیٰ عنہ - يحذر غاية الحذر أن يتسرب في زمرة عماله أحد من المنافقين ٠٠٠ وأى خطر أخطر على الاسلام من النفاق - ٢٠ - ان النفاق - سواء كان عمليا او اعتقاديا - كمثل سوس يصيب الفلّة ، فيأكلها ، ويفسدها ولا يعلم صاحبها خطر الدمار الذي أتت به هذه الحشرة الصغيرة ٠٠٠٠ ويأكل النفاق شجرة العقيدة والعمل من داخلها ، حتى يتركها جوفاء ، خاوية ، ولا يشعر به الا من أعطاه الله قلبا سليما وبصيرة نفاذة ، ومن هنا تعرف قيمة شدة حياطة الخليفة الراشد الثاني في هذا الأمر فسأل مرة حذيفة بن اليمان - رضی اللہ تعالیٰ عنہ - : أفى عمالى أحد من المنافقين - ؟ وكان حذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في المنافقين ، بحيث يخبر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن المنافقين وأسمائهم أحدا من أصحابه غير حذيفة ٠٠٠ فقال حذيفة : نعم ، واحد ، ولكنه لم يدل عليه مباشرة ، فمرفه الفاروق - رضی اللہ تعالیٰ عنہ - ببصيرته وعزله ٠٠٠٠ وكان من عادة عمر ، أنه اذا مات ميت ، وأتى بجنازته ، سأل عن حذيفة ، هل حضر الصلاة عليه أم لا ، فان حضر الصلاة عليه ، صلى عليه عمر ، وان لم يحضر حذيفة ، لم يحضر عمر<sup>(١)</sup> وهكذا لم يستطع النفاق أن يستسرى في المجتمع الاسلامي ، في العهد الراشدي ، وخصوصا في دعائم الدولة وهي : عمال الولايات .

(١) أنظر : ابن الأثير : أسد الغابة : ١ / ٤٦٨ .

وكان من حياة الفاروق البالفة لمقومات المجتمع ، أنه لا يجب تزوج  
 الأجنبية لعماله ، فلم أن حذيفة بن اليمان - رضی اللہ تعالیٰ عنہ -  
 تزوج أجنبية - وكانت يهودية<sup>(١)</sup> - وكان واليا على المدائن في تلك الأيام  
 فكتب اليه عمر أن يطلقها ، وطلقها حذيفة بعدما اقتنع من دلائل الفاروق  
 رضی اللہ تعالیٰ عنہ .<sup>(٢)</sup>

ولا يظهر سر هذا الفكر الفاروقى العميق ، ودقته وأبعاده إلا بما ن  
 النظر في تاريخ الاسلام ، وفيما مر به العالم الاسلامى من الضعف ،  
 والشيخوخة في الحكم ، وما طناه من الانحطاط والانهيار ، والشتات ، بأنه  
 كان للزواج بالأجنبيات أثر بعيد في ذلك ، ولا سيما اذا كن زوجات للملوك والأمرأ<sup>(٤)</sup> .

(١) المراد بالأجنبيات : غير المسلمات من أهل الكتاب ، أما المسلمات  
 فلسن بأجنبيات من أى جنس كن .

(٢) أنظر : الجصاص : أحكام القرآن : ١ / ٣٣٣ .

(٣) أنظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٣ / ٥٨٨ .

(٤) ونضرب لذلك مثلا واحداً فقط : السلطان العظيم سليمان

القانونى ( ١٥٢٠ م - ١٥٦٦ م ) الذى كان من أعظم حكام

عصره ، كانت له زوجة يهودية روسية اسمها : خم اى

الباسمة ، استطاعت هذه الزوجة الأجنبية أن تنكب الدولة العثمانية

نكبات فاقرة عن تدبير اغتيال ولي عهد السلطان نفسه ، وهو ابنه مصطفى

واغتيال بعض الوزراء الذين كانوا من أكبر دعام الدولة ، ففعلت بهم

هذه الأجنبية ما فعلت ، وان في خبرها لمبرة لمن كان له قلب كقلب

عمر رضی اللہ عنہ - وفهم كفهمة . . . . .

( انظر : على حسون : تاريخ الدولة العثمانية : ٣٧ - ٣٨ )



ويدل كذلك على شدة حياة عصر لمقومات المجتمع الاسلامى ،  
 ما فعله برجل يقال له صبيخ ، كان يتجول فى معسكرات الجيوش الاسلامية  
 ويتساءل عن متشابهاة القرآن ، فقبض عليه عمرو بن العاص - رضى الله تعالى  
 عنه - عامل مصر ، وبعثه الى الفاروق ، فضربه عمر ، حتى ادمى رأسه ،  
 فقال صبيخ : " يا أمير المؤمنين ! ان كنت تريد قتلى ، فاقتلنى  
 قتلا جميلا ، وان كنت تريد أن تسداوينى ، فقد ذهب الذى كنت  
 أجد فى رأسى " فخطى سبيله ، ولكن كتب الى أبى موسى الأشعري -  
 رضى الله تعالى عنه - عامل البصرة ، أن يكون حذرا من أفكاره هذا  
 الرجل فلا يجالس أحد من المسلمين ، فكان الناس اذا رأوه يأتى الى  
 مجالسهم قاموا وتفرقوا ولو كانوا مائة .<sup>(١)</sup>

وهل كان التساؤل عن متشابهاة القرآن جريمة نكراء ، تستحق  
 تلك العقوبة الموجعة التى عاقب بها عمر صبيخا - ؟ الظاهر لا يوافق  
 ولكن اذا نظرنا فى أبعاد ما ارتكبه صبيخ ، تبين لنا أصابة رأى عمرو دقة  
 نادره وعمق فكره . . . . . فلا يخفى على الذين لهم علم بنشاط عملاء  
 الحركات الهدامة المعاصرة ، أنهم يفتنون دائما على جهتين  
 وهما : الجيش والتعليم . . . . . فيستغلون قلة صلة الجنود بالمعارف  
 الاسلامية وغيرها ، وجوانب ضعفهم الأخرى ، كما يستغلون عموم  
 فكر النشر الجديد فى المدارس والمعاهد والجامعات . . . . . فكان تجول

(١) انظر : الدارمى : السنن : ١ / ٥٤ - ٥٦

انظر : ابن عساکر : (تهذيب) تاريخ دمشق : ٦ / ٣٨٢ .

صبيخ المراتى فى معسكرات الجيوش الاسلاميه خطرا مدهشا تنبهت اليه بصيرة عمر الفاروق ، فعالج القضية حسب مقتضاها على الفور .

وفى الحق تحتاج الدولة الاسلاميه الدعويه الى هذه النباهة الفكرية والى هذه الحيطة البالغة لمقومات المجتمع الاسلامى أكثر من الماضى فى الحاضر ، وأكثر من الحاضر للمستقبل ، لأن بعد الزمان من خير القرون يفتح أبوابا متنوعه للشرف والفساد ، فتشتد حاجة سد الأبواب من هذه النسبة ٠٠٠٠ والتاريخ الاسلامى شاهد على أنه لم تواجه الدولة الاسلاميه بالضعف ، والشيوخة والانهياء ، الا اذا ضعف القائمون بإدارتها فى جانب هذه النباهة الفكرية والحيطة البالغة ، اللتين كانتا من أهم مميزات الراشدين رضى الله تعالى عنهم .

### الفصل الثالث :

دعوية الحكم الراشدي في ضوء علاقاته الخارجية

أما دور الراشدين - رض الله تعالى عنهم - في المجال الخارجي وهو : حمل رسالة الاسلام الى الناس كافة ، فقد أدوا واجبهم بنفاية الحكمه والحكمة ، ونجد هذه الحكمة ، والكياسة في وصايا الراشدين لأمرأء الجيوش ، وفي رسائلهم ، فاقروا وصايا<sup>(١)</sup> أبي بكر الصديق الموجهة الى يزيد بن أبي سفيان ، حين بعثه الى الشام ٠٠٠ واقروا وصايا<sup>(٢)</sup> عمر الفاروق الى سعد بن أبي وقاص - رض الله تعالى عنهم أجمعين - تجسدونها تنم عن الكياسة الراشدية العبقريّة ، وتوضح أهدافهم الدعوية العظيمة ، كما أنها تبرز أخلاق المسلمين الفاضلة وسلوكهم المتميز ازاء أعدائهم وان كانوا مطربين ٠٠٠٠ وقد يخيل لمن يسمع هذء الوصايا ، - وهو لا يعرف صاحبها - أنها صدرت من معلم مرشد شفيق ، لامن طم حازم تنهاوى الممالك أمام جطافه ٠٠٠٠ ولكن لاغروا فانها خرجت من قلب قد اعتبر الدولة بكاملها أداة من أجل مصلحة الدعوة ، التي تكمن فيها المصلحة الحقيقية للبشر قاطبة فسى آجلتهم وطاجلتهم ٠٠٠ ونلمح في آفاق هذه الوصايا نضجا ومهارة متفوقين في معالجة علاقات الدولة الدعوية بأعدائها .

(١) اقرأ نهر هذه الوصايا بكاملها في (أ) الأزدى : تاريخ فتوح الشام :

١٢ - ١٣٠ (ب) ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٢٧٦/٢ - ٢٧٧

(٢) أقرن هذه الوصايا في المقدم الفريد : ١٣٠ / ١ - ١٣٢ .

وهناك معاهدات الصلح للراشدين - رضی اللہ تعالیٰ عنہم - وهی  
تم عن أبعاد أهدافهم السامية فی حروبهم من أجل مصلحة الدعوة ، وتبرز  
استقامتهم على الروح الدعوية لدولة الاسلام ، كما كانت هذه المعاهدات  
تكفل مصالح المستسلمين للدولة الدعوية السی أبعد حد ممكن ، وتهيئ  
لهم الجو المناسب ، ليعاشروا المسلمين ، وليشاهدوا البركات التي فتحها  
رب السماوات والأرض على المسلمين ، ولينظروا - عن كتب - الجبر  
المشالي الرائع للمجتمع الاسلامی الدعوی ، فلهلم ينتفعون بالهداية  
الربانية .

ويمكن أن نلخص تلك المبادئ الأساسية التي تشملها هذه  
المعاهدات كالتالى :

( أ ) اعطاء الأمان للمجاهدين على أنفسهم وأموالهم ، وأديانهم  
ومعابدهم .<sup>(١)</sup>

( ب ) تعيين الفئات التي تشملها المعاهدة ، واعطاؤها حرية  
الاختيار بين الإقامة في البلاد ، أو الخروج منها ، ومن خرج فله  
الأمان حتى يبلغ مأمنه .<sup>(٢)</sup>

( ج ) فرض الجزية عليهم على قدر الطاقة وبشروط محددة .<sup>(٣)</sup>

---

( ١ - ٢ - ٣ ) مبادئ عامة ، تشمل كل معاهدة الصلح للمسلمين

في تلك الأيام ، أنظر على سبيل المثال نص معاهدة

إيلياء ( بيت المقدس )

( الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٦٠٩ / ٣ )

- ( د ) وضع الجزية عن يستعين بهم المسلمون في الحروب <sup>(١)</sup> .
- ( هـ ) تكفل الدفاع عن المهاددين <sup>(٢)</sup> .
- ( و ) ابراز سيطرة الحكم الاسلامي على المهاددين <sup>(٣)</sup> .
- ( ز ) المحافظة على مقومات الكيان الاسلامي ، وعدم السماح بتسرب خصائص أخرى إليها ، كما يبقى سليما ، قويا ، قادرا على حمل الرسالة وأداء الأمانة اللتين نيظتا به <sup>(٤)</sup> .
- ( ح ) وقد تضاف شروط تقضيها الظروف وتحقيق الأهداف .
- وجاءت الدولة الراشدية بفضل سياستها الدعوية ، وبحكم هذه الوصايا القيمة ، والمعاهدات المادلة بثمرات كثيرة في حقل الدعوة الاسلامية ، وانتشرت الدعوة في جزء كبير من المعمورة ، في مدة لا تتجاوز ربع القرن <sup>(٥)</sup>

---

(١) أنظر نص معاهدة أهل جرجان : ( الطبري : تاريخ الرسل والملوك :

٤ / ١٥٢ )

(٢) أنظر : ابو يوسف : كتاب الخراج : ١٥٠ .

(٣) ، (٤) أنظر نص معاهدة الصلح بنصاري الشام :

١ - ابن حزم : المحلى : ٧ / ٤٠٥ .

٢ - ابن عساکر : ( تهذيب ) تاريخ دمشق : ١ / ١٧٩

٣ - ابن قيم : أحكام أهل الذممة : ٦٥٧ - ٨٢٣ .

(٥) كان قد وصل الفتح الاسلامي في عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان

ذي النورين رضي الله تعالى عنه في سنة ثلاثين من الهجرة ، في الشرق

الى سبجستان وكابول ( عاصمة أفغانستان ) وفي الشمال : الى جرجان

وطبرستان ، وفي المغرب الشمالي : الى آرمينية ، وفي الغرب الى

قرطاجنة ( طرابلس ) في شمال قارة افريقيا .

انظر : البلاذري : فتوح البلدان : ٢٦٧ - ٤١١ - ٤٨٤ - ٤٨٥

أنظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٣ / ٨٣ - ٨٦ - ٩٢ - ١٢٨ .

ولم يكن فتح الراشدين - رضی اللہ تعالیٰ عنہم - فتح البلاد والأقطار فحسب  
 إنما كان فتحهم فتح القلوب والمشاعر ، وامتلاك الأذهان والمواطف ، ويكفى  
 أن تضرب لذلك مثالا واحدا : كانت الجيوش الإسلامية زاخفة على أرض  
 الشام ، تفتح المدن والقرى ، فتآمرت الروم أن تقاوم هذه القوة الزاخفة  
 بكل عددها وعدتها ، واجتمع جمع كبير لهم بميدان اليرموك ٠٠٠ وكان  
 أمير الجيوش الإسلامية أبو عبيدة بن الجراح - رضی اللہ تعالیٰ عنہ -  
 أعطى بعض تسهيلات للمجاهدين ، فأصبحوا جواسيس للمسلمين ، وكانوا  
 يزودونهم بأخبار الروم ، فجاءوا بخبر اجتماع الروم في اليرموك ، فكتب  
 أبو عبيدة إلى جميع من تولى إمارة البلاد المفتوحة ، أن يردوا إلى  
 المجاهدين ما جبي منهم من الجزية والخراج ، ويصرحوا لهم : بأن  
 هذا المال أخذناه بشرط أن ندافع عنكم ، أما الآن ، فلا نقدر على ذلك ،  
 فنرده اليكم ، ونحن على عهدنا ، إذا انتصرنا على عدونا باذن الله . .  
 ولما خرج المسلمون إلى اليرموك ليقاوموا هناك القوة المجتمعة للروم  
 قال أهل الذمة :

" ردكم الله علينا ، ونصركم عليهم ، فلو كانوا مكانكم

لم يردوا علينا شيئا ، وأخذوا كل شيء بقى لنا

حتى لا يدعوا لنا شيئا .<sup>(١)</sup>

(١) أبو يوسف : كتاب الخراج : ١٤٩ - ١٥٠ .

ان هذا الخبر يبرز لنا صورة مشرقة مما أنجزه الراشدون  
 - رضى الله تعالى عنهم - من مهمما تهم الدعوة ، من تسخير قلوب  
 الناس ومشاعرهم ، كما أنه يدل على كمال أمانة الرعيل الأول بصدق  
 أموال الناس ، ولقد تأثر أهل الذمة بهذه الصفة الغالية ، إذ أن  
 المال مصدر أنواع من الفتن - مع كونه مصدر أنواع من الخير -  
 وفي مقدمتها الخيانة ، فإذا كانت أمانة الراشدين - رضى  
 الله تعالى عنهم - بصدق أموال أهل الذمة قد بلغت الى هذا  
 المستوى العالى ، فما بالكم بأمانتهم بصدق أموال المسلمين - ؟  
 وفي الحق ، كانوا يتقون الله حق تقاته فى أموال المسلمين ،  
 فلا يجيبون درهما الا حل فى حل ، ولا ينفقون الا فى حل ، ولا بأس لو  
 ذكرنا - بهذه المناسبة - خبرا يدل على غاية أمانة الفاروق -  
 رضى الله تعالى عنه - وعلى نبأه وتقاؤه ، يقول أبو عثمان النهدي <sup>(١)</sup> :  
 " كنت مع عتبة بن فرقد <sup>(٢)</sup> ، حين افتتح أذربيجان

---

(١) هو عبد الرحمن بن مل بن عمرو بن عدى ، أسلم فى حياة  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يره ، كان قائم الليل وصائم  
 النهار ، وكان عريف قومه ، مات فى سنة مائة من الهجرة .  
 ( أنار : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٦ / ٢٧٧ )

(٢) هو عتبة بن فرقد بن يربوع بن حبيب السلمى ، غزا مع رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم غزوتين ، ولاء عمرا الموصل ، ونزل عتبة  
 بعد فتح أذربيجان الكوفة ، ومات بها .  
 ( أنار : ابن الأثير : أسد النابة : ٣ / ٥٦٧ - ٥٦٨ )  
 " : ابن حجر : الاصابة : ٢ / ٤٤٨ )

(١)  
 فصنع سقطين من خبيص والبسهما الجلود واللبود ، ثم  
 بعث الى عمر مع سحيم مولى عتبة ، فلما قدم عليه  
 قال : ما لذى جئت به - ؟ اذهب أم ورق - ؟ وأمر  
 به فكشف عنه ، فذاق الخبيص ، فقال : ان هذا لطيب  
 أثر ، أكل المهاجرين أكل منه شبعه - ؟ قال : لا  
 انما هو شوع خصك به . فكتب اليه : " من عبد الله  
 عمر ، أمير المؤمنين ، الى عتبة بن فرقد ، أما بعد  
 فليس من كذك ولا كد أمك ، ولا كد أبيك ، لاننا كل  
 الا ما يشبع منه المسلمون في رحلتهم " (٢)

وروى الامام مسلم - رحمه الله - هذه الرواية عن أبي عثمان  
 النهدي فقال :

" كتب اليها عمر ، ونحن بأذربيجان ، يا عتبة بن فرقد  
 انه ليس من كذك ولا كد ابيك ولا من كد أمك ، فأشبع  
 المسلمين في رحلتهم مما تشبع منه في رحلك ، وإياكم  
 والتنعم وزى أهل الشرك ، ولبسوس الحرير ، فان رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم نهى عن لبسوس الحرير ، قال : الا هكذا  
 ورفع لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبعيه الوسطى  
 والسبابة وضمهما " (٣)

- 
- (١) السقط : وطء كالجوالق ، أو ما يعبا فيه الطيب ، وما أشبهه من أدوات  
 النساء ، والجمع : أسقاط (انظر: ابن منظور : لسان العرب ٧ / ٣٦٥ .)  
 (٢) أنظر البلاذري : فتوح البلدان : ٤٠٢ - ٤٠٣ .  
 (٣) أنظر : الصحيح : ١٤ / ٤٥ - ٤٦ .



ونستفيد من الجمع بين الروايتين بعضا من مميزات الدولة الدعوية

فهي :

– المساواة بين الأمير والمامورين في كل طجات الحياة ، حتى الأكل والشرب .

– على الأمير تفقد أحوال المأمورين .

– اجتناب الترف والاسراف في التمتع .

– اجتناب زى أهل الشرك ، كالثياب ما كان .

– الامتناع عن لبس الحرير الا بمقدار الأضمين .

ما لا يرب فيه أن الراشدين – رضى الله تعالى عنهم – كانوا

أروع مثال وأكمل نموذج لاتباع الدولة النبوية الدعوية ، وعهدهم

كان امتدادا بشريا لعهد النبوة ، وجسما في أثرهم صحابى

جليل وحكم العالم الاسلامى عشرين سنة وهو معاوية بن أبى سفيان

رضى الله عنهما وسنتكلم في حكمه – بايجاز – في الفصل التالى :

الفصل الرابع :

حكم معاوية الدعوى

ان شخصية معاوية بن أبي سفيان - رضى الله تعالى عنهما -  
تتعلق بها ذكريات تستغلها الأفكار الفاسدة لتشويه سمعة الصطبة  
- رضوان الله عليهم أجمعين - ، وأما الذين لهم قلوب مشرقة ، فلا  
يسرون غبارا على أحد من أولئك الصطبة الذين ابتلاهم الله سبحانه  
وتعالى ، بلاء حسنا في مرحلة عسيرة من مراحل التاريخ الاسلامي . . .  
وهناك أذهان ناشئة تحتاج أن تُنقى بتحليل دقيق لمواقف الرعييل  
الأول المختلفة ، والا استغلها فئات الأفكار الفاسدة وأعداء الدعوة  
الاسلامية ، وبما أننا نرى عهد معاوية رضى الله عنه عهدا  
دعويا خالصا ، نحتاج الى ذلك التحليل ، ولكنه يقتضى تسويد  
مئات من الصفحات ، فنكتفى بتحليل موجز يفيد الأذهان السليمة ان شاء  
الله والتوفيق بيد الله ، من يهدى الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا  
هادى له .

البحث الأول :

تحليل موقف معاوية في الفتنة الكبرى

يجب أن نعرف أولاً ، أن النصف الأخير من عهد عثمان ذي النورين  
رضي الله عنه كان عهداً أرسده أعداء الإسلام لاحداث فتن تطول اطفاء  
نور الله وابادة الدين الخفيف ، أو لاحداث الانتشار الفكري - على الأقل -  
وافساد العقائد السليمة ، وكان حطلم راية هذه الفتنة عبدالله بن سبأ  
الحميري اليهودي ، بحيث أظهر اسامه ، وليس مسوح الورع والتقوى ،  
وأخذ يتنقل في بلاد المسلمين يوجب نار الفتنة ضد عثمان ذي النورين  
رضي الله تعالى عنه <sup>(١)</sup> . وانتجت هذه الفتنة الخبيثة في نهاية سنة خمس  
وشلاثين مأساة أليمة في التاريخ الاسلامي ، وهي : مقتل الخليفة  
الراشد الثالث عثمان ذي النورين رضي الله تعالى عنه . . . ثم لمبت الفتنة  
دورا كبيرا في تشويبه صور الأخبار فحدثت بذلك مأساة الجمل ، ومأساة  
صفين ، والذي تولى كبر هذه المهمة الخبيثة هو عبدالله بن سبأ  
اليهودي <sup>(٢)</sup> .

(١) أنظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٧٢/٣ - ٧٣ و ٧٧ - ٧٨

(٢) أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ٨ / ٢٣٨ - ٢٤٠ .

ولا يخفى على الذين لهم العلم بالاعلام المعاصر ، أن اليهود يقولون - أغلبية - وسائل الاعلام العالمى فى حاضرنا ، ومن أدق استراتيجيتهم فى هذا المجال : تشويه صور الأخبار لتحقيق أهدافهم المنشودة ، فيما أن العصر الحاضر عصر النهضة العلمية والفكرية ، فيكذبون بنهاية المكر والدهاء ، تارة ينشرون ويندفعون أخبارا لا أصل لها ، ثم يمتدرون ، وقد لعبت تلك النشرة والاذاعة دورها فى الأذهان الناعسة الساذجة ، وفى غالب الأحيان يدخلون فى سياق النشرة الاخبارية كلمات مدققة ومدبرة لها تأثير خاص فى تحويل الانطباعات من الأخبار الصادقة الواقعية ، يعنى ، الأخبار تنشر فى ظاهرها طبق ما حدث فعلا ، ولكن الكلمات التى أدخلتها المقبول اليهودية فى صياغتها توحى الى معانى لها تعابير مختلفة فينتهز الفرصة عملاؤهم المنتشرون فى أنحاء العالم فيصوغون الخبر حسب ما تشتهييه أهدافهم وغاياتهم ، فى ضوء ما تسمح لهم ظروفهم .

فإذا كانت العقلية اليهودية تلعب بالأخبار بهذه الصورة فى العصر المتحضر الذى يملك الوسائل الاعلامية الحديثة المتنوعة ٠٠٠٠ فما بالك بهذه العقلية الماكرة فى ذلك العصر الذى لم يكن يملك الوسائل الاعلامية المتحضرة ٠٠٠ ؟ ألم تكن تستغل الفرصة لتحقيق غايتها - ؟ ألم تكن تشوه صور الأخبار - ؟ ألم تكن تصوغها الصياغة المرغوبة لديها - ؟ ٠٠٠ وقد حدث فعلا ، فقد أبلضت هذه الوسائل الاعلامية الكاذبة آنذاك الى جيش معاوية رضى الله عنه خيرا كاذبا بأسره ، بأن عليا - رضى الله تعالى عنه - هو قاتل عثمان ، وأنه لا يصلى ، ولا يصلى جيشه (١) ٠٠٠٠

(١) أنظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٥ / ٤٣ - ٤٤

(٢) أنظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٣ / ١٥٩ .

فهل يستطيع أحد أن يتصور صحة هذا الخبر - ؟ ٠٠٠٠ ولكن العقلية  
 الماكرة الخادعة كانت تزخرف الأناذيب وتتشورها لتضليل العقول غير  
 الناضجة من كلا الجانبين ، وكيفا تبذر - على الأقل - بذر سموم  
 التفاهم بين الأطراف ٠٠٠ ومن أجل ذلك يجب أن نرفض في هذا الصدد  
 كل خبر يؤدي إلى القهقري في الصطبة - والحق أنه لم يصدر خبر  
 مثل ذلك عن مصدر صحيح - إذ أن القده في الصطبة . وخصوصا في  
 أجلة الصطبة . يؤدي إلى التقييم في تربية رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ، وهذا أمر خطير في باب العقيدة الإسلامية ، ولقد ضلت الشيعة  
 من أجل ثقتها بالأخبار التي زيفتها العقلية اليهودية في تلك الأيام .

ويجب على من يريد السلامة في هذا الباب أن يختار الموقف الصحيح  
 الذي يليق بشأن أولئك الصطبة الأجلة رضى الله تعالى عنهم ! جميعين  
 وقد بينه الأئمة النوروى رحمه الله فقال :

" وأما معاوية رضى الله عنه ، فهو من المدول الفضلاء  
 والصطبة النجباء ، رضى الله عنه ، وأما الحروب التي  
 جرت ، فكانت لكل طائفة شبيهة اعتقدت تصويب أنفسها  
 بسببها ، وكلهم عدول رضى الله عنهم ، ومتأولون في حروبهم  
 وغيرها ، ولم يخون شئ من ذلك أحدا منهم عن العدالة ،  
 لأنهم مجتهدون ، اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد ،  
 كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها ،  
 ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم ، وأعلم أن سبب تلك الحروب

أن القضايا كانت مشتبهة ، فلشدة اشتباهاها اختلف  
 اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام : قسم ظهر لهم بالاجتهاد  
 أن الحق في هذا الطرف ، وأن مخالفه باغ فوجب عليهم  
 نصرته وقاتل الباغي عليه فيما اعتقوه ، ففعلوا ذلك ، ولم  
 يكن محل لمن هذه صفة التأخر عن مساعدة امام العدل  
 في قتال البغاة في اعتقاده . وقسم عكس هؤلاء ظهروا  
 لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر ، فوجب عليهم  
 مساعدته وقاتل الباغي عليه ، وقسم ثالث اشتمت عليهم  
 القضية ، وتحيروا فيها ، ولم يظهر لهم ترجيح أحسد  
 الطرفين ، فاعزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب  
 في حقهم ، لأنه لا يحل الاقدام على قتال مسلم حتى يظهر  
 أنه مستحق لذلك ، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين  
 وأن الحق معه ، لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال  
 البغاة عليه . فكلهم محذرون رضى الله عنهم ، ولهذا  
 اتفق أهل الحق ومن يمتد به في الاجماع على قبول  
 شهاداتهم ورواياتهم وكسال عدالتهم ، رضى الله  
 عنهم أجمعين .<sup>(١)</sup>

---

(١) النسوى : شرح صحيح مسلم : ١٥ / ١٤٩ .

وبناءً على هذا نقول : ان هناك خبراً صحيحاً يوضح سلامة نية  
 معاوية - رضي الله عنه - واخلاصه لله تعالى ، فيما اختاره مسن  
 الموقف ، وما فعله طول عهد حكمه . ولقد رواه الحفاظ ابن كثير  
 عن عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن ، ثنا  
 المسور بن مخرمة ، أنه وفد على معاوية ، فلما دخلت عليه - حسبت  
 أنه قال : سلمت عليه - فقال : ما فعل طعنك على الأئمة يا مسور؟  
 قال : قلت : ارضنا من هذا ، وأحسن فيما قدمنا له . فقال : تكلمني  
 بذات نفسك . قال : فلم أدر شيئاً أعيبه عليه إلا خبرته به . فقال : لا تبرأ  
 من الذنوب ، فهل لك من ذنوب تخلف أن تهلكك ان لم يغفرها الله لك؟  
 قال : قلت : نعم ، ان لي ذنوباً ان لم يغفرها هلكت بسببها ، قال :  
 فما الذي يجعلك أحق بأن ترجوانت المنفرة مني - ؟ فوالله لما السى  
 من اصلاح الرطيا ، واقامة الحدود ، والاصلاح بين الناس ، والجهاد في  
 سبيل الله ، والأمور العظام التي لا يحصيها الا الله ،  
 ولا نحصيها ، أكثر مما تذكر من العيوب والذنوب . وانى لعلى دين يقبل  
 الله فيه الحسنات ويغفر عن السيئات . والله على ذلك : ما كنت لأخبر بين  
 الله وغيره ، الا اخترت الله على غيره مما سواه . قال : ففكرت حين  
 قال لي ما قال ، فمضت أنه قد خصني . قال : فكان المسور اذا ذكره  
 بعد ذلك دعا له بخير . وقد رواه شعيب عن الزهري عن عمرو عن  
 المسور بنحوه .  
 (١)

فالرواية لها سندان صحيحان ، وتوضح لنا صحة نية معاوية رضي  
الله تعالى عنه في أفعاله بأنه اختار الله سبحانه وتعالى على غيره مما سواه  
في جميع ما أنجزه من مهماته في الدولة الاسامية ، فكان مجتهدا مخلصا  
لله ، ان أصاب فله أجران ، وان أخطأ فله أجر واحد ، نقول رسول  
الله صلى الله عليه وسلم :

• اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، واذا  
حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر .<sup>(١)</sup>

ثم انه يجب ألا يغيب عنا أن الصطبة - رضوان الله عليهم  
أجمعين - ليسوا بالمعصومين ، ولم يسلموا من الخطأ الاجتهادي  
والله سبحانه وتعالى لم يتخذنا بأفعالهم ، ولسنا ملزمين باتباعها  
الا من خلال الكتاب والسنة ، اللذين هما مصدرا الدين ، وهما  
المقياس الذي نقيس به كل ما عداهما من أقوال البشر وأفعالهم ، فما  
وافقهما قبلناه ، وما خالفهما فارقناه اليهما . . . . . ويجب أيضا ألا  
يغيب عنا أنه من اختار اجتهاد صحابي ، اختاره برأيه واجتهاده ،  
فهو المسئول عن رأيه واجتهاده .

• تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم .

---

(١) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٢ / ١٣



البحث الثاني :

حكم معاوية الدعوى

يبدأ حكم معاوية رضى الله تعالى عنه من سنة ٤١ هـ بعد ما تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب - رضى الله تعالى عنهما - عن الحكم ، وحصلت له البهجة العامة من المسلمين ، وسعى ذلك العام بظلم الجماعة ، واجتماع الكلمة فيه على أمير واحد بعد الفرقة ، واستمر الى سنة ٦٠ هـ ، فكان حكما دعويا خلاصا ، وان اختلف العلماء فى تعيين التصور المأم لحكمه رضى الله عنه .

فذهب البعض الى أن يسى حكمه خلافة ، فمنهم : القاضى أبو بكر بن العربي <sup>(١)</sup> ، والمؤرخ الشهير العلامة ابن خلدون ، وقد تكلم ابن خلدون ، فى هذا الموضوع بالتفصيل وعد معاوية رضى الله تعالى عنه من الخلفاء الراشدين <sup>(٢)</sup> .

وذهب البعض الى أن يسى حكمه ملكا ، ومنهم الامام ابن تيمية <sup>(٣)</sup> ، والحنظلي ابن كثير - رحمهما الله تعالى - ومع تسميتهم حكمه ملكا ، اثنوا عليه خيرا كثيرا ، ولم ينسبوا اليه أى انحراف عن الجادة الدعوية

(١) أنظر : العواصم من القواصم : ١٤٩ .

(٢) أنظر : تاريخ ابن خلدون : ٢ / ١١٤٠ - ١١٤٢ .

(٣) أنظر : منهاج السنة : ٣ / ١٨٥ .

(٤) أنظر : الهداية والنهاية : ٨ / ١٣٥ .

فقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :  
" فلم يكن من ملوك المسلمين ملك خيرا من معاوية ، ولا  
كان الناس في زمان ملك من الملوك خيرا منهم في زمن  
معاوية ، اذا نسبت ايامه الى ايام من بعده ، واما اذا  
نسبت الى ايام ابي بكر وعمر ، ظهر التفاضل <sup>(١)</sup> "

- وقال ايضا :

" وكانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سيرة الولاة ، وقد  
كانت رعيته يحبونه ، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى  
الله عليه وسلم انه قال : خيار ائمتكم الذين تحبونهم  
ويحبونكم ، وتصلون عليهم ، ويصلون عليكم ، وشرار ائمتكم  
الذين تمفنونهم ويمنفونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم <sup>(٢)</sup> . "

- وقال الطافظ ابن كثير رحمه الله :

" واجمعت الرطايا على بيعته في سنة احدى وأربعين  
كما قدمنا ، فلم يزل مستقلا بالأمر في هذه المدة الى  
هذه السنة التي كانت فيها وفاته ، والجهاد في بلاد  
المدو قائم ، وكلمة الله عليه ، والغنائم ترد اليه من  
أطراف الأرض ، والمسلمون معه في راحة وعدل وصفح <sup>(٣)</sup> وغزو "

---

(١) أنظر : منهاج السنة : ٣ / ١٨٥ .

(٢) أنظر : منهاج السنة : ٣ / ١٨٩ .

(٣) أنظر : البداية والنهاية : ٨ / ١١٩ .

وكان في عهده عدد كبير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرو عن أحد منهم ينصب الى معاوية الانحراف عن الجادة الدعوية بل روى عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : " ما رأيت رجلا أخلق بالملك من معاوية <sup>(١)</sup> " وقال الامام الليث بن سعد : حدثنا بكير عن بشر بن سعيد أن سعد بن أبي وقاص - رضى الله عنه - قال : " ما رأيت أحدا بعد عثمان أفضى بحق من صاحب هذا الباب - يعنى معاوية <sup>(٢)</sup> " وروى الطفا بن كثير عن الأعمش عن مجاهد أنه قال : " لو رأيت معاوية لقاتم : هذا المهيدى <sup>(٣)</sup> "

وفى الحقيقة شهرت السبيثة - وليدة اليهود - مصادر الأخبار آنذاك فاضطربت ، وجعلوا شخصية معاوية رضى الله عنه هدفًا يرمى اليه ، ولقد أشار معاوية بنفسه الى ذلك ، روى أنه سئل مرة : " أسرع اليك الشيب - ؟ " فقال : " كيف لا - ؟ ولا أزال أرى رجلا من العرب قائما على رأسى ، يلحق لى كسلا ، يلزمنى جوابه ، فان أصبت ، لم أحمد ، وان أخطأت ، سارت بها البرود <sup>(٤)</sup> "

ولا شك فى أن سياسة معاوية - رضى الله تعالى عنه - كانت تختلف - نسبيا - عن سياسة الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم ، وسبب ذلك أن الأوضاع فى عهده أصبحت متغيرة جدا بالنسبة الى الأوضاع التى

- 
- (١) أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ٨ / ١٣٥ .  
 (٢) أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ٨ / ١٣٣ .  
 (٣) أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ٨ / ١٣٥ .  
 (٤) أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ٨ / ١٤٠ .

كان واجهها أبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وثمان ذو النورين —  
رضى الله عنهم أجمعين — في عهده الأول . فكانت المعركة دائمة  
أفذاك بين الكفر والاسلام فحسب ، وان كانت الردة دخلت العالم  
الاسلامى بصورة سيل شديد ، ولكن الفراسة الصديقية تغلبت عليها  
وقضت عليها قضاء مبرما ، ثم أصبحت داخية العالم الاسلامى فارقة ممن  
عناصر الفساد والنفاق ، ولما حمل معاوية رضى الله عنه عب الحكم الاسلامى  
كانت الأوضاع متغيرة جدا كانت معارك المسلمين دائمة مع كفار الروم  
على الثغور ، بينما كانت داخية العالم الاسلامى تواجه فتنة السبئية  
والخوارج ، والمسلمون الجدد كانوا يتمايلون مع تيارات الفتن ، وذلك لقلية  
ثقافتهم الاسلامية ، وقلة معلوماتهم الدينية ، فالأوضاع كانت تهدد الحكم  
الاسلامى آنذاك ، والمصلحة كانت تقضى العمل بالرخصة والفرصة ، فكانت  
سياسة الراشدين دائمة في اطار المعزمية فقط ، وكانت سياسة معاوية دائمة  
في اطار الرخص والمعزمية ٠٠٠٠ ولقد أشار معاوية — رضى الله تعالى عنه —

الى هذه الحقيقة بكل صراحة فقال في خطبة له : —

« ولقد رمت نفسى على عمل ابن ابي تحافة ، فلم أجدها تقوم

بذلك ولا تقدر عليه ، وأردتها على عمل ابن الخطاب ، فكانت

أشد نفورا وأعظم هربا من ذلك ، وطولتها على مثل

سنيات عثمان ، فأبت على ، وأين مثل هؤلاء — ؟ ومن

يقدر على أعمالهم — ؟ هيئات أن يدرك فضلهم أحد من

بعدهم ، رحمة الآه ورضوانه عليهم ، غير أنى سلكت

بها طريقا لى فيه منعمة ولكم فيه مثل ذلك ۞ وكلل فيه  
مواكلة حسنة ۞ ومشاربة جميلة ۞ ما استقامت السيرة و حسنت  
الطاعة ۞ فان لم تجدوا فى خيركم فانا خير لكم ۞ والله ۞  
لا حمل السيف على بن لاسيف معه ۞ وسهما تقدم ما قد  
علمتموه فقد جعلته دبر اذنى ۞ وان لم تجدوا اقوم  
بحقكم كله ۞ فارضوا منى ببعضه فانها بقابضة قوسها  
وان السيل اذا جاء يبرى ۞ وان قل اغضى ۞ واياكم والفتنة  
فلا تهمسوا بها فانها تفسد المعيشة وتكدر النعمة وتورث  
الاستيصال ۞ استخفر الله لى ولكم (١) ۞

ومن ناحية اخرى ۞ كان عهد معاوية بن ابي سفيان - رضى الله تعالى  
عنهما - عهد فتوحات اسلامية رائعة ۞ وكان قد توقف الفتح الاسلامى  
فى اواخر ايام عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ۞ وكان سببه الرئيسى  
ثوران الفتن الداخية التى اثارها ابو الصهيونية عبد الله بن سبا اليهودى  
فشغل العالم الاسلامى بها ۞ وتوقف سيل اسلام الفياض الذى كاد ان  
يقضى على سلطة الطواغيت ۰۰۰

ولما تولى معاوية رضى الله تعالى عنه زمام الخلافة ۞ استأنف الفتح  
الاسلامى ۞ وسارت رايات الفاتحين خلفه الى الشرق ۞ مرفرفة الى  
الغرب ۞ ويروى ان معاوية رضى الله عنهما غزوا أرض الروم ست عشرة غزوة ۞  
تذهب سرية فى الصيف ويشتوا بأرض الروم ۞ ثم ثقل وتعقبها اخرى ۞ وكان  
فى جملة من أغزا ابنه يزيد ومعه خلق من الصطبة ۞ فمبىروا الخليج - باسفورس -

(١) انظر : الذهبى : تاريخ الاسلام : ٢ / ٣٢٠  
۞ ابن كثير : الداية والنهاية : ٨ / ١٣٢ ۰

وهاجروا مدينة قيصر القسطنطينية ، وقيل : ان آخر ما أوصى به معاوية  
رضي الله تعالى عنه أن قال : شد ختاي السوم<sup>(١)</sup> .

وكان معاوية - رضي الله تعالى عنه - في حياته الشخصية صالحا  
زاهدا ، عابدا تقيا ، محاسبا لنفسه ، كان يلبس لباسا عاديا ، وفي بعض  
الأحيان مرقوفا<sup>(٢)</sup> ، كان يواظب على قراءة جزء من القرآن الكريم كل يوم بعد  
صلاة الفجر ، كما كان من عادته أنه كان يصلي أربع ركعات بعد صلاة  
المغرب ، يقرأ في كل ركعة خمسين آية ، يجهر بها تارة ، ويخافت بها  
أخرى<sup>(٣)</sup> . . . . . وان هذه الصفات الطيبة ، يلزم لأمر الدولة الإسلامية  
أن يتصف بها ، والا لا يستطيع أن يضيف شيئا في النشاط الدعوى للدولة  
بل من المحتمل أن يصير سببا لضعفه واضمحلاله .

ومن خبر محاسبة معاوية - رضي الله تعالى عنه - نفسه ، ساروا  
الطافذ الذهبى رحمه الله بسند حسن : أن معاوية صعد المنبر يوم  
الجمعة ، فقال عند خطبته : " أيها الناس ! ان المال مالنا ، والفنى  
فينا ، من شئنا أعطينا ، ومن شئنا منعنا " فلم يجبه أحد .

(١) أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٣٣/٨

(٢) راجع لتفاصيل الفتح الاساسى في عهد معاوية رضي الله عنه :

أ - ابن كثير : البداية والنهاية : ٢٤/٨ - ١١٥ - ب - ابن الأثير

الكامل في التاريخ : ٢١٠/٣ - ٢٥٩ - ج - ابن حزم : جوامع السيرة

٣٤٤ - ٣٤٩ - د - الذهبى : ألصير : ٤٨/١ - ٤٩ .

(٣) أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٣٤/٨

(٤) أنظر : السمودى : مروج الذهب : ٣٩/٣ - ٤٠ .

فلما كانت الجمعة الثانية ، قال مثل ذلك ، فلم يجبه أحد ، فلما كانت  
الجمعة الثالثة ، قال مثل مقالته ، فقام اليه رجل ، فقال : " كلا ! انما  
المال ما لنا ، الفسئ فيمننا ، من حل بيننا وبينه حكمناه الى الله  
باسيفنا فضا " فنزل معاوية - رضى الله عنه - فأرسل الى الرجل ، فأدخل  
عليه فقال القوم : هلك . ففتح معاوية الأبواب ، ودخل الناس ، فوجدوا الرجل  
جالسا معه على السرير ، فقال : ان هذا ، أحياني ، أحياء الله ، سمعت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ستكون أئمة بعدى ، يقولون ، فلا  
يرد عليهم قولهم ، يتقاحون في النار تقاحم القردة " وانى تكلمت ، فلم  
يرد على أحد ، فخشيت أن أكون منهم ، فتكلمت الثانية ، فلم يرد على أحد  
فقلت في نفسى : انى من القوم ، ثم تكلمت الجمعة الثالثة ، فقام هذا  
فرد على ، فأحياني ، أحياء الله ، فرجوت أن يخرجنى الله منهم ، فأعطاه  
وأجازه ، قال الذهبي : هذا حديث حسن <sup>(١)</sup> .

ان هذا الخبر يدل على أن سياسة معاوية رضى الله تعالى عنه لم  
تكن سياسة جبرية ، تذهل العقول ، وتخرس الألسن ، ويفعل فيها صاحب  
السلطة ما يشاء بدون أى تردد ، يقتل من يشاء ، ويفرج عمن يشاء  
بل كانت سياسته تماثل سياسة الراشدين - رضى الله تعالى عنهم -  
بحيث يشكر من ينتقد قوله وفعله ، وهذه مميزة من مميزات الدولة الدعوية  
لاشك في أن معاوية رضى الله تعالى عنه كان زاهدا ، تقيا ، برا صالحا  
مطسبا نفسه ودولته ، وكان حكمه حكما دعويا خالصا .

(١) انظر : تاريخ الاسلام : ٢ / ٣٢١ - ٣٢٢ .

وأخيرا أريد أن أشير الى نقطة هـ ربما لا يتفطن بها هـ ولكننى - فى  
خبره معلوماتى القصيرة - مقتنع بهذه الفكرة وهى : ان تعامل الصحابة  
- رضوان الله عليهم أجمعين - هو المثل الأعلى بعد كتاب الله وسنة  
رسوله صلى الله عليه وسلم هـ وقد أشار الى ذلك الصطوى عبد الله بن مسعود  
رضى الله تعالى عنه هـ وقد نقلنا قوله فيما مضى هـ ولا بأس لو كررناه ههنا  
..... فقال :

" من كان منكم مستمنا فليستن بمن قد مات هـ فان الحسى  
لا تؤمن عليه الفتنة هـ أولئك أصطب محمد صلى الله  
عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة هـ أبرها قلوبا هـ وأعمقها  
علما هـ وأقلها تكلفا هـ قوم اختارهم الله لصحبة نبيه  
واقامة دينه هـ فاعرفوا لهم فضلهم هـ واتبعوهم فى آثارهم  
وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم هـ فانهم كانوا  
على الهدى المستقيم " (١)

ومنا على هذا نقول : ان تعامل الصحابة - رضوان الله عليهم

أجمعين - أوجد لنا ثلاثة مستويات للحكم الاسلامى الدعوى :

- ١ - مستوى عال
- ٢ - مستوى متوسط
- ٣ - مستوى أدنى

---

(١) أنظر : ابن المنز : شرح العقيدة الطحاوية : ٥٣٠ - ٥٣١ .



فخلافة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كانت نموذجا رائعا للمستوى العالي لخلافة النبوة والحكم الاسلامي الدعوى ، اذ ان حكمهما كان قد بلغ الى ذروة العلو مكانة في الاقتفاء بأثار رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا بشهر ، وخطوة بخطوة ٠٠٠٠ فكان حكما اسلاميا دعويا في جملة نواحيه .

وخلافة ذي النورين - رضي الله تعالى عنه - كانت على المستوى

المتوسط لخلافة النبوة والحكم الاسلامي الدعوى ، بحيث استخدم ذو النورين رضي الله عنه بهمض التوسعات التي أجازتها الشريعة الاسلامية السمحة ، ولكن اجتنابها قد وناه كل الاجتناب ٠٠٠٠ ولم تفض هذه الخلافة على نهجها المتوسط الا وهبت عواصف الفتن في العالم الاسلامي ، وحاول أعداء الاسلام لآبادة الحكم الاسلامي الدعوى ، وفي هذه الأوضاع الراهنة تحمل علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه عبء الخلافة ، وطول أن يقيم الحكم الاسلامي الدعوى على نفس الخطوط التي سلكها أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - الا أن الظلم والظلمة لم تهين له فرصة الهدوء ، والاستقرار فلقى ربه وهو قهرا العيين ، مطمئن البال ٠٠٠٠

ثم انتقل الحكم الى معاوية بن أبي سفيان ، بعد ما تنازل الحسن بن علي بن ابي طالب - رضي الله تعالى عنهم - عن الحكم ، وما يعته الأمة الاسلامية عظم الجساعة ، فماش عشرين سنة يحكم العالم الاسلامي قواما بالعدل ، محسنا الى الناس من كل الطبقات ، يكرم أهل المواهب ، ويساعدهم على تنمية مواهبهم ، ويسبح بحلمه جهل الجاهليين ، فيعالج بذلك ،

نقائصهم ، ويلتزم في الجميع أحكام الشريعة الإسلامية السمحة بحزم وجد  
وشابرة وإيمان ، ويستخدم بالمباحات التي تمنعها الشريعة الإسلامية  
وبالرخص التي أباحتها الشريعة الفسراء ، ولم يتعرض بأي منكر من المنكرات .  
ويؤيد ما قلنا في شأن معاوية رضي الله تعالى عنه قول العلامة

عبد العزيز فريهاري صاحب كتاب " النبراس على شرح المقائد " حيث قال :

" قلت : لأهل الخير مراتب ، بمضها فوق بعض ، وكل

مرتبة منها يكون محل قدح بالنسبة إلى التي فوقها ، ولذا

قيل : " حسنات الأبرار سيئات المقربين " وفسر بعض

الكبراء قوله عليه السلام : " انى لأستغفر الله في اليوم أكثر

من سبعين مرة " كان دائم الترقى ، وكلما كان يترقى إلى

مرتبة استغفر عن المرتبة التي قبلها ، وإذا تقرر ذلك فنقول :

كان الخلفاء الراشدون لم يتوسموا في المباحات ، وكانت

( ١ ) هو الشيخ العالم المحدث أبو عبد الرحمن عبد العزيز بن أحمد بن  
الحمد القرشي الفريهاري الملتاني ، من كبار علماء القرن الثالث  
عشر بالهند ، له مصنفات كثيرة في العقول والمنقول ، كان  
— رحمه الله — زاهدا ، متقللا ، يديم الاشتغال بمطالعة  
الكتب ، وكان لا يتردد إلى الأغنياء ، ولا يقبل نذورهم ، كان  
شديد الميل إلى اتباع السنة ، ورفض التقليد . . . . . صنف كتابه  
" النبراس في شرح المقائد " باللغة العربية سنة تسع واثنتين  
وماثنتين وألف . . . . . توفي رحمه الله في شبابه حين جاوز الثمانين سنة من عمره  
ولم أقف على سنة وفاته .

( انظر : عبد الحى الحسنى : نزهة الخواطر : ٢٧٦/٧ - ٢٧٨ )

سيرتهم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في الصبر على  
ضيق المشي والجهد ، وأما معاوية ، فهو وان لم يرتكب  
منكراً ، لكنه توسع في المباحات ، ولم يكن في درجة الخلفاء  
الراشدين في أداء حقوق الخلافة ، ولكن عدم المساواة  
بهم لا يوجب قسط فيه .<sup>(١)</sup>

لقد أسس معاوية - رضي الله تعالى عنه - دولة دعوية ترهب العدو  
وتبزه في العظمة والأبهة ، والروعة والبهاء والاستعداد ، والمدو والمدة ،  
وتبزه في ميدان السياسة الخارجية ، والمواقف الدولية ، وتحفظ على الرعية  
- في السياسة الداخلية - مهدي الشريعة الإسلامية ، وتبهي لهم  
فوس السعادة والرفاهية في إطار ما أجازته الإسلام وأباحه .  
ومن ثم نستطيع أن نقول : ان معاوية - رضي الله عنه - خط  
خطاً فاصلاً للحد الأقصى للحكم الدعوى الأصيل ، بحيث يعتبر  
التجاوز عنه انحرافاً عن الجادة الدعوية . . . . . وهكذا أبرز الله  
سخطه وتعالى للأمة الإسلامية ثلاث مستويات للحكم الدعوى يتعامل أصحاب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رحمة من عنده ، والفرصة متاحة للأمة حتى  
يوم القيامة أن تختار أي واحدة من المستويات الثلاثة ، فتسير مسير  
الحق . . . . . اذا أرادت أن تختار مستوى الشيخين أبي بكر وعمر  
وعلى بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنهم - فخذوا بهذه الإرادة المباركة ،

(١) النبراس على شرح المقائد : ٥١٠ - طبع الهند ١٣١٨ هـ .

وإذا أرادت أن تقتفى بأثار سنيات عثمان بن عفان ذى النورين - رضى  
 الله تعالى عنه - فهي تختار الحق البقعة ، وإذا لم تستطع أن تقتفى  
 بأثار سنيات عثمان رضى الله عنه ، من أجل تغير الناس وتغيير  
 الزمان فلها أن تختار طراز حكم معاوية رضى الله تعالى عنه ، لقد ترك للأمة  
 طراز حكم اسلامى دعوى يمكن اقامته على وجه الارض متى شاءت ، بهدا  
 الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، بحيث تختار نعومة الجوهر  
 فى أخذ ما يصلح الشعب الاسلامى فى أمور دنياهم من العلوم الحديثة  
 النافعة ، والتكنولوجيا الجديدة ، والوسائل المتحضرة لرفاهية الأمة  
 وسعادتها ، من ناحية ، وتختار صلابة الحديد فى التمسك بالمقيدة الاسلامية  
 السليمة ، والمبادئ الدينية القويمة ، وتطبيق الشريعة الاسلامية السخفة  
 والعض على تعليماتها بالنواجذ ، من ناحية أخرى . . . . . هذا هو  
 الحد الأدنى الذى أبرزه الله تعالى للأمة بتعامل صحابى جليل  
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن جاوز هذا الحد ، دخل فى حد  
 الانحراف ، فيؤخذ عليه بمقدار انحرافه .

ولقد برز من بين من جاء بعد معاوية - رضى الله تعالى عنه -  
 من الخلفاء والملوك والأمراء ، عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه  
 الذى قدم الى العالم الاسلامى مثالا أروع للاقتفاء بأثار الراشدين  
 رضى الله تعالى عنهم ، وأخلد على صفحات التاريخ ذكريات رائحة  
 للحكم الدعوى الأصيل ، وأثبت لجميع من جاء بعده : أن العزم الراسخ  
 الصميم لاقامة الحكم الاسلامى على المستوى العالى لمنهج

الخلافة الراشدة لينزل صخور المقبات عن السبيل ، وأن جراحة  
صائلة تدفع الأمة الاسلامية الى مسافة قرون الى الامام ، ومن  
لا يمتلك مثل هذه الجراحة الصائلة ، فله - ولأمثاله - أسسوة  
معاوية بن أبي سفيان - رضی الله تعالى عنهما - على الأقل ..

الخاتمة

## الخاتمة

الآن - وقد أنهيت كتابة الرسالة - يجب أن أعيد النظر

فيما كتبت و لم كتبت :

الفكر الأساسي الذي تدور حوله محتويات الرسالة ، هو : أن

المراد بالدعوة الاسلامية أنها ليست مجرد دعوة ونداء ، بحيث تلقى

الخطب الرنانة على منصات الخطابة ، وتشرح التعاليم الاسلامية شرحا

عقريا ، وتنتشر بأحدث الوسائل الاعلامية ، وترسل البعثات التبليغية

الى غير المسلمين ، ونقول : بأننا قد أدبنا بذلك واجهنا نحو

الدعوة الاسلامية . . . . بل المراد بالدعوة الاسلامية أن تغشى الدعوة

وجود الداعية برومته ، سواء كان الداعية فردا ، أو مجتمعا أو دولة ، فالدعوة

ليست مجرد قول ، بل هي : قول وعمل معا .

فعرفت الدعوة بأنها : " قيام المسلمين - دولة وأمة وأفرادا -

بتبليغ الناس كافة ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والحق ،

ليخرجوهم من الظلمات الى النور " . وهي واجبة على المسلمين - دولة

وأمة وأفرادا - على قدر الطاقة ومن خلال الاختصاص ، إذ أن هناك

أعداء لهذه الدعوة ، وعلى رأسهم إبليس لعنه الله ، فهم بالمرصاد

- دائما - لاضفاف قوة الدعوة والقضاء عليها ، مما يوجب على

المسلمين أن يظلوا حذرين ، ولا يغفلوا عن الدعوة الى الله ، بحيث

كلما حدث الضعف في آية مقومة من مقومات الدعوة ، اهتموا فوراً

بإصلاحها بكل جهد وقوة ، وإلا اختطفهم أعداؤهم ، وفسح المجال لدعوة الشر ، ألا ! وهى : دعوة إبليس ومهمة حياته الطويلة الى قيام الساعة .

ولمست الفكرة بدعوة ٠٠٠٠ بل هى مستتبطة من تعاليم الاسلام النيرة ، وما قام به الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم من مهماته الدعوية ، وما أنجزه أصحابه - رضوان الله عليهم أجمعين - من المهمات الدعوية تحت قيادة الراشدين ، ومن أجل ذلك ، عرضت للدعوة من خلال الواقع السبرى ، وبينت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اهتم فى دعوته - بادئ ذى بدء - بإصلاح المقائد ، لما لها من أثر طام فى توجيه حياة الانسان ، فعدا الى التوحيد الظالم ، والايان بالدار الآخرة ، وإصلاح ذات البين ٠٠٠٠ وما الى ذلك من ضروب الخير ، كما نهى عما يناقض هذه البادئ ، وكان من جهوده العظيمة أن كون شخصيات عقدي أمثال أبى بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعثمان وعلى وأبى عبيدة ، وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من أصحابه صلى الله عليه وسلم .

فأصبحوا مثالا عليا للعقيدة فى شكلها النظرى والتطبيقاتى ، وأسهموا أيضا اسهام فى تصحيح مسيرة التاريخ الانسانى ، كما كون - عليه الصلاة والسلام - مجتمعا اسلاميا عقديا دعويا ، ينطوى على قيم لم يحظ بشلها مجتمع انسانى آخر ، ومن المعروف أنه لم ينجح فى ترسيخ أسس هذا المجتمع الثالثى بمكة ، لحيولة



القوى الطاغوتية دونه ، فهاجر الى المدينة ، وأقام هذا المجتمع هناك ، وأقام معه دولته ، دولة الدعوة في الظاهر والباطن ، والتصوير والسلوك ، نابعة من الدعوة ومحققة لها .

وذكرت أهم دلائل هذا المجتمع المثالي الدعوى ، الذي كلف المسلمون الحفاظ على قيمه ، ودعوة المجتمعات الانسانية الأخرى اليه ، وكان لا بد لقوى الشر أن تعترض نشوء هذا المجتمع وانبثاق دولته منه . . . . وهكذا ظهرت عقبات في سبيل الدعوة أزالها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوسائل المناسبة ، وتارة بالحروب ، وتارة بالأساليب السلمية ، كصلح الحديبية ، وهكذا . . . . حتى تمت نعمة الله على عباده ، وتكونت دولة الدعوة بقيادته صلى الله عليه وسلم ، تحفظ — بخافية الحذر والتيقظ — على قيم المجتمع الدعوية داخليا وخارجيا وتحصل الدعوة الى الناس كافة ، وألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الأمانة على كواهل أمته ولحق بالرفيق الأعلى . . . .

وتحمل الراشدون — رضی الله تعالى عنهم — عبء هذه الأمانة العظيمة ، وأداروا نظام دولتهم طبقا لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فكانت دولة دعوية خالصة ، جاءت بروائح خالدة في كل حقل من حقول الحياة ، بل كانت دولة الراشدين ، امتدادا بشريا لدولة النبوة صلى الله عليه وسلم .

ثم جاء معاوية بن أبي سفيان رضى الله تعالى عنهما ، وقد حدث  
التغيير فى الناس ، ففسدوا سمر دولة دعوية تتمتع بالبإحاطة التى لم تمنح  
الشريعة الاسلامية عنها ، وترهب المدو وتبزه فى العظمة والأبهة ، والروعة  
والهباء ، والمدد والعدة ، وتبزه فى ميدان السياسة الخارجىة  
والمواقف الدولية - من ناحية - وتحفظ على الأمة فى السياسة الداخلىة  
مبادئ الشريعة الاسلامية ، وتهيئ لهم فرص السعادة والرفاهىة فى  
اطار ما أجازها الاسلام وأباحه - من ناحية أخرى - ولم يرتكب  
منكرا . وهكذا خط معاوية رضى الله عنه خطا فاصلا للحد الأقصى  
للحكم الدعوى الأصيل ، بحيث يعتبر التجاوز عنه انحرافا عن الجادة  
الدعوية .

وظلعت الخلاصة : بأن هناك ثلاث مستويات للحكم الدعوى

الأصيل :

المستوى العالى : وهو مستوى الدولة النبوية ومستوى الدولة الراشدة بقجلة .

المستوى المتوسط : وهو مستوى الدولة الراشدة فى عهد عثمان ذى

النورين ، إذ أدخل فى الحكم بعض التوسعات التى

اجتنبها الشيطان ابوبكر وعمر - رضى الله تعالى عنهم -

المستوى الأدنى : وهو مستوى حكم معاوية رضى الله تعالى عنه .

وللأمة الاسلامية أن تختار أى مستوى من المستويات الثلاثة ، تسير

مسير الحق .

وفي ضوء هذا البحث الذي قمت به توصلت الى النتائج التالية :

أولا : أن الأمة الاسلامية الحققة خيرامة أخرجها الله تبارك وتعالى للناس مثالا حيا ، لرسالته التي أنزلها على قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأراد أن تكون المنهج الشامل للحياة البشرية على ظهر هذا الكوكب ، وأن على هذه الأمة - اذا أرادت أن تحقق ذاتها - أن تلتزم ما ناطه الله بها من الدعوة الى صراطه المستقيم ، كل من أفرادها ، وجماعاتها ينهض بهذا الواجب - كما قلت سابقا - قدر طاقته ومن خلال اختصاصه ، وان لم تفعل ذلك ، فقدت مقوماتها التي تميزها عن سواها ، وعرضت " ذاتيتها " للضياع ، ووجودها للفناء .

ثانيا : لاحظت أن أجدى أسلوب على الدعوة الاسلامية ، هو : ايجاد الكيان الاسلامي الحقيقي الذي يمثلها في مجتمعه ودولته ، ان هذا الكيان هو من أبلغ حجج الدعوة على الناس ، ومن خلال هذه الحججة تستطيع الدعوة أن تشق طريقها في المجتمع البشري ، ومن ثم يجب في عصرنا أن تتضافر جهود الدعاة ومخططاتهم لجعل مثل هذا الكيان حقيقة راهنة .

ثالثا : لاحظت أن قوة الدعوة الاسلامية وضعفها ، يتأثران كثيرا بموقف الدولة منها ، وقد رأينا دولة النبوة ، ودولة الراشدين ودولة معاوية - رضی الله تعالى عنهم - تحس الدعوة وتلتزمها فتبلغ ذروة مجدها عطائها للناس كافة وتؤدي مهمتها على

نحو رائج ، ورأينا الناس في ظلالها يدخلون في دين الله  
 أفواجا ٠٠٠٠ وما رأينا من الضعف والاضمحلال في قوة الدعوة  
 الاسلامية في ماضينا وحاضرنا ، فمن جملة أسبابه تقصير الدول  
 الاسلامية في اداء وظيفتها الدعوية .

رابعا : لاحظت فراغا حال بين الدول الاسلامية المعاصرة والدعوة  
 الاسلامية - باستثناء المملكة العربية السعودية - وخصوصا  
 بعد ما غزا مبدأ فصل الدين عن الدولة بعض الدول الاسلامية  
 واسمها الدول التي نصت على هذا في دساتيرها كتركيا وأمثالها  
 وهذا الفراغ أفقد الأمة الاسلامية - الى حد كبير - ذاتيتها  
 وفعاليتها الاسلاميتين ، اللتين يمكن أن تؤثر بهما في  
 الآخرين ، وتجذب بهم الى الاسلام ، وتنقلهم الى الميثاق  
 في ظلال منهج الله عزوجل - كما كانت الحال في العهد  
 التي سبق ذكرها - والى اصلاح حال الأمة بعد التلاحم بين  
 الدولة والدهوة .

خامسا : لاحظت أنه قد آن للأمة الاسلامية في عصرنا الحاضر أن تؤدي  
 - دولة وأمة وأفرادا - دورها الدعوى الطام ، وترفض جميع  
 الأنظمة المزعومة الوضعية ، وتستظل تحت ظل راية الاسلام الدعوية ،  
 مع عزم واسع صادق ، واخلاص كامل لله تعالى ، وتقدم الى أمم  
 العالم ، التي يئست - او كادت - من جميع الأنظمة الوضعية

بعد ما جريتها مدة طويلة ، وهي متضايقة جدا من الفوضى الأخلاقية  
 التي أضحت سيلا جارفا في ديارهم ، يكتسح كل صغيرة وكبيرة  
 فهي مضطربة ، تتطلع الى نظام صالح شامل يطبق ، فتقدم اليها  
 أمثلة حية صادقة للكيان الاسلامي الخالص ، ويجب عليها أن  
 تستغل هذا المجال أتم استغلال وأبرعه ، وان تستخدم الوسائل  
 المماصرة ، من وسائل الاعلام وما اليها . . . . . وذلك تكون دراستنا  
 لتاريخ الدعوة الاسلامية في المعهدين الامامين النهوي والراشدي ،  
 وفي عهد معاوية رضي الله تعالى عنه ، وفي عهد سواه ، دراسة  
 مجدبة حقا . . . . . واذا قصرنا في ذلك ، فرمنا فانتقنا  
 الفرصة ، وأعقبنا تقصيرنا خسارة كبرى على أنفسنا ، بل وعلى غيرنا  
 من شموب العالم ، وهذا الى جانب مسؤولياتنا أمام الله عز وجل  
 عن هذا التفسير يوم يجمل الولدان شيئا . . .  
 ومما بيدولى - في ضوء دراساتى - أن الله عز وجل قد  
 أقام حجه وأتمها على الأمة الاسلامية ودولها في عصرنا الحاضر . . .  
 بأن القيام بالمبادئ الدعوية ، وإقامة دولة اسلامية تطبق الشريعة  
 الاسلامية السمحة ليس أمر مستحيلا ، مهما صعبت الظروف وحالت  
 المعرقات دونها ، وتلك الحجة البارزة هي : المسلكة العربية السعودية  
 التي برهنت ، وتبرهن الآن ، وسوف تبرهن في المستقبل - ان شاء الله -  
 بواقمها على صلاح الشريعة الاسلامية السمحة ، وامكان تطبيقها فسى  
 كل عصر وجيل . . .

ألم تر ، أن ظرُوف شبه الجزيرة كانت سيئة جدا ، كانت الأموال  
 تنهب ، والآنفس تزهق ، والاعراض تهتك ، كانت قوافل الحجاج تتردد  
 بين مكة والمدينة وهى معرضة للنهب والقتل ..... وفى هذا  
 الظلام الجالك قام الامام الملك عبد الميز بن عبد الرحمن آل سعود  
 - رحمه الله تعالى رحمة واسعة - وبذل جهوده الجبارة  
 للتغلب على تلك الأوضاع الراهنة ، ونى دولة تقوم على  
 اساس العقيدة الاسلامية السليمة ، وتطبيق الشريعة الاسلامية  
 تطبيقا جيدا . فبرزت على منصة العالم دولة اسلامية ، متصلة  
 تصلب الحديد فى العنق بنواجذها على الهادي الاسلامي  
 القويمة ، والمعائد السلفية السليمة ..... وناعية نمومة الحرير  
 فى الاستفادة - فى اطار ما يبيحه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه  
 وسلم - بالوسائل الحديثة والتقنية الراقية ، لتطور حضارة الأمة  
 وتقدمها ككفا بكتف مع شعوب العالم المتحضرة ، وفتح الله تعالى  
 عليها بركات ، فتفجرت ينابيع " الذهب الاسود " السيل من  
 ارضها ، وأضحت من أغنى الدول المعاصرة ، وهى تتمتع بشروعاتها  
 الزاخرة ، وتدعم بها وسائل الدعوة وتطورها ، وتستفيد منها  
 أشقائها من الدول الاسلامية المعاصرة .

ومن جهة أخرى ساد الأمن والاستقرار بسوق المملكة ، فيخرج  
الانسان يقود سيارته ، ويرافقه أسرته ، ويتجول في طول المملكة  
وعرضها ، ويبيت في الصحارى والبرارى مطمئن القلب ، هادى ،  
البال ، لا يخاف الا الله عزوجل ، ويصبح على نعمة الله وبركاته  
ولم يصبه أى نوع من الأذى والخوف - وهل توازيها أى دولة  
اسلامية معاصرة في هذا المجال - ؟ ولم تكن نعمة هذا  
الأمن والاستقرار الا - من أجل تنفيذ أوامر الله ، والحكم بما أنزل  
الله . . . . . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .  
وهكذا أتم الله حجه على الأمة الاسلامية ، بأن توفيقه  
يرافق كل عز صادق وحزم راسخ ، لتطبيق الشريعة الاسلامية  
السحة ، وتدعيم دعوتها ، ولا يخص هذا بزمان ومكان ، ولا يقوم وجيل  
. . . . . فلم يبق مجال لأى دولة من دول المسلمين المعاصرة أن  
تمتذر عن عدم تطبيقها الشريعة الاسلامية الفراء ، وعدم حكمها  
بما أنزل الله بحيلة عدم ملائمة الظروف والاضاع والبيئة ، ها هى  
المملكة العربية السعودية طبقت الشريعة الاسلامية فى الماضى  
وتطبقها فى الحاضر ، فى هذه الظروف ، وفى هذه البيئة ، وهى  
تجتنى أعظم ثمراتها على مختلف الأصعدة - الأمن والاستقرار  
والتقدم . . . . . وما الى ذلك - وليس لهذه الدول الاسلامية  
المعاصرة - ان أحبت لنفسها الفلاح فى الدنيا والآخرة -  
الا أن تت رسم خطوات هذه المملكة الناهضة الرائدة . . . . . وفقها الله  
وصانها . . . . . آمين

والله تعالى هو المسئول أن يوفقنا الى وضوح الرؤية  
وأن يشد عزائنا ، حتى نحقق مهمتنا الدعوية في المجتمع  
البشرى ، وفي هذه المرحلة من التاريخ ، وأن يرزقنا اخلاص  
النية ودوام التوفيق ، والحمد لله أولا وآخرا ، صلى الله تعالى  
على عبده ورسوله محمد المصطفى وعلى آله وأصحابه وبارك وسلم  
تسليما كثيرا .....



الفهارس

## فهرست المصادر والمراجع

| المصادر والمراجع                                                                                                   | ٢ | ١ |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---|---|
| القرآن الكريم<br>.....                                                                                             | ١ | ١ |
| ابن أبي العز :<br>على بن محمد بن أبي العز الخفي ( ٠٠ - ٥٧٩٣ هـ )                                                   |   | ٢ |
| ١ - شرح المقيدة الطحوية<br>طبع : المكتب الاسلامي - بيروت - ١٣٩١ هـ<br>.....                                        | ٢ |   |
| ابن الأثير :<br>مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن<br>عبد الكريم الشيباني ، الجزري ( ٥٤٤ - ٦٠٦ هـ ) |   | ٣ |
| ١ - النهاية في غريب الحديث والأثر<br>طبع : دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م<br>.....             | ٣ |   |
| ابن الأثير :<br>عزالدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكرم<br>الشيباني الجزري ( ٥٥٥ - ٦٣٠ هـ )             |   | ٤ |
| ١ - الكامل في التاريخ<br>طبع : دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م<br>طبع : دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م   | ٤ |   |
| ٢ - أسد الغابة في معرفة الصحابة<br>طبع : دار الشعب ، القاهرة : ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م                                    | ٥ |   |

| المصادر والمراجع                                                                       | ٢م | ١م |
|----------------------------------------------------------------------------------------|----|----|
| — ابن تيمية :                                                                          |    | ٥  |
| شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني ( ٦٦١ - ٧٢٨ هـ ) |    |    |
| ١ - اقتضاء الصراط المستقيم ، مظافة أصطب الجحيم                                         | ٦  |    |
| طبع : مطبعة الحكومة - مكة المكرمة ١٣٨٩ هـ                                              |    |    |
| ٢ - الحصة في الاسلام ، او وظيفة الحكومة الاسلاميه                                      | ٧  |    |
| طبع : دار الكاتب العربي بدون تاريخ                                                     |    |    |
| ٣ - السياسة الشرعية في اصلاح الراعى والرعية                                            | ٨  |    |
| طبع : دارالكاتب العربي بدون تاريخ                                                      |    |    |
| ٤ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية                                    | ٩  |    |
| طبع : المطبعة الاميرية بولاق ، مصر ١٣٢٢ هـ                                             |    |    |
| .....                                                                                  |    |    |
| ابن الجوزى :                                                                           |    | ٦  |
| الامام الحافظ الواعظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن عبد الله                           |    |    |
| ابن حماد ي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزى (٥١٠ - ٥٩٧ هـ)                               |    |    |
| ١ - صفة الصفوة                                                                         | ١٠ |    |
| طبع : دار الوعى ، حلب ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م                                                 |    |    |
| .....                                                                                  |    |    |
| ابن حجر                                                                                |    | ٧  |
| الامام الحافظ أحمد بن علي بن علي الكفائي المسقلاني الشافعي                             |    |    |
| ( ٧٧٣ - ٨٥٢ هـ )                                                                       |    |    |

| المصادر والمراجع                                                                                            | ٢ م | ١ م |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----|-----|
| ١ - الأصابة في تمييز الصطبة<br>طبع : المكتبة التجارية • مصر • ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م                              | ١١  |     |
| ٢ - تهذيب التهذيب<br>طبع دائرة المعارف العثمانية • الهند ١٣٢٥ هـ                                            | ١٢  |     |
| ٣ - فتح الباري شرح صحيح البخاري<br>طبع : المكتبة السلفية بمصر ١٣٨٠ هـ                                       | ١٣  |     |
| .....                                                                                                       |     |     |
| ابن حزم :                                                                                                   |     | ٨   |
| الامام الجليل أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي<br>( ٣٨٤ - ٤٥٦ هـ )                              |     |     |
| ١ - جوامع السيرة • طبع القاهرة بدون تاريخ •                                                                 | ١٤  |     |
| ٢ - المحلى<br>طبع القاهرة بدون تاريخ                                                                        | ١٥  |     |
| .....                                                                                                       |     |     |
| - ابن خلدون                                                                                                 |     | ٩   |
| المؤرخ الفيلسوف ولي الدين عبدالرحمن بن محمد بن الحصين بن محمد<br>ابن جابر بن خلدون الحضرمي ( ٧٣٢ - ٨٠٨ هـ ) |     |     |
| ١ - كتاب المبرود ديوان المبتدأ والخبر<br>طبع : دار الكتاب اللبناني بيروت - ١٩٥٦ م                           | ١٦  |     |
| ٢ - المقدمة<br>طبع دار الكتب العلمية • بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م                                               | ١٧  |     |

| المصادر والمراجع                                                                              | ٢٤ | ١٤ |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------|----|----|
| ابن سعد                                                                                       |    | ١٠ |
| المؤرخ المحدث محمد بن سعد بن منيع الزهري بالولاء<br>( ١٦٨ - ٢٣٠ هـ )                          |    |    |
| ١ - الطبقات الكبرى                                                                            | ١٨ |    |
| طبع دار صادر بيروت ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م                                                           |    |    |
| -----                                                                                         |    |    |
| - ابن سيده :                                                                                  |    | ١١ |
| على بن اسماعيل بن سيده ( ٠٠ - ٤٥٨ هـ )                                                        |    |    |
| ١ - المحكم والمحيط الأعظم في اللغة (تحقيق مصطفى السقا<br>وحسين نصار ) طبع مصر : ١٣٧٧ / ١٩٥٦ م | ١٩ |    |
| -----                                                                                         |    |    |
| ابن عبد البر :                                                                                |    | ١٢ |
| الامام الحافظ المحدث أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القوطى<br>( ٠٠٠ - ٤٦٣ هـ )               |    |    |
| ١ - الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء                                                  | ٢٠ |    |
| طبع : مكتبة القدس ، القاهرة ، ١٣٥٠ هـ                                                         |    |    |
| ٢ - جامع بيان العلم وفضله                                                                     | ٢١ |    |
| طبع : المكتبة العلمية ، بالمدينة المنورة بدون تاريخ .                                         |    |    |
| -----                                                                                         |    |    |
| ابن عبد ربه :                                                                                 |    | ١٣ |
| أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم<br>( ٢٤٥ - ٣٢٧ هـ )                   |    |    |
| ١ - المقدم الفريد                                                                             | ٢٢ |    |
| طبع : المكتبة النهضة المصرية ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م                                                 |    |    |

| المصادر والمراجع                                                                                                              | ٢٤ | ١٤ |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----|----|
| ابن العربي                                                                                                                    |    | ١٤ |
| القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد<br>ابن العربي المصنف الأندلسي ( ٤٦٨ - ٥٤٣ هـ )                      |    |    |
| ١ - المواصم من القواصم ( تحقيق : محب الدين الخطيب )<br>طبع مصر : ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١ م                                             | ٢٣ |    |
| .....                                                                                                                         |    |    |
| ابن عساكر :                                                                                                                   |    | ١٥ |
| الامام المؤرخ المحدث أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله<br>ابن عبدالله بن الحسين بن عساكر الشافعي ( ٤٩١ - ٥٧١ هـ )           |    |    |
| ١ - ( تهذيب ) تاريخ دمشق الكبير<br>هذه الشيخ عبدالقادر بدران ( ٠٠ - ١٣٤٦ هـ )<br>طبع : دار المسيرة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م | ٢٤ |    |
| .....                                                                                                                         |    |    |
| ابن فارس                                                                                                                      |    | ١٦ |
| أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد حبيب الرازي<br>( ٠٠ - ٣٩٥ هـ )                                                       |    |    |
| ١ - معجم مقاييس اللغة ( تحقيق : عبدالسلام محمد هارون )<br>طبع : الحلبي ، القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م                             | ٢٥ |    |
| .....                                                                                                                         |    |    |
| ابن القيسم                                                                                                                    |    |    |
| الشيخ الامام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب<br>الزرعي المعروف بابن القيم الجوزية ( ٦٩١ - ٧٥١ هـ )                  |    |    |

| المصادر والمراجع                                                 | ٢٤ | ١٤ |
|------------------------------------------------------------------|----|----|
| ١ - احكام أهل الذمة ( تحقيق : د / صبحي صالح )                    | ٢٦ |    |
| طبع : جامعة دمشق ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م                                |    |    |
| ٢ - التبيان في أقسام القرآن                                      | ٢٧ |    |
| طبع : دار الكاتب العربي - بدون تاريخ                             |    |    |
| .....                                                            |    |    |
| ابن كثير :                                                       |    | ١٨ |
| الامام المؤرخ المفسر الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر |    |    |
| ابن كثير القرشي الدمشقي ( ٠٠ - ٧٧٤ هـ )                          |    |    |
| ١ - البداية والنهاية                                             | ٢٨ |    |
| طبع : دار الفكر بيروت ٠ ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٧ م                         |    |    |
| ٢ - تفسير القرآن العظيم ( اختصار : محمد علي الصابوني )           | ٢٩ |    |
| طبع : دار القرآن ، بيروت ١٣٨٨ / ١٩٦٧ م                           |    |    |
| ٣ - السيرة النبوية ( تحقيق د / مصطفى عبد الواحد )                | ٣٠ |    |
| طبع : دار المصرفة ، بيروت : ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٤ م                     |    |    |
| .....                                                            |    |    |
| ابن ماجه :                                                       |    | ١٩ |
| الامام الحافظ ابو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني         |    |    |
| ( ٢٠٧ - ٢٧٥ هـ )                                                 |    |    |
| ١ - السنن ( تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي )                       | ٣١ |    |
| طبع : الحلبي : القاهرة ١٩٧٢ م                                    |    |    |
| .....                                                            |    |    |
| ابن مناور :                                                      |    | ٢٠ |

| المصادر والمراجع                                                                                                                                                                                                         | ٢٤ | ١٤ |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----|----|
| الامام العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن<br>أحمد الأنصاري ، الأفريقي ، المصري ( ٦٣٠ - ٧١١ هـ )<br>١ - لسان العرب<br>طبع دار صادر بيروت ، بدون تاريخ<br>.....                                           | ٣٢ |    |
| ابن هشام<br>الامام العلامة أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري<br>المصري ( ٠٠ - ٢١٨ هـ )<br>١ - سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ( تحقيق : محمد خليل هراس )<br>طبع : مكتبة الجمهورية ، القاهرة ، بدون تاريخ<br>..... | ٣٣ | ٢١ |
| أبو حنيفة :<br>الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن النعمان بن<br>المرزبان ( ٨٠ - ١٥٠ هـ )<br>١ - السنن ( تحقيق : صفوت سقا الأميني )<br>طبع : دمشق ، بدون تاريخ<br>.....                                           | ٣٤ | ٢٢ |
| أبو داود :<br>الامام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير<br>بشير بن شداد بن يحيى بن عمران السجستاني ( ٢٠٢ - ٢٨٥ هـ )<br>١ - السنن<br>طبع : دار الحديث ، حمص ، سورية ١٣٨٨ / ١٩٦٩ م<br>.....                 | ٣٥ | ٢٣ |



| المصادر والمراجع                                                                                                                             | ٢٤ | ١٤ |
|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----|----|
| ابوالسمود :                                                                                                                                  |    | ٢٤ |
| قاضى القضاة أبو السمود بن محمد الحادى الخنفسى<br>( ٩٠٠ - ٩٨٢ هـ )                                                                            |    |    |
| ١ - ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم<br>طبع : القاهرة : ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م                                                           | ٣٦ |    |
| .....                                                                                                                                        |    |    |
| ابو يوسف :                                                                                                                                   |    | ٢٥ |
| الامام المجتهد العلامة المحدث ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم<br>ابن حبيب بن حبش الأنصارى الكوفى ( ١١٣ - ١٨٢ هـ )                                  |    |    |
| ١ - كتاب الخراج<br>طبع المكتبة السلفية ، القاهرة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م                                                                            | ٣٧ |    |
| .....                                                                                                                                        |    |    |
| - أحمد ( الامام ) :                                                                                                                          |    | ٢٦ |
| الامام المجتهد الطفظ الحجة ، أبو عبد الله أحمد بن محمد<br>ابن حنبل بن هلال بن أسد الدهلى الشيبانى ( ١٦٤ - ٢٤١ )                              |    |    |
| ١ - المسند<br>طبع : المكتب الاسلامى ، بيروت بدون تحقيق والتاريخ<br>طبع : دار المعارف ، القاهرة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م<br>مع تحقيق : محمد أحمد شاکر | ٣٨ |    |
| .....                                                                                                                                        |    |    |
| الأزدى<br>أبو اسماعيل محمد بن عبد الله الأزدى ، البصرى ( ٠٠ - ٢٣١ هـ )                                                                       |    | ٢٧ |

| المصادر والمراجع                                                                                                 | ٢ م | ١ م |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----|-----|
| ١ - تاريخ فتوح الشام ( تحقيق : عبدالمنعم عبداللطيف )<br>الناشر : مؤسسة سجل العرب . ١٩٢٠ م )                      | ٣٩  |     |
| .....<br>الازهرى :                                                                                               |     | ٢٨  |
| الامام اللثوى أبو منصور محمد بن أحمد بن أزهر الهروى<br>( ٢٨٢ - ٣٧٠ هـ )                                          |     |     |
| ١ - تهذيب اللغة ( تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم )<br>الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، بدون تاريخ       | ٤٠  |     |
| .....<br>الاسفرائينى :                                                                                           |     | ٢٩  |
| صدر الاسلام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى<br>الاسفرائينى ، التيمى ( ٠٠ - ٤٢٩ هـ )                |     |     |
| ١ - الفرق بين الفرق ( تحقيق : محمد محى الدين عبدالصيد )<br>طبع القاهرة : ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م                        | ٤١  |     |
| .....<br>البخارى :                                                                                               |     | ٣٠  |
| الامام الطفاظ أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المنيرة<br>ابن الأصف بن برد زيه الجعفى ( ١٩٤ - ٢٥٦ هـ ) |     |     |
| ١ - الجامع الصحيح ( مع شرحه فتح البارى ) ١٣ جزء<br>طبع المكتبة - السلفية - القاهرة : ١٣٨٠ هـ                     | ٤٢  |     |
| .....<br>البنسوى                                                                                                 |     | ٣١  |
| الامام الطفاظ العلامة محى السنة أبو محمد الحسين بن سمود<br>القراء البنسوى ( ٠٠ - ٥١٦ هـ )                        |     |     |

| المصادر والمراجع                                                                                                                                                | ٢ م | ١ م |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----|-----|
| ١ - شرح السنة<br>طبع : المكتب الاسلامي ، دمشق ١٣٩١هـ / ١٩٧١ م<br>البلاذري :                                                                                     | ٤٣  | ٣٢  |
| المؤرخ الرحلة أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البندادي<br>( ٠٠ - ٢٧٩ هـ )                                                                                        |     |     |
| ١ - فتوح البلدان ( تحقيق : د / صلاح الدين المنجد )<br>طبع القاهرة : ١٩٥٧ م<br>.....<br>الترمذى :                                                                | ٤٤  | ٣٣  |
| الامام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن<br>الضطك السلمي ، الترمذى ( ٠٠ - ٢٧٩ هـ )                                                                |     |     |
| ١ - الجامع ( مع شرح تحفة الأحوذى للمباركفوري ) ١٠ أجزاء<br>الناشر : المكتبة السلفية بالمدينة المنورة<br>طبع القاهرة : ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م<br>.....<br>جرجى زيدان : | ٤٥  | ٣٤  |
| الكاتب النصراني جرجى بن حبيب زيدان ( ١٢٧٨ - ١٣٣٢ هـ )                                                                                                           |     |     |
| ١ - تاريخ التمدن الاسلامي<br>الناشر : دار مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ<br>.....<br>الجصاص                                                                  | ٤٦  | ٣٥  |
| حجة الاسلام أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي<br>( ٣٠٥ - ٣٧٠ هـ )                                                                                        |     |     |

| المصادر والمراجع                                                 | ٢٤ | ١٤ |
|------------------------------------------------------------------|----|----|
| ١ - أحكام القرآن                                                 | ٤٧ |    |
| طبع : دار الكتاب العربي ، بيروت ، مصورة عن الطبعة الاولى ١٣٣٥ هـ |    |    |
| .....                                                            |    |    |
| الجهشياري :                                                      |    | ٣٦ |
| أبو عبد الله محمد بن عبدوس الكوفي الجهشياري (٠٠ - ٣٣١ هـ)        |    |    |
| ١ - الوزراء والكتاب (تحقيق : مصطفى السقا وزملاؤه)                | ٤٨ |    |
| طبع القاهرة : ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م                                   |    |    |
| .....                                                            |    |    |
| الجهوري :                                                        |    | ٣٧ |
| الامام اللغوي الكبير أبو النصر اسماعيل بن حماد الجهوري           |    |    |
| ( ٣٣٢ - ٣٩٣ هـ )                                                 |    |    |
| ١ - الصطح ، تاج اللفظ و صطح العربية                              | ٤٩ |    |
| ( تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار )                                 |    |    |
| طبع : دار الكتاب العربي - القاهرة - ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م             |    |    |
| الحاكم :                                                         |    | ٣٨ |
| الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن نعيم      |    |    |
| ابن الحكم الضبي ، النيسابوري ( ٣٢١ - ٤٠٥ هـ )                    |    |    |
| ١ - المستدرك على الصحيحين                                        | ٥٥ |    |
| طبع : دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م                         |    |    |
| .....                                                            |    |    |
| الخطيب :                                                         |    | ٣٩ |
| العلامة نور الدين علي بن ابراهيم بن أحمد الخطيب الشافعي          |    |    |
| ( ٩٧٥ - ١٠٤٤ هـ )                                                |    |    |

| المصادر والمراجع                                                                                                            | ٢٤ | ١٤ |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----|----|
| ١ - انسان الميرون فى سيرة الأمين والمأمون<br>المعروفة : بالسيرة الحلبية<br>طبع : مطبعة الاستقامة - القاهرة : ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م | ٥١ |    |
| .....<br>الدارسى :                                                                                                          |    | ٤٠ |
| الامام الكبير أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن<br>بهرام الدارسى ( ٠٠ - ٢٥٥ هـ )                                  |    |    |
| : - السنن                                                                                                                   | ٥٢ |    |
| طبع : مطبعة الاعتدال ، دمشق ، ١٣٤٩ هـ                                                                                       |    |    |
| .....<br>الذهبي :                                                                                                           |    | ٤١ |
| انطافظ الكبير ، مورخ الاسلام وشيخ المحدثين الامام شمس<br>الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ( ٠٠ - ٧٤٨ هـ )                 |    |    |
| ١ - تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام                                                                                  | ٥٣ |    |
| طبع : مكتبة القدسي - القاهرة : ١٣٦٨ هـ                                                                                      |    |    |
| ٢ - المبر فى خبر من غير                                                                                                     | ٥٤ |    |
| طبع الكويت ، ١٩٦٠م                                                                                                          |    |    |
| .....<br>رضان لاوند                                                                                                         |    | ٤٢ |
| ١ - الحرب العالمية الثانية                                                                                                  | ٥٥ |    |
| طبع : دار العلم للملايين ، بيروت - ١٩٦٦م                                                                                    |    |    |
| .....<br>الزبيدى :                                                                                                          |    | ٤٣ |

| المصادر والمراجع                                                                                                              | ٢ م | ١ م |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----|-----|
| الامام اللثوى محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى الحسينى<br>الواسطى الزبيدى الحنفى ( ١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ )                             |     |     |
| ١ - تلح المروس من جواهر القاموس<br>طبع : مطبع خيرية ، القاهرة : ١٣٠٦ هـ                                                       | ٥٦  |     |
| .....<br>سيد قطب :                                                                                                            |     | ٤٤  |
| الفكر الاسلامى الكبير الشهيد سيد قطب بن الطح ابراهيم<br>قطب ( ١٩٠٦ - ١٩٦٦ م )                                                 |     |     |
| ١ - فى ظلال القرآن<br>الطبعة الأولى بمصر .                                                                                    | ٥٧  |     |
| طبع دار الشروق بيروت ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م<br>.....<br>السيوطى                                                                     |     | ٤٥  |
| الامام الطافظ أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال<br>أبى بكر بن محمد بن سابق الخضيرى الأسوطى الشافعى<br>( ٨٤٩ - ٩١١ هـ ) |     |     |
| ١ - الاتقان فى علوم القرآن<br>طبع المكتبة التجارية ، القاهرة ١٣٧١ / ١٩٥٢ م                                                    | ٥٨  |     |
| ٢ - تاريخ الخلفاء ( تحقيق : محمد محى الدين عبدالحميد )<br>طبع المكتبة التجارية ، القاهرة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م                     | ٥٩  |     |
| .....<br>شهرستانى :                                                                                                           |     | ٤٦  |
| الامام أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستانى<br>( ٤٧٩ - ٥٤٨ هـ )                                                     |     |     |

| المصادر والمراجع                                                                                          | ٢٢ | ١٢ |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------|----|----|
| ١ - كتاب الملل والنحل ( تحقيق : محمد بن فتح الله بدوان )<br>الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م | ٦٠ |    |
| .....<br>الشوكاني :                                                                                       |    | ٤٧ |
| الامام العلامة محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم<br>الصنعاني ( ١١٧٣ - ١٢٥٠هـ )                  |    |    |
| ١ - فتح القدير                                                                                            | ٦١ |    |
| طبع : مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م                                                             |    |    |
| .....<br>الطبري :                                                                                         |    | ٤٨ |
| الامام المؤرخ المفسر أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير<br>ابن غالب الطبري ( ٢٢٤ - ٣١٠هـ )             |    |    |
| ١ - تاريخ الرسل والملوك ( تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم )                                                | ٦٢ |    |
| طبع : دار المعارف بمصر ١٩٦٦م                                                                              |    |    |
| ٢ - جامع البيان في تفسير القرآن                                                                           | ٦٣ |    |
| طبع ببولاق مصر ١٣٢٨هـ                                                                                     |    |    |
| .....<br>عبد الحى الحسنى :                                                                                |    | ٤٩ |
| العلامة الشريف عبد الحى بن فخر الدين الحسنى ( ١٣٤١هـ - ٠٠ )                                               |    |    |
| نزهة الخواطر وسهجة السامع والنواظر                                                                        | ٦٤ |    |
| طبع : مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الهند<br>١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م                                     |    |    |

| المصادر والمراجع                                          | ٢٤ | ١٤ |
|-----------------------------------------------------------|----|----|
| عبد الرزاق :                                              |    | ٥٠ |
| الحافظ أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري بالسواد |    |    |
| الضمانى ( ١٣٦ - ٢١١ هـ )                                  |    |    |
| ١ - المصنف                                                | ٦٥ |    |
| طبع المجلس العلمى بكراتشى ، باكستان ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م        |    |    |
| .....                                                     |    |    |
| عبد العزيز فريهارى                                        |    | ٥١ |
| الشيخ العالم المحدث ابو عبد الرحمن عبد الميز بن أحمد بن   |    |    |
| حمد القرشى ، الفريهارى ، الملائنى (من كبار علماء القرن    |    |    |
| الثالث عشر بالهند )                                       |    |    |
| ١ - النهراس فى شرح المقائد                                | ٦٦ |    |
| طبع : المطبعة اردو بازار ، امرتسر ، الهند ١٣١٨ هـ         |    |    |
| .....                                                     |    |    |
| عبد المنعم شوقى                                           |    | ٥٢ |
| الدكتور عبد المنعم شوقى ( خبير بلجنة التخطيط القومى )     |    |    |
| ١ - تنمية المجتمع وتنظيمه                                 | ٦٧ |    |
| الناشر : دار البحوث العلمية - الكويت ١٩٧٣ م               |    |    |
| .....                                                     |    |    |
| على حسون ( الدكتور )                                      |    | ٥٣ |
| ١ - تاريخ الدولة المثمانية                                | ٦٨ |    |
| الناشر : المكتب الاسلامى ، دمشق ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م            |    |    |
| .....                                                     |    |    |



| المصادر والمراجع                                                                               | ٢٤ | ١٤ |
|------------------------------------------------------------------------------------------------|----|----|
| القرطبي                                                                                        |    | ٥٤ |
| الامام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري<br>الخزرجي القرطبي ( ٠٠ - ٦٧١ هـ ) |    |    |
| ١ - الجامع لأحكام القرآن                                                                       | ٦٩ |    |
| طبع دار الكتب المصرية ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م                                                         |    |    |
| .....                                                                                          |    |    |
| مجمع اللغة العربية بمصر                                                                        |    | ٥٥ |
| ١ - معجم ألفاظ القرآن الكريم                                                                   | ٧٠ |    |
| طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م                                      |    |    |
| .....                                                                                          |    |    |
| محمد حميد الله ( الدكتور )                                                                     |    | ٥٦ |
| ١ - مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة                                      | ٧١ |    |
| طبع : دار الارشاد - بيروت ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م                                                     |    |    |
| .....                                                                                          |    |    |
| محمد فؤاد عبد الباقي                                                                           |    | ٥٧ |
| ١ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم                                                        | ٧٢ |    |
| طبع دار الكتب المصرية ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م                                                         |    |    |
| .....                                                                                          |    |    |
| المسمودي :                                                                                     |    | ٥٨ |
| الرحلة الكبير والمؤرخ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي                                           |    |    |
| المسمودي ( ٠٠ - ٣٤٦ هـ )                                                                       |    |    |
| مروج الذهب ومادن الجواهر (تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد)                                   | ٧٣ |    |
| طبع : دار الفكر - بيروت ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م                                                       |    |    |

| المصادر والمراجع                                                                                          | ٢٤ | ١٤ |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------|----|----|
| مسلم :                                                                                                    |    | ٥٩ |
| الامام الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري<br>النيسابوري ( ٢٠٤ - ٢٦١ هـ )                    |    |    |
| ١ - الصحيح ( مع شرحه للنووي ) ١٨ جزءا<br>طبع المطبعة المصرية - القاهرة - بدون تاريخ                       | ٧٤ |    |
| .....                                                                                                     |    |    |
| المسودودي :                                                                                               |    | ٦٠ |
| المفكر الاسلامي الكبير الشيخ العلامة أبو الأعلى بن أحمد<br>حسن بن حسن الحسيني المودودي ( ١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ ) |    |    |
| تفهيم القرآن ( تفسير القرآن باللغة الأوردية )<br>طبع : مكتبة ترجمان القرآن - لاهور - باكستان - ١٩٧٧ م     | ٧٥ |    |
| .....                                                                                                     |    |    |
| النووي                                                                                                    |    | ٦١ |
| الامام الحافظ محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مسرى<br>بن حسن بن حسين بن حزام النووي ( ٦٣١ - ٦٧٦ هـ )   |    |    |
| ١ - شرح صحيح مسلم - ١٨ جزءا<br>طبع : المطبعة المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ                               | ٧٦ |    |
| .....                                                                                                     |    |    |
| يوسف القرضاوي ( الدكتور )                                                                                 |    | ٦٢ |
| ١ - فقه الزكاة                                                                                            | ٧٧ |    |
| طبع : مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٠ هـ ١٩٧٩ م                                                                |    |    |

---

المصادر والمراجع ٢٤ ١٢

---

== ( استنبـدراك ) ==  
=====

ابن رشد : ٦٣

الامام الفقيه أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن

أحمد بن رشد القرطبي ( ٥٢٠ - ٥٩٥ هـ )

١ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد . ٧٨

طبع : مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، بصر ١٣٧٩ هـ

١٩٦٠ م

## فهرست الموضوعات

| الصفحة | الموضوع                                                    |
|--------|------------------------------------------------------------|
| ١      | المقدمة .....                                              |
| ١٤     | الباب الاول : الدعوة وظيفه الدولة الاسلامية الجوهرية       |
| ١٤     | الفصل الاول : الدولة ، عناصرها ووظيفتها                    |
| ٢١     | الفصل الثاني : وظيفة الدولة الاسلامية                      |
| ٢٣     | المبحث الاول : الدعوة ومكانتها في حياة الانسان             |
| ٤٤     | المبحث الثاني : وظيفة الدولة الاسلامية<br>( الباب الثاني ) |
| ٦١     | معالم الدعوة في الدولة الاسلامية النبوية                   |
| ٦١     | الفصل الاول : مقومات الدعوة من خلال الواقع السرى           |
| ٦٦     | المبحث الاول : بناء العقائد على التوحيد الخالص             |
| ٧٤     | المبحث الثاني : تكوين شخصيات عقديّة                        |
| ٨٤     | المبحث الثالث : تكوين مجتمع عقدي                           |
| ٨٦     | ١ - وحدة العقيدة                                           |
| ١٠٢    | ٢ - الاخوة                                                 |
| ١١٠    | ٣ - الحرية                                                 |
| ١١٦    | ٤ - العدالة والمساواة                                      |
| ١٢٥    | ٥ - التكافل                                                |
| ١٣٥    | ٦ - نظام الاسرة                                            |
| ١٤٧    | ٧ - التنظيم الاقتصادي                                      |
| ١٦٦    | ٨ - العلم والتعليم                                         |

## فهرست الموضوعات

| الصفحة | الموضوع                                                            |
|--------|--------------------------------------------------------------------|
| ١٧٧    | ٩ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر                                |
| ١٨١    | ١٠ - الحياة البالغة في العلاقات                                    |
| ١٩١    | الفصل الثاني : الدولة الاسلامية النبوية                            |
|        | المبحث الأول : الدولة تعاقب على المجتمع داخليا                     |
| ١٩٤    | وخارجيا                                                            |
| ٢٠٧    | أ - الجانب الحضاري                                                 |
| ٢١٤    | ب - الجانب التربوي                                                 |
| ٢١٩    | ج - حماية قيم المجتمع                                              |
| ٢٢٣    | المبحث الثاني : توجيه الدعوة لتميم هذا المجتمع<br>( الساب الثالث ) |
| ٢٣٠    | معالم الدعوة في الدولة الاسلامية الراشدية                          |
|        | الفصل الاول : المحافظة على أصالة الدعوة فسي                        |
| ٢٣١    | العهد الراشدي                                                      |
| ٢٣٤    | مبادئ الراشدين في ضوء بعض خباياهم                                  |
| ٢٣٤    | أ - ابو بكر الصديق رضي الله عنه                                    |
| ٢٣٧    | ب - عمر الفاروق رضي الله عنه                                       |
| ٢٣٩    | ج - عثمان بن عفان رضي الله عنه                                     |
| ٢٤١    | د - علي بن ابي طالب رضي الله عنه                                   |
|        | الفصل الثاني : حياة الراشدين البالغة لمقومات                       |
| ٢٤٦    | المجتمع الاسلامي                                                   |
|        | الفصل الثالث : دعوة الحكم الراشدي في ضوء علاقاته                   |
| ٢٥٢    | الخارجية                                                           |

| الصفحة | الموضوع                                    |
|--------|--------------------------------------------|
| ٢٥٩    | الفصل الرابع : حكم معاوية الدعوى           |
|        | المبحث الاول : تحليل موقف معاوية من الفتنة |
| ٢٦٠    | الكبرى                                     |
| ٢٦٦    | المبحث الثاني : حكم معاوية الدعوى          |
| ٢٧٩    | الختاتمة .....                             |
| ٢٨٩    | فهرست المصادر والمراجع .....               |
| ٣٠٧    | فهرست الموضوعات .....                      |

\*\*\*\*\*

تم بحمد الله وتوفيقه طبع هذه الرسالة في يوم الاحد  
الرابع من شهر رجب الحرام من السنة الثالثة بعد المائتة  
الرابعة عشرة - الموافق ١٧ / ٤ / ١٩٨٣ م - وقام بطبعتها  
شبل حامد محمد النجار - غفر الله له ولوالديه ولصاحب  
الرسالة ولمن اطلع عليها ، ونفع الله بها الاسلام والمسلمين ..

\*\*\*\*\*